مجلة آفاق الثقافة والتراث
ربع قرن من العطاء بين شهد التراث الوافي ومعين الثقافة الصافي

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وأصحابه الراسخين في العلم، وبعد:

فقد ميز الله تعالى هذه الأمة عن غيرها بميزات كثيرة، فالعلم عندنا عبادة تتقدم على كثير من العبادات في الفضل والمنزلة؛ ولذلك نجد عبر تاريخ أمتنا الطويل رجالاً كثرًا، ممن فتح الله عليهم بنور العلم والفهم، أفنوا أعمارهم في نشر العلوم والمعارف، وتعليمها.

وإن نشر العلم والمعرفة، وإتاحتهما للناس له طرق عديدة، ومنابر شتى، ووسائل كثر، ومن تلك المنابر والوسائل: «مجلة آفاق الثقافة والتراث» التي تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بالمركز، وقد بدأت فكرة إصدارها مع الانطلاقة الرسمية للمركز، إلا أن الإعداد الفعلي لها بدأ في سنة ١٩٩١م، وصدر العدد الأول منها بداية عام ١٩٩٢م, ومجموع ما صدر منها حتى الآن ١٠٠ عدد؛ حيث تحتفل المجلة بيوبيلها الفضي (مرور ٢٥ سنة على إصدارها).

وقد استقطبت المجلة خلال ربع قرن من مسيرتها أقلامًا عربية وإسلامية جادة مشهودًا لها بالجدة والرصانة والرسوخ العلمي والأدبي، فقد بلغ عدد البحوث التي استقبلتها إدارة المجلة ٣٦١٥ بحثًا، ونشرت منها ١٢٠٢ بحثًا، وكان من بين الأبحاث المنشورة ٧٤ مخطوطًا صغيرًا محققًا، وقد بلغ عدد الكُتاب في مختلف حقول المجلة ٧٤٨ كاتبًا من مختلف الدول العربية والإسلامية.

كما تميزت المجلة خلال مسيرتها بغزارة موضوعاتها، وجديتها من جهة, وشمولية نقاشاتها ومعالجاتها للقضايا العلمية والفكرية والثقافية والتراثية المتنوعة من جهة أخرى, فقد نُشرت على صفحاتها أبحاث شرعية وفكرية ولغوية وأدبية وتاريخية وفلسفية

ودراسات مقارنة، والتعريف بالمخطوطات وخزائنها في جميع أنحاء العالم، والتراث العلمي العربي والإسلامي، أضف إلى ذلك نشر نصوص صغيرة مخطوطة محققة من قبل الباحثين والدارسين.

كما ناقشت المجلة على صفحاتها موضوعات معاصرة حساسة، ونجحت في توظيف التراث لخدمة الحاضر؛ بحيث قدمت للقارئ رؤية مستقبلية مرتكزة على جذور حضارية عميقة.

وتدعيمًا لعطائها العلمي والثقافي قامت المجلة بإصدار سلسلة من البحوث والدراسات الصغيرة الحجم في كتب مستقلة، وتخضع تلك الكتب لنفس الشروط التي تخضع لها البحوث المنشورة في المجلة، وقد بلغ عددها حتى الآن ٨ كتب.

وستبقى مجلتنا وفية لتقاليدها العلمية والأدبية والأخلاقية، كالزيتونة المباركة مفتوحة صفحاتها لكل النسائم العلمية، والنفحات الثقافية الشرقية والغربية في كنف شروط البحث العلمي الصادقة والصارمة التي لا تعرف قريبًا ولا وسيطا إلا ما اصطفاه منخول العلم والمحكمين.

وما كان لهذه الثمار في شجرتها أن تينع، وفي حقل العلم والمعارف أن تقطف وتقطع، ومن طلاب شهد التراث وأصيل الثقافة أن تتعقب وتجمع، بعد الله عز وجل لولا جهد معالي جمعة الماجد الذي آتاه الله من فضله، وفتح له أبواب رزقه، وبسط له فيه، ومنحه حسن تدبيره، وألهمه سبل استثماره، فبنى منه ثروة، سلط نصيبًا منها في خدمة العلم وأهله، وجمع شوارد أوعيته، ورفد روافده، راجيًا بذلك من ربه، ما يرجوه عباده الصالحين، فكانت من تلك الروافد التي لوحظت بعين الرعاية منه: مجلة آفاق الثقافة والتراث التي أعطاها كل شيء يمكنها من الاستواء على سوقها والقيام بمهمتها وبلوغ أهدافها.

وفي الأخير نسأل الله الكريم أن يحفظه من كل سوء، وأن يديم عطاءه للباحثين وطلاب العلم، وخدمة التراث العربي والإسلامي في العالم كله، وأن يبارك في عمره وأن يحفظه وأهله من كل مكروه، إنه سميع قريب مجيب.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

مجلة آفاق الثقافة والتراث ربع قرن من العطاء بين شهد التراث الوافي ومعين الثقافة الصافي

آراء الغَزفي في وحدات الوزن الإسلامية[1]

أ. د. مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي
جامعة بغداد - العراق

تتناول هذه الدراسة ما ألفه الشيخ الفقيه أحمد الغَزفي في الأصول والدواوين، وما انتهى إليه عن علماء الشريعة والرواة من أسماء وحدات الوزن المستعملة في أسواق الدولة الإسلامية، وبخاصة في شمال أفريقيا. أسماؤها وأجزاؤها وما تُعاير به الموزونات التي تتواءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء.

ويرى الغَزفي أن الضرورة الماسة دعت المسلمين وغيرهم من الشعوب إلى وجود وحدات وزن تمارس في أسواق الدولة وتؤدى فيها بعض الفروض والواجبات الدينية. على أن لا يحصل فيها البخس والتطفيف حين التعامل بها.

تناول الشيخ الغَزفي وحدات الوزن الإسلامية في كتابه "إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد". فاستعرض الميزان والموزونات مثل: القيراط والدانق، والدرهم، والدينار، والأوقية، والنش، والنواة، والرطل، والمَن، والقنطار، والبهار، والمثقال، ومقاديرها وما تُعار به وأجزائها.

ولكي توسم هذه الدراسة بالحيوية والجدية والوثوق، رأينا ان نعمل موازنة ومفاضلة بين ما أورده الشيخ الفقيه الغَزفي في كتابه المشار إليه. وبين ما قاله مصنفون آخرون بشأن وحدات الوزن الإسلامية، مرجحين رأي مَن جاءت رواياته متسمة بالإسناد والوثوق.

بدأ الغَزفي بالميزان: فرأى أن اشتقاقه مفعال، من وَزَن. كالمكيال: من كال، ويرى أن العرب تقول: وزنت البضاعة وزنًا وزنًا وزِنة، امتحنتها بما يعادلها. ووزنت الرجل، ووَزَنت له، إذا أقبضتُه ثمن شيء يوزن[2].

ولكي يعزز الشيخ الغزفي رأيه ويؤكد صوابه، أخذ يستشهد بآيات من القرآن الكريم. فأتى بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[٣]، أي هلاك وعذاب لأولئك الذين ينقصون الميزان. فإذا أخذوا الوزن أخذوه وافي الوزن من دون نقصان، وإذا وزنوا للناس أنقصوا الوزن[٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾[٥]؛ أي إن الله عز وجل رفع السماء عالية وجعلها محكمة البناء، وأمر عند الأخذ بالبيع والشراء يجب أن يكون الأخذ وافيًا، وألا يبخسوا الميزان؛ أي لا يطففوا الوزن ولا ينقصوه، وإنما يجعلوه وافيًا ومستقيمًا بالعدل والإنصاف[٦]. وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ ﴾[٧].

وفي إرشاد النبي شعيب عليه السلام لقومه ونهيهم عن البخس في الكيل والوزن قال تعالى: ﴿ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٨]. في هذه الآية خاطب الله عز وجل نبيه شعيبًا وأهل مدين التي تقع قرب مدينة معان الأردنية يحثهم على أن يتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي يكيلون به، وبالوزن الذي يزنون به، ولا يظلمون الناس حقوقهم، ولا ينقصوهم إياها، ولا يفسدوا في الأرض، ولا يعملوا بالمعاصي بعد إصلاحها[٩].

وفي سورة هود ورد قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[١٠]؛ أي أتموا الكيل والوزن للناس بالعدل، ولا تنقصوهم من حقوقهم شيئًا، ولا تسعوا في الأرض فسادًا[١١].

وأورد شيخنا الغزفي حديثًا عن ابن بريرة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **يا معشر المهاجرين والأنصار لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان. ..** " [١٢]

واستشهد الغزفي بما قاله الشاعر الفرزدق:

أخلاقنا تزن الجبال رزانة

وتخالنا جِنًّا إذا ما نجهل[١٣]

والميزان عند العرب اسمٌ يقع على أجزاء لها في أنفسها أسماء تخصها مثل: المخيط الذي يُعلق به الميزان. هي العَذَبة، وفيه اللسان، يُسمى الحديدة، والحديدة المُعترِضة التي فيها اللسان تُسمى المِنْجَم[١٤]. قال المقريزي: كان الناس في صدر الإسلام يزنون بالشواهين، فلما ولي عبد الله بن عامر على البصرة سنة ٢٩هـ/٦٤٩م وضع للميزان لسانًا، وعُد أنه أول من وضع اللسان للميزان في الإسلام[١٥].

والحديدة المعترضة في ثقب اللسان من الميزان تسمى (الفِيارَاز)، وإحداها فِيارٌ. والحلقة التي تجمع فيها الخيوط في طرف الحديدة هي (الكِظَامَةُ). والعقدة التي أسفل الميزان تسمى (الشعدانات)[١٦].

وعادة يوجد ثقب يكون في وسط الحديدة

المعترضة إذا كان الميزان مُعد لوزن بضاعة ثقيلة. أما إذا كانت البضاعة غير ثقيلة فيكون الثقب في وسط العصاة أو الخشبة المعترضة، أما الذهب والفضة والجواهر الثمينة فيكون الثقب في اللسان في أوله مما يلي الحديدة[١٧].

القيراط:

ابتدأ الشيخ العزّفي بالقيراط وحدد وزنه بثلاث حبات شعير، وأصله قِرّاط. ويدل على ذلك جمعه قراريط. ولو لم يكن ذلك أصله لجُمع على لفظة قياريط أو قواريط وهو أعجمي عربته العرب[١٨]. وأنزلته من أسمائها منزل الأجناس[١٩].

ويرد القيراط عند البلاذري كجزء من أجزاء الدرهم الإسلامي الذي يتكون من أربعة عشر قيراطًا[٢٠]. كما ورد القيراط عند المقريزي الذي قال: إن وزن القيراط أربعة حبات بحبات الشعير المعتدل التي لم تقشر، وقد قطع من طرفيها ما امتد[٢١]. وإن وزن حبة الشعير هذه تساوي وزن سبعين حبة من حب الخردل البري[٢٢]. في حين ورد وزن القيراط الشرعي عند هنتس خمس حبات، ووزنه قد يكون ١٤/١ من وزن الدرهم الإسلامي[٢٣].

الدانق:

الدانق إحدى وحدات الوزن، ويقال: دانِقٌ ودانَقٌ بفتح النون وكسرها[٢٤]. وأصل اللفظة أعجمي معرب، ووزنه ثمان حبات شعير وخُمسًا حبة[٢٥]. وقال المقريزي (ت٨٤٥هـ): إن وزن الدانق يساوي وزن ثمان حبات وخُمسًا حبة من حبات الشعير المتوسطة الحجم التي لم تقشر وقد قُطع من طرفيها ما امتد[٢٦].

ونقل الشيخ العزّفي رأي الحسن البصري (ت١١٠هـ) المتشائم من الدانق، وزعم أن العرب لم تعرف الدانق[٢٧]، في حين قال هنتس: إن وزن الدانق كوحدة نقد يساوي سدس وزن الدرهم[٢٨].

الدرهم:

يرد الدرهم كوحدة وزن، وهو اسم عربي على حد قول العزّفي الذي قال: هو في اللسان العربي اسم لمقدار من الوزن[٢٩]، تعيّن بالعرف لا بالوضع. ومن أسماء الدراهم عشية بزوغ نور الإسلام، الدراهم البغلية التي وزنها ٨ دوانق، والدراهم الطبرية التي وزنها ٤ دوانق[٣٠].

وقد ورد ذكر الدراهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[٣١].

وردت الدراهم عند البلاذري (ت٢٧٩هـ) الذي قال: كانت الدراهم من ضرب الأعاجم كبارًا وصغارًا، فكانوا يضربون منها درهم وزنه عشرين قيراطًا، ويضربون منها اثني عشر قيراطًا، ويضربون منها عشرة قراريط. فلما جاء الإسلام واحتيج إلى أداء الزكاة عمدوا إلى الأمر الوسط فأخذوا أوزان تلك الدراهم: ٢٠ + ١٢ + ١٠ = ٤٢ ÷ ٣ = ١٤ قيراطًا. فضربوا الدرهم الإسلامي على وزن أربعة عشر قيراطًا، فصار وزن كل عشرة دراهم يساوي وزن سبعة مثاقيل[٣٢].

وفي الرواية أخرى أوردها البلاذري مؤداها أنه كانت لقريش أوزان قبل الإسلام، فكانت تزن الفضة بوزن تسميه درهمًا، وتزن الذهب بوزن تسميه دينارًا، فلما جاء الإسلام أقر المسلمون هذا التعامل فكأن وزن عشرة من الدراهم يساوي

وزن سبعة من أوزان الدنانير (المثاقيل)[٣٣].

أما الرواية التي أوردها المقريزي (ت٨٤٥هـ) فأشارت إلى أن دراهم الأعاجم قبل الإسلام متنوعة، وأكثرها رواجًا في الأسواق (الدراهم البغلية) التي وزنها ثمانية دوانيق، وتليها (الدراهم الطبرية) التي وزنها أربعة دوانيق، والدانق يساوي ثمان حبات وخُمسًا حبة من حبات الشعير المتوسطة الحجم، التي لم تقشر وقد قطع من طرفيها ما أمتد. فلما حلت سنة ١٨هـ/٦٣٩م واحتيج إلى تقدير الزكاة، قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خذوا الأوسط مما يتعامل به الناس فجمعوا (٨ + ٤ = ١٢ ÷ ٢ = ٦ دوانيق)؛ أي جمعوا وزن الدراهم الأكثر رواجًا وهي البغلية والطبرية، ولما كان وزن الأولى ٨ دوانيق والثانية ٤ دوانيق جمعوا وزنهما، وتم تقسيم الناتج على اثنين، فكان الناتج ٦ دوانيق، فضرب الدرهم الإسلامي على وزن ستة دوانيق[٣٤]. وبذلك تكون رواية المقريزي متفقة مع ما أورده العزَفي قبل قليل.

الدينار:

ووردت لفظة (دينار) في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [٣٥].

قال الشيخ أحمد العزفي: إن لفظة الدينار اسم أعجمي معرب أدخلته العرب في كلامها مدخل أسماء الأجناس[٣٦]. وأصله دِنار، ويدل على ذلك جمعه دنانير، ولو جمعته على لفظه لقالت: دِيَانير أو دَوَانير، وهو اسم لمقداره. وتعين بالعرف لا بالوضع.

ونُسبت الدنانير إلى هرقل عظيم الروم فسُميت الهرقلية، ولأنها كانت تُحمل إلى بلاد العرب من بلاد الروم سمتها العرب الهرقلية[٣٧]. وقدر العزَفي وزن الدينار بـ ٧٢ حبة[٣٨]. وذكر العَزَفي بأن الدنانير الهرقلية كانت راجحة الوزن عندما استشهد بشطر بيت شعر لكثير عزة فقال: هرقلي وزن أحمر التبر راجح[٣٩].

قال البلاذري: إن وزن الدينار عند أهل مكة يساوي اثنين وعشرين قيراطًا إلا كسرًا[٤٠]. بينما يرى المقريزي إن وزن الدينار مثقالًا، والدينار يُسمى لوزنه دينارًا أو إنما هو تبر، ووزن المثقال سبع حبات[٤١]. في حين يرى هنتس: إن الدينار كوحدة وزن نظريًا يساوي مثقال واحد كونه سبيكة ذهبية تزن ٢٣,٤ غرام أو ٣٣,٤ غرام[٤٢].

الأوقية:

يرى الشيخ العَزَفي أن الأوقية مقدار من الوزن يساوي وزن أربعون درهمًا، وأصلها في قول بعضهم أوقوية، وهذا أصل من أصول التصريف، وهو باب من العربية، الواو والياء إذا التقتا وسُبِقت إحداهما بالسكون قُلبت الواو ياءً ثم أدغمت إحداهما في الأخرى للتناسب وتيسير النطق به [٤٣].

وأورد الشيخ العَزَفي رواية عن الإمام مالك ابن أنس (ت١٧٩هـ) أن وزن الأوقية أربعون درهمًا[٤٤]، وأن نصفها يُسمى (نشًا) ويساوي عشرين درهمًا، وربعها يُسمى (نواة) وتساوي خمسة دراهم[٤٥]. واستشهد العَزَفي بما أورده أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت٤٧٤هـ): من أن الخمسة أواقي مائتي درهم نصاب الوَرِق في

الزكاة[٤٦].

ثم أورد الغزّفي رواية أخرى مؤداها أن صداق النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته اثنا عشر أوقية ونشًا. والنش كما مر معنا نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم. ١٢ أوقية × ٤٠ درهم مقدار كل أوقية = ٤٨٠ درهم + ٢٠ نشًا (أي ٢٠ درهم) =٥٠٠ درهم[٤٧].

النَّش:

قال الشيخ أحمد الغزّفي: النَّشّ بفتح النون وتشديد الشين، اسم من الثنائي المضاعف، وهو نصف الأوقية، ووزن النَّشّ عشرون درهمًا[٤٨]. وقال البلاذري: لقريش أوزان منها النَّشّ الذي هو نصف أوقية؛ أي عشرون درهمًا[٤٩]. وذكر المقريزي: أن النَّشّ هو نصف أوقية _ حُولت صاده شينًا فقيل نش _ وهو عشرون درهمًا[٥٠]. وقال هنتس: النش وزن عربي قديم، كان معروفًا بمكة خاصة، وكان يزن نصف أوقية ذات عشرين درهمًا[٥١].

النواة:

استهل شيخنا الغزّفي كلامه عن النواة حين أورد رواية عن أبي عبيد مؤداها أن النواة خمسة دراهم، وقيل هي اسم لما زنته خمسة دراهم، فهي على هذا ثُمن أوقية[٥٢]. وحدد البلاذري وزن النواة بخمسة دراهم[٥٣]. وقال هنتس: النواة وزن عربي يبلغ خمسة دراهم؛ أي ٦,١٥ غرامًا[٥٤].

الرَّطل:

الرطل اسم مذكر، يقال بفتح الراء، وبكسرها. وهو اسم لمقدار من الموزونات تقديره بالعرف لا بالوضع[٥٥]. وهو من أكثر وحدات الوزن استعمالاً في بلاد العرب على حد قول هنتس[٥٦].

وقال المقدسي (ت٣٨٠هـ) رطل مكة هو المَن المعروف في جميع بلاد الإسلام يسمونه رطلًا. ورطل اليمن يشبه الرطل البغدادي[٥٧]. ولا غرابة في ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الْوَزْنُ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"[٥٨].

ولما تناول أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) الصاع قال: الصاع خمسة أرطال وثلث[٥٩]. في حين قدر المقريزي وزن الرطل باثنتي عشر أوقية. وقد مر معنا إن وزن الأوقية أربعون درهمًا. فيكون وزن الرطل والحال هذه ثمانين وأربعمائة درهم وزنًا[٦٠].

ويرى هنتس أن الرطل ورد بأوزان عدة، منها أن وزنه يساوي ١٢ أوقية، ويساوي ١/١٠٠ من القنطار، ويساوي وزن ٥,١ كيلو غرام. وفي العصور الوسطى أصبح وزن الرطل في مكة منًا بغداديًا[٦١]. قال المقريزي: " من الدرهم تركب الرطل، ومن الرطل تركب المُد، ومن المُد تركب الصاع وما فوقه"[٦٢]. وفي ضوء ذلك نعرف أن هناك طرقًا حسابية مبرهنة بأشكال هندسية ليس هذا موضع إيرادها.

المنّ:

اكتفى شيخنا الغزّفي بالقول: المن اسم لمقدار من الوزن[٦٣]، يساوي رطلين شرعيين؛ أي انه كان يزن حوالي ٥,٨١٢ إلى ٨١٩ غرام[٦٤].

القنطار:

يرى الشيخ أحمد الغزّفي إن أصل مفردة

(قنطار) في لسان العرب تعني الجملة الكثيرة من المال[65]. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[66]؛ أي حُسّن إليهم وحُبب إلى نفوسهم الميل نحو الشهوات وبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد.. ثم الأموال المكدسة من الذهب والفضة. وبما أن المال محبوبًا لأنه يحصل به غالب الشهوات، فالمرء قد يرتكب الأخطاء في تحصيله[67]. وسبق أن مرت معنا مفردة (قنطار) في الآية (٧٥) من سورة آل عمران التي تعني المال الكثير[68].

ويرى هنتس أن القنطار يساوي من حيث الأساس مئة رطل. ومن غير أن يجزم فيقول: وقد يكون وزنه مئة مَن. والطلق اسم القناطير على كمية كبيرة من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية. وهو يرى أن وزن القنطار مختلف في أقاليم الدولة الإسلامية[69]. بينما يرى محقق كتاب (شذور العقود في ذكر النقود) أن وزن القنطار أربعون أوقية من الذهب، وهو يعني المال الكثير[70].

البهار:

استشهد الشيخ الغزَفي بما ورد في كتاب العين للفراهيدي (ت١٧٩هـ) فقال: قال صاحب العين: وزن البهار ثلثمائة رطل، وهو اسم عربي[71]. وبذلك يكون الشيخ الغزَفي قد اتفق في هذا الوزن مع المقدسي[72]. الذي قال هو الآخر إن وزن البهار ثلاثمائة رطل.

وقدر هنتس وزن البهار بثلاثمائة منًا. والمقصود هو المن البغدادي. واكتسب البهار أهمية خاصة في التجارة العالمية إذ كانت توزن به البهارات والتوابل في البلدان المحيطة بالخليج العربي والمحيط الهندي. وقد صادف البهار تقلبات غير عادية في أوزان البهار، متأتية من إضافة شيء إلى الوزن الأساس للسلعة تبعًا لنوعها وسعرها، نسبة معينة يختلف تحديدها باختلاف المكان والزمان[73].

المثقال:

يرى الشيخ الغزَفي أن المثقال: اسم لما له ثقل كبير أو صغير، إلا أن عُرفه غلب على الصغر. وفي عرف الفقهاء والعلماء قد تعني مفردة (المثقال) الدينار الذهبي[74]. والدينار كوحدة وزن يساوي مثقالاً واحدًا، وكونه سبيكة ذهبية تزن ٤,٣٣ غرامًا (وأحيانًا يرد وزنها ٤,٢٣ غرام)[75].

ويرد وزن المثقال عند البلاذري أنه يزن عشرين قيراطًا[76]. ويرد مرة أخرى يزن اثنين وعشرين قيراطًا[77]، وأن وزن كل سبعة مثاقيل تساوي وزن عشرة من أوزان الدراهم[78]. بينما يرى المقريزي أن وزن المثقال لم يختلف في الجاهلية ولا في الإسلام[79]. وورد وزن المثقال عند هنتس[80] في حالات عدة، رجح وزنه بـ٤,٢٢٣ غرام.

وخلاصة القول: هذه هي الأوزان التي تناولها الشيخ أحمد الغزَفي السبتي في كتابه القيم: "إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد". ولمس الباحث أن آراء وتخريجات الشيخ الفقيه الغزَفي واستنباطاته كانت كثيرًا ما تتواءم مع آراء

فقهاء وعلماء ومصنفين آخرين ممن تناول منهم الأوزان المستعملة في أسواق الدولة الإسلامية. وأحيانًا أخرى نشعر أنه ينفرد بآرائه الخاصة، ولعله مشدود بهذا التفرد يؤخذ بنظر الاعتبار ما كان مطبقًا في أسواق مدينة سبتة التي عاش وترعرع فيها، ونهل علمه من شيوخها وعلمائها. ولم يتوان من أن يطلق لنفسه العنان فيقول ما يراه صائبًا وصالحًا لعامة الناس على أن لا تتعارض اجتهاداته مع مقاصد الشريعة السمحاء.

الحواشي

١ - هذا البحث مكمل للبحث الذي نُشر في مجلة آفاق الثقافة والتراث في العدد (٩٥) الذي تناول آراء العزفي في وحدات الكيل الإسلامية.

٢ - العزفي، إثبات، ص ١٣٨.

٣ - سورة المطففين، الآيات ١ _ ٦.

٤ - الطبري، جامع البيان، ج ٣٠، ص ١١٣.

٥ - سورة الرحمن، الآيات ٧ _ ٩.

٦ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٥٢.

٧ - سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٨ - سورة الأعراف، آية ٨٥. ينظر: الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٠٧.

٩ - الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٠٩.

١٠ - سورة هود، الآيتان ٨٤ و ٨٥. ينظر: سورة الشعراء، الآيات ١٨٠ _ ١٨٢.

١١ - الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ١٢٩.

١٢ - العزفي، إثبات، ١٢٧ _ ١٢٨. ينظر: ابن ماجة، سنن، ج ٢، ص ١٥٦٠.

١٣ - العزفي، إثبات، ص ١٣٨.

١٤ - العزفي، إثبات، ص ١٣٨.

١٥ - المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٦٢.

١٦ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩.

١٧ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩. هذه التسميات مما كان يعرف في سبتة في المغرب العربي، ومن الطبيعي أن يكون هناك خلاف بينها وبين تسميات مدن وأقاليم أخرى من بلاد المسلمين. عن مدينة سبتة ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧.

١٨ - العزفي، إثبات، ١٣٩. ينظر: الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٦١٠.

١٩ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩.

٢٠ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧١.

٢١ - المقريزي، شذور العقود، ص ١٠و١٧. وإغاثة الأمة، ص ٥٤ و٥٨.

٢٢ - المقريزي، شذور العقود، ص ١٤.

٢٣ - هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٤٤.

٢٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠٥.

٢٥ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩.

٢٦ - المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٠.

٢٧ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩.

٢٨ - العزفي، إثبات، ص ١٣٩. ينظر: الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٦٠٩.

٢٩ - ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٩٩.

٣٠ - العزفي، إثبات، ص ٨٠ و ١٤٠. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٢.

٣١ - سورة يوسف، آية ٢٠.

٣٢ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٠ _ ٤٧١.

٣٣ - م، ن، ص ٤٧٢.

٣٤ - المقريزي، شذور العقود، ٥ و ٧. وإغاثة الأمة، ص ٥٠.

٣٥ - سورة آل عمران، آية ٧٥.

٣٦ - العزفي، إثبات، ص ١٤٠. ينظر: زيدان، تاريخ التمدن، ج ١، ص ١٤١.

٣٧ - العزفي، إثبات، ص ١٤٠. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧١. المقريزي إغاثة الأمة، ص ٤٨.

٣٨ - العزفي، إثبات، ص ٩٧. ينظر: المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٠.

٣٩ - العزفي، إثبات، ص ١٤٠.

٤٠ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧١.

٤١ - المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٩.

٤٢ - هنتس، المكاييل، ص ٩ و ٣٩.

٤٣ - العزفي، إثبات، ص ١٤١.

٤٤ - العزفي، إثبات، ص ٧٧. ينظر: أبو عبيد، الأموال،

ص ٥٢٢. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٢.

٤٥- العزفي، إثبات، ص ٧٧ و ١٤١. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧٢. المقريزي، إغاثة الأمة، ص٥١.

٤٦- العزفي، إثبات، ص ٧٧ - ٧٨. ٢٠٠ ÷ ٥ = ٤٠ درهم.

٤٧- العزفي، إثبات، ص ٧٧. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٢.

٤٨- العزفي، إثبات، ص ١٤١.

٤٩- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٢.

٥٠- المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٩. وشذور العقود، ص ٩٦.

٥١- هنتس، المكاييل، ص ٥٦.

٥٢- العزفي، إثبات، ص ١٤٠ - ١٤١.

٥٣- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٢. ينظر: المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٩.

٥٤- هنتس، المكاييل، ص ٥٦.

٥٥- العزفي، إثبات، ص ١٤٢.

٥٦- المكاييل، ص ٣٠.

٥٧- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩.

٥٨- أبو داود، سنن، ج ٢، ص ١١١. قال العلامة الألباني: صحيح. صحيح سنن أبو داود، ج ٢، ص ٦٤٣.

٥٩- أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٤.

٦٠- المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٤٩.

٦١- هنتس، المكاييل، ص ٣٠.

٦٢- المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٧. وشذور العقود، ص ١٤ - ١٥.

٦٣- العزفي، إثبات، ص ١٤٢.

٦٤- هنتس، المكاييل، ص ٤٠.

٦٥- العزفي، إثبات، ص ١٤٢.

٦٦- سورة آل عمران، آية ١٤.

٦٧- الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٧٢.

٦٨- م، ن.

٦٩- هنتس، المكاييل، ص ٤٠.

٧٠- ينظر: المقريزي، شذور العقود، ص ١٠٩.

٧١- العزفي، إثبات، ص ١٤٣.

٧٢- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩.

٧٣- هنتس، المكاييل، ص ٢٠ وما بعدها.

٧٤- العزفي، إثبات، ص ١٤٣. ينظر: الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٦٠٨.

٧٥- هنتس، المكاييل، ص ٢٩.

٧٦- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧٠.

٧٧- م. ن، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

٧٨- المقريزي، شذور العقود، ص ٨ و ١٠ و ١٤. وإغاثة الأمة، ص ٥٤. هنتس، المكاييل، ص ٩ _ ١٠.

٧٩- المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥٠.

٨٠- المكاييل، ص ١٠.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا: المصادر:

ابن الآبار، محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ).

٢. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د. عبد السلام الهراس(بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن (ت٢٧٩هـ).

٣. فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

التادلي، يوسف بن يحيى (ت١٢٢٠هـ).

٤. التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق (الدار البيضاء، ١٩٩٧م).

التجيبي، القاسم بن يوسف (ت٧٣٠هـ).

٥. برنامج التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور (تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م).

التنبكتي، أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ).

٦. نيل الابتهاج بتطريز الديباج (طرابلس، ١٩٨٩م).

٧. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع (الرباط، ٢٠٠٠).

ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).

٨. المجمع المفهرس للمعجم المؤسس، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن (بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٢م).

٩. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي (بيروت، المكتبة العلمية، د. ت).

الحميري، محمد بن محمد (ت٩٠٠هـ).

١٠. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، مطابع هيدلبرغ، ١٩٨٤ م).

الخزاعي، علي بن محمد (ت٧٨٩هـ).

١١. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ).

١٢. الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣ م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ).

١٣. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١ م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ).

١٤. سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد (بيروت، دار الفكر، ١٩٥٢ م).

الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ).

١٥. تذكرة الحفاظ، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ).

١٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م).

الرعيني، علي بن محمد (ت٦٦٦هـ).

١٧. برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق: إبراهيم شبوح (دمشق، ١٩٦٢م).

الروداني، محمد بن سليمان (ت١٠٩٤هـ).

١٨. صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق: محمد حجي (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م).

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت١١٢٢هـ).

١٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٥٤م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).

٢٠. لب اللباب في تحرير الأنساب (بيروت، دار صادر، د. ت).

٢١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (صيدا، المكتبة العصرية، د. ت).

٢٢. قوت المغتذي على جامع الترمذي، تحقيق: د. ناصر محمد (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٨م).

ابن الشاط، قاسم بن عبد الله (ت٧٢٣هـ).

٢٣. برنامج شيوخ ابن أبي الربيع (الرباط، ٢٠١١م).

الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ).

٢٤. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م).

الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تصحيح: صدقي جميل العطار (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م).

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).

٢٦. الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).

ابن عذاري، أحمد بن محمد (كان حيًا سنة ٧١٢هـ).

٢٧. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال (بيروت، دار الثقافة، د. ت).

العراقي، عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ).

٢٨. المستخرج على المستدرك، تحقيق: محمد عبد المنعم (القاهرة، ١٩٩٠م).

العزفي، أحمد بن محمد (ت٦٣٣هـ).

٢٩. إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تحقيق: محمد الشريف (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٩م).

ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ).

٣٠. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار الفكر، د. ت).

المراكشي، محمد بن محمد (ت٧٠٣هـ).

٣١. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة، د. بشار عواد معروف (تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م).

المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٣٨١هـ).

٣٢. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٠م).

المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ).

٣٣. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (الرباط، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨).

المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ).

٣٤. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: د. كرم حلمي (القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٧م).

٣٥. شذور العقود في ذكر النقود (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢م).

٣٦. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).

المكناسي، أحمد بن محمد (ت١٠٢٥هـ).

٣٧. درة الحجال في أسماء الرجال (القاهرة، مكتبة التراث، د. ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ).

٣٨. لسان العرب (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م).

ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت٨٤٢هـ).

٣٩. توضيح المشتبه، تحقيق: محمد نعيم (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).

ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (ت٦٢٩هـ).

٤٠. إكمال الإكمال، تحقيق: د. عبد القيوم عبد الرب (مكة المكرمة، ١٤١٠هـ).

ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٤١. معجم البلدان (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م).

ثانيًا: المراجع:

الألباني، محمد ناصر الدين.

٤٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود (الجهراء، غراس للنشر، ٢٠٠٢م).

البغدادي، إسماعيل بن محمد.

٤٣. إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).

الزركلي، محمود محمد.

٤٤. الأعلام (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).

زيدان، جرجي.

٤٥. تاريخ التمدن الإسلامي (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د. ت).

السبتي، محمد بن القاسم.

٤٦. اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب منصور (الرباط، ١٩٨٣م).

السلامي، العباس بن إبراهيم.

٤٧. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٣م).

السلاوي، أحمد بن خالد.

٤٨. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد السلاوي (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م).

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.

٤٩. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م).

كحالة، عمر رضا (التكتون).

٥٠. معجم المؤلفين (بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٩٥٧م).

المنوني، محمد.

٥١. ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين (الرباط، ١٩٨٥م).

نويهض، عادل.

٥٢. معجم المفسرين من صدر الإسلام (بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٩٨٨م).

هنتس، فالتر.

٥٣. المكاييل والأوزان الإسلامية، تحقيق: د. كامل العسلي (عمان، ١٩٧٠م).

المنتخَبُ
من شِعْرِ الوَزيرِ المغْرِبِيّ
(٣٧٠ - ٤١٨ هـ)

د. عبد الرَّازِق حويزي
كلية الآداب، جامعة الطائف

التعريف بالبحث:

(الوزيرُ المغرِبيُّ) أحدُ شعراءِ القَرنين الرَّابع والخامِس الهِجريَّين، جمعَ بين الإبداعِ الشِّعريِّ والتَّأليفِ في مجالِ الدِّراساتِ الإنسانيَّة بتَخصُّصاتِها المتعدِّدة، لم يُؤثَرْ مخطوطٌ لديوانِ شِعْرِه؛ لذا نَهضَ (إحسان عباس) بجمعِ مَا تَفرَّقَ منه في المصادر، ونشَرَه ضِمْنَ كتَابِه القَيِّمِ عنه، ومع تَقادُمِ الزَّمَنِ على نَشر الكتاب، وظهورِ مصادر تراثيَّةٍ كثيرة، تَحمِلُ مَادَّةً شعريَّةً وعلميَّةً تتَّصل بهذا الديوان باتَتِ الحَاجَةُ مَاسَّةً إلى العنايةِ به تَنقِيحًا واستدراكًا، فَكَانَت لي محاولةٌ سابقةٌ في العدد ٧٦، ٢٠١١م من هذه المجلَّةِ الزَّاهِرَةِ (مجلة آفاق الثقافة والتراث)، وهذه هي المحاولةُ الثَّانية، ولكنَّها تَخْتَلِفُ عَن الأولى في أنَّها تَتَناوَلُ تَحْقِيقًا لمخطوطةٍ تَخُصُّ شعرَ (الوَزيرِ المغربي) لم تُحقَّق من قبل، ونشرُها هنا يُمَثِّلُ امتدادًا للمتابعةِ والاهتمامِ بِأَمْرِ هذا الدِّيوان.

وتكمُنُ أهميَّةُ هذه المخطوطةِ في أنَّها تُضيفُ مَادَّةً شِعْرِيَّةً جَدِيدَةً لم تُنْشَرْ من قبل؛ لِذا كانتِ العِنَايةُ بها تَحقيقًا وضَبْطًا وتَخْرِيجًا.

(الوزيرُ المغْرِبيُّ) عَالِمٌ شَهيرٌ، ذو ثقافةٍ وَاسعةٍ، لم يقتصرْ عَطَاؤُه العِلْميُّ على تَخَصُّصٍ دون آخر، فقد كان أَديبًا، ولُغويًّا، وَشَاعِرًا، وَنَاقِدًا، وَمُفسِّرًا، وَسِيَاسِيًّا، وقد أبدعَ في مَجَالِ الشِّعرِ كما أَبدعَ في غَيرِه مِن العلومِ التي أَلَّفَ فِيها.

عاشَ (الوزيرُ المغرِبيُّ) في القرنينِ الرَّابعِ والخَامِسِ الهجرِيَّين؛ أي في أَزْهـى عصورِ الحضارة العربيَّةِ، وأرقـى فَتَرَاتِ الازدهـارِ العِلْمِيِّ والأَدَبِـيِّ، وعَاصَرَ أَسَاطِينَ الشُّعراءِ والنُّقَّاد في تلكَ الفَتْرة، من هـؤلاء: القَاضِي (علي بن عبد العزيز الجرجاني ت ٣٩٢ هـ)، و (الشَّريفُ الرَّضِيّ ت ٤٠٦هـ)، و (أبو الحسن التُّهامي ت ٤١٦هـ)، و (أبو منصور الثَّعالبي ت ٤٢٩هـ)، و (أبو العلاء المعرِّيّ ت ٤٩٩ هـ)،

وَجرَتْ بَينه وبين الأخيرِ رَسائلُ أدبيَّةٌ، حتَّى أَكْبَرَ عِلْمَه[1]، وكانت هذه الرسائلُ مَحَلَّ دراسةِ بَعْضِ الباحثين.

ونظرًا لشُهرة هذا العالم الأديبِ أَجِدُني في غِنًى عَن الإسهابِ في تَرْجَمَتِهِ، فقد كَفاني بعضُ الأفاضلِ هذا الأمرَ، وحَدا بي إلى عَدمِ التَّكرارِ مُكْتَفِيًا بالتَّعريفِ الموجَزِ بين يدي هذه الصَّفَحاتِ، ومَن أَرادَ الوقوفَ على تَفاصِيلِ حَياتِهِ فبإمكانِه الرجوعُ إلى مَا كتبه عنه كُلٌّ مِن: (إحسان عباس)، و (حمد الجاسر)، و (سامي الدهان)، وهذه بعضُ المؤلَّفات التي ضَمَّت تَراجمَ له، أَتَتْ عَلَى الكثيرِ ممَّا يتَعَلَّق به وبتُراثِه:

١- الوزيرُ المغربيُّ، أبو القاسم، الحُسين بن علي، دراسةٌ في سيرته وأدبه مع مَا تَبَقَّى مِن آثاره، (إحسان عباس)، دار الشروق، عمَّان، الأردن، ط١، ١٩٨٨م، ويقع الكتاب في (٢٥٤) صفحة.

٢- أدبُ الخَواصِّ في المختارِ من بلاغات قبائل العرب وأخبارِها وأنسابها وأيَّامِها، للوزير المغربيّ، تحقيق: (حَمَد الجاسر)، دار اليمامة، الرِّياض، ١٩٨٠م، يقع الكتاب في (٢٠٦) من الصَّفحات، استغرقت الترجمة ص ص ٢ ـ ٤٥.

٣- الإيناسُ في علمِ الأنساب للوزيرِ المغربيّ، حَقَّقَه (حَمَدُ الجاسر)، ونشره مع كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمَّد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) في كتابٍ واحد، في دار اليمامة، الرِّياض، ١٩٨٠م- استغرقتِ التَّرجمةُ ١٥ صفحة من أول الكتاب.

٣- كتابٌ في السِّيَاسَةِ، للوزير المغرِبي، حقَّقه (سامي الدَّهان)، ونشره في المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٤٨م، ويقع الكتاب في (١٤٨) صفحة- احتلت الترجمة للوزير المغربي وأخباره عن كتب الأدب والتاريخ، ص ص ٨٧ ـ ١١٨.

٤- أبو القاسم المغربي في ضوء الدِّراسة الفنِّيَّة، (أحمد عبد الحليم سعفان)، مجلَّة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ١٧، ١٩٩٥م، ويقع البحث في (٣٦) صفحة، وفي مقدمته ترجمةٌ للوزير المغربي، ص ص ٢٩٨ ـ ٣٠٦.

٥- المصابيح في تفسير القرآن الكريم للحُسين ابن علي المعروف بالوزير المغربي، (من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء)، أطروحة دكتوراه، تحقيق: جامعة أم القرى، (عبد الكريم صالح الزهراني)، ٢٠٠٠م- وفي مُقَدِّمَتِها تَرْجَمَةٌ للوزير المغربيّ من حيث نَسَبِهِ ومَوْلِدِه، ومراحلِ حياته ومكانتِه الأدبية ومذهبه، وفيها أيضًا حَصْرٌ دقيق لمؤلفاته ص ص ٢ - ٤٠.

وهناك دراساتٌ أخرى تناولتْ جوانبَ عديدةً في شَخصية الشَّاعر، وفكرِه، ومذهبه، وثقافتِه، وعلاقتِه برجالاتِ عصره، ودوره في الحياة السِّيَاسِيَّة[2].

فَمَع كثْرةِ التَّراجمِ والدِّرَاساتِ المأثورةِ عَن (الوزير المغربي) وَأَدَبِهِ أقُول: إنَّه "أبو القَاسم، الحُسين بن عِلي بن الحسين بن عليّ بن محمّد ابن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن بـاذان بن ساسان بن الحرون بن بـلاش بن جاماس بن فيروز بن يزدجر بن بهرام جور"[3] الفارسيّ الأصل[4]، والمكَنَّى بأبي القاسم[5]، والمعروف بابن الوَزير؛ لأنَّ أباه تَوَلَّى الوِزَارَةَ[6]، والمولود عام (٣٧٠ هـ)[7].

المنتخبُ من شِعْرِ الوَزيرِ المغْربِيّ (٣٧٠ - ٤١٨ هـ)

والمتوفّى عام (٤١٨ هـ) في ميافارقين[٨]، والمنسوب للمَغْرِبيّ نسبةً إلى أحدِ أَجْدادِه، وَهو (عَلِيِّ بن محمّد)[٩]- الذي كان يخلف على ديوان المغرب، فَنُسِبَ به إلى المغْرِبيّ[١٠].

تَوَلّى الوَزارةَ لمشرفِ الدَّولَةِ البويهي ببغداد[١١]، ورَحَلَ إلى عدة أمصار عربية آنذاك، منها: مِصر، والشّام، وبغداد، وميّافارقين وغيرها[١٢]، واتّصل بعددٍ من علماء عصره بوساطة إبداعِه الأَدَبيّ[١٣]، واتّساعِ ثقافته، التي أَهّلَتْهُ لأنْ يُؤلِّفَ كثيرًا من الكتب، أَحْصاها (حمد الجاسر) في (٢٦) كتابًا[١٤].

أمّا بالنِّسبة لتُراثِه الشِّعريّ فقد كان له ديوان، ذَكَرَه (ابن خَلِّكَان ت ٦٨١هـ)[١٥]، ولكنّه لم يصلْ إلينا؛ لذا لم يَبْقَ أمامَ الباحثين إلا أن يُنَقِّبُوا عن شِعْرِه في مصادر التُّراثِ العَرَبيّ، لتَقْديمِهِ مُوثّقًا وَمُرَتّبًا بَينَ دَفّتَي دِيوانٍ ليكونَ عِوَضًا عَن دِيوانِه المفقود، ومنذ عام (١٩٤٨م)، والفِكْرَةُ مسيطرة عَلى بَعض الباحثين.

١- فقد قامَ في العَام المذكور (سامِي الدَّهان) بعمل فهرسٍ لأشعاره في المصادر التُّراثيّة، وذلك في نهايةِ تَحقيقِهِ لِكِتَابِ السِّيَاسَة.

٢- ثُمّ تلاه (حمد الجاسِر) فَنَشَر مَجْموعةً من شِعْرِه في مُقَدّمة تَحْقيقه لكتاب أدب الخَوَاصّ.

٣- ثم جاء (إحسان عبّاس)، فألّف كتابه عن الوَزير المغربيّ وتراثه، استقصى فيه شِعْرَه من المصادر المطبوعةِ والمخطوطة التي تَوصّلَ إليها، وَنَسّقَ الأشعارَ التي جَمَعَها وَرَتّبَها عَلى حُروف المعجم، وفي ذلك إحياءٌ لِذِكرِ شَاعرٍ، أَتَتِ الأَيّامُ عَلَى دِيوانه، وَيُعدُّ عَمَلُ (إحسان عبّاس) خُطوةً جيّدةً في سبيل الدِّرَاساتِ الأَدَبيّة والنَّقْدِيّة.

٤- ثُمّ تَقدَّمَ (بوشعور الحاج بو مدين) عام ١٩٩٤م برسالةِ ماجستير بعُنوان: "الحُسين بن عليّ بن الحُسين الوزير المغربيّ: حياتُه وشعره إلى جامعة تلمسان، بالجزائر، وهي غيرُ مَنْشورة؛ لذا لم يُتَحْ لِي الاطلاع عليها.

٥- ثُمّ قُمْتُ من جَانِبي بِنَشْرِ دِراسَةٍ تَحْقِيقِيّة نَقْدِيّة في العدد ٧٦، عام ٢٠١١م من هذه المَجَلّة حَوْلَ مَجموع (إحسان عبّاس) لشعر (الوَزير المغربيّ) تحت عُنوان: (حول ديوانِ الوَزِيرِ المغْرِبيّ).

وَمَعَ مُرورِ الأَيّامِ وَمُواصَلَةِ البحثِ عَثَرْتُ عَلَى نُسْخَتَيْنِ مِن بَعض الأَوراقِ المخطُوطةِ الّتي تَضُمُّ مُنْتَخبًا مِن شِعْرِ عَدَدٍ من الشُّعراء، مِن بَينهم (الوَزيرُ المغربِيّ)، وفي هذا المنتَخَبُ بعضُ النُّتَفِ والمقَطّعاتِ الجديدةِ التي أَخلّتْ بِها كُلُّ المُحاولاتِ الشابقة، فَبادَرْتُ إلى استحضارِهما، وقُمْتُ بتحقيقِ هذا المنتخبِ ليكونَ خُطْوةً في سبيلِ الارتقاءِ بشعرِ هذا الشّاعر، ودعوة لمواصلةِ الاهتِمَامِ به.

إنّ قارئَ الصّفحاتِ الآتية سيرى أنّها احتوتْ على (٤٢) مقطّعة شعريّة، من بينها مقطوعات أخلّ بها الديوان المنشور في كتاب (إحسان عباس) – كما ذكرتُ - وهي التي لم تُخَرّج عليه هنا في الهوامشِ، وَتَدُلُّ هذه الصّفحاتُ بِمَا تَحْمِلُ مِن شِعْرٍ عَلَى أَنّ الشّاعر كانَ مِن شُعراء المقطّعاتِ، وَأنّ شِعْرَه (كَأَشْعارِ الكُتّابِ الذين يَلْتَمِسُون فيها الإطرافَ والإغرابَ والنُّكَتَ البَيانِيّة والبديعيّة"[١٦].

وقد وقفتُ منذُ اهتمامِي بشعرِ (الوزير المغربيّ) قبل عام ٢٠١١م على إشارةٍ في فهرس المخطوطاتِ الشّعريَّةِ بالمكتبةِ الظّاهريَّةِ على نسخةٍ مخطوطةٍ في (٤) ورقات ضمنَ مخطوطِ مختاراتٍ شِعريَّةٍ، لم أَتَمَكّنْ مِن الحُصُولِ عليها من هذه المكتبةِ في حِينها، وبمتَابَعةِ البحث وجدت أنَّ في (مركزِ جمعة الماجد) صُورةً مِنها، فَلَمْ أتوانَ في الكِتَابَةِ إلى المشرفينَ على المخطوطاتِ في المركز فبادروا – جزاهم الله خيرًا – إلى إرسالِها إليَّ، وبمواصَلَةِ البحث عثرتُ علَى نُسخةٍ أخرى من المختاراتِ نفسِها، فَعملتُ في تحقِيقِهَا لتَكُون إضافَةً إلى شعر (الوزير المغربيّ).

النُّسختانِ المعتمَدتانِ في التّحقيق:

اعتمدتُ في تحقيقِ هذه المجموعةِ الشِّعريَّة على نسختين، هذا وَصْفٌ لَهما:

(١) النُّسخة الأولى هي مُصَوَّرةُ (مَركز جمعة الماجد) رقم (٢٣٠٣٤٧)، بعنوان: "أبيات متفرقة للمغربي علي بن الحسين الكاتب الوزير"، وتقعُ في ٤ ورقاتٍ ضمن مجموعٍ مخطوطٍ، ومن خلال وصفِ مَخطوطة المكتبة الظّاهرية لمنتخب شعر (الوَزيرِ المغربيّ)[١٧] الوَارد ضِمن مجموع رقم (٣٣٢٣) عام، والنَّظر في صفحة الغِلاف المرفقة والمرسَلة من قِبل المركز تَبيَّن أنّها صُورةٌ من مخطوطةِ المكتبة الظاهرية، وَوسمتُها بالحَرْفِ (م).

وبدايتُها:

لمثلِ ذَا اليَومِ يَا مُعَذِّبَتِي
كَانَتْ تُرَجِّيكَ أُخْتُكَ الشَّمْسُ

قُومِي اخْلُفِيهَا فِي ذَا الكُسُوفِ فَفِي
وَجْهِكَ إِنْ أَوْحَشَتْ لَها أُنُسُ

وغَلِّطِي حاسبَ النجومِ فإن
لُحْتِ وَغَابَتْ أَصَابَهُ لَبْسُ

ونهايتُها:

فَالرَّأْيُ عَيْنُ الرَّأْيِ لِي
فِي هَرَبِي مِن ذَا البَلَدْ

فَإِذَا دَنَا مِنِّي الأَجَلْ
مِتُّ وَلَمْ يَلْمْ أَحَدْ

(٢) النُّسخةُ الثّانيةُ، وهي ضِمْنَ مجموعةٍ مَخْطُوطَةٍ بعُنوان: "مُنْتَخَبَات مِن دواوين"، وهي محفوظَةٌ في المكتبة التَّيموريَّة بدارِ الكتب المصريَّة، برقم ٨٢٣ شعر تَيمور، في ١٢١ ورقة، ويحتلُّ شعرُ (الوزيرِ المغربيّ) فيها ٤ ورقات، من ص ٢٦ – ٣٣، ولا تَتَّفِقُ في بِدَايَتِها ونهَايَتِها مع مُصَوَّرَة نُسخة مَركز جمعة الماجد، ووسمتُها بالحرف (ت)، والبداية هي:

للوزيرِ أَبِي القَاسِمِ الحُسَينِ بن عَليّ المغرِبيّ

بسم الله الرّحمنِ الرَّحيم

عُلِّمتُ مَنطقَ حَاجِبَيهِ
والبَينُ يَنْشُرُ رَايَتَيهِ

هَا قَدْ نَظَرْتُ مِنَ الحيـ
ـاةِ بِأَسْرِهَا نَظَرِي إِلَيهِ

والنِّهايَةُ هِي:

أَيَامَ أَنْ كَفُّ المنَايَا تَغَلَّبَتْ
عَلَيَّ فَأَوْدَتْ بِي إِلى حُكْمِهَا قَسْرَا

فما مـتُّ حتى شَيَّد المجدُ والعُلا

مَكَانِي وَاستَوْفَتْ مَنَاقِبِي العُمْرَا

وَنِلْتُ الذي أَبْغِي مِن الدَّهرِ سَطْوَةً

فَأبْقَيْتُ في الدُّنيا لأَوْلادِكَ الذِّكْرَا

وَجاءَ في نهاية النُّسخة التَّيمورية للمخطوط الكُلِّي بما يُؤَكِّدُ أَنَّها منسوخَةٌ من النُّسخةِ الظَّاهريةِ المكتوبَةِ عام (٤١٠ هـ) في قول النَّاسخ: "نُقِلَ من كتابِ مَعَانِي الشِّعر للأشنانداني، وبآخره هذه النُّبَذ الشِّعرية بقلمِ محمّد بن علي بن إسحاق الكاتب بيده في ذي القعدة سنة عشر وأربع مئة، أدبيَّات منظومة نمرة ٤ المكتبة الظَّاهرية العُمومية بدمشق".

وأضافَ نَاسِخُ النُّسخة التَّيمورية في نهاية المجموعِ الكُلِّي إفْصَاحًا عن نَفْسِه وعن تاريخ النَّسخ في قوله: "بقلم الحَقير[١٨] إلى ربِّه المانح محمد صادق فهمي بن السَّيد أمين المالح المقيم بالمكتبة الظَّاهريَّة للنَّسخ خاصَّةً، غَفَرَ اللهُ له ولوالديه، ولمن تَسَبَّبَ باتِّصَال الخَيْرِ إليهما، وإليه وللمُسلمين، وكان الفراغ يوم الأربعاء الثَّاني عشر من شهر شعبان سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف ١٣٣٩".

أمَّا عن توثيقِ نسبةِ مُحتوى هذه الصَّفحات من أشعارِ للشَّاعر فَمِمَّا لا ريب فيه أنَّها صحيحةُ النِّسبةِ للشَّاعرِ، وخيرُ دليل على هذا أنَّنا وقفنا على بعضِها منسوبةً إليه في المصادر الأخرى، وعنها وردت في ديوانه الذي جمعه (إحسان عبَّاس)، كمَا يَدُلُّ عليه التَّخريج.

وأمَّا عَن الجَامِعِ الرَّئيسِ لِهَذِه الحَصِيلَة من شِعرِ (الوَزِيرِ المغْرِبيّ) وَشِعرِ غيرِه فَلَم يُذكرِ اسمه في أول النُّسختين أو في نِهَايَتِهما، ولعلَّه (محمد بن عليٍّ بن إسحاقَ الكَاتب)، وَلَعَلَّ هذا كان عام (٤١٠ هـ).

أَهَمِّيَّـةُ تَحقيـقِ هـذا المنتخبِ من شِـعْرِ (الوَزِيرِ المغْرِبِيّ):

لا يَخلُو تَحقيقُ هذا المنتخبِ من أهميّةٍ بالنِّسبةِ لتُراثِ (الوزيرِ المغربيّ)، وَتَتَمَثَّل أهميّة نَشْره في الآتي:

١- اشتِمَالُه عَلَى بَعْضِ المقَطَّعاتِ والنُّتَفِ التي أَخَلَّ بِهَا دِيوانُ الشَّاعِرِ المنشورِ، وانفرادُهَا بِـرِوَايَـةِ هذِه المقَطَّعَاتِ من دُون مَصَادِرِ التُّراثِ العَرَبِيّ، فَهِي تُعَدُّ المصْدَرُ الوحيد لها.

٢- لَهُ أَهَمِّيَّةٌ في زِيَادَةِ تَوْثِيق المقَطَّعَاتِ المثبتَةِ في دِيوانِ الشَّاعِرِ.

٣- انفرادُه بِبَعضِ الرِّوَاياتِ المخالِفَةِ لِروَايَةِ عَدَدٍ غَيرِ قَليلٍ مِن الأَبيَاتِ المدرَجَةِ في الدِّيوان، كما يظهرُ مِن هَوَامِش التَّحقيقِ، وَلَعَلَّ هَذهِ الرِّوَايَةَ تُفِيدُ في دِرَاسَةِ النَّصّ الشِّعْرِيّ.

٤- احتِوَاؤُه عَلَى نُتَفٍ قَليلَةٍ مَنْسُوبَةٍ لِغَيرِ (الوزير المغربي) في المصادر الأُخرى، وقد كَشَفَ التَّحْقِيق عَن هذا الوَهْمِ وَصَحَّحَهُ.

٥- ثُمَّ إِنَّه بَعْدَ ذلك أَثَرٌ نَفِيسٌ مِن آثارِ التُّراثِ العَرَبِي الَّتي يُحْرَصُ عَلَى كَشْفِ النِّقابِ عَنه وإحيائه.

ميكروفيلم
عنوان المصنف: مجموع منتخبات من دواوين
اسم المؤلف:
٤١٠ هـ
مصور عن النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية
تحت رقم ٨٢٢ شعر تيمور

صورة غلاف المخطوطة التيمورية

المغربي

للوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

علت نظن حاجبيه . والبين بنشر رابيته
هافد نظرت من الحياة . بأسرها نظري إليه
وعرفت الآن النعيم . بقبلة في عارضيه
ولقد رأه في الخليج . يشقه من جانبيه
تلألأ مثل السيف وهو . فرنده في صفحتيه
وكأنه في الآفاق بين . اشراقي إليه
لا تشربوا من مائه . أبدا ولا تردوا عليه
قد ذاب فيه السوسن . حركاته أو مقلتيه
صبغت بياض الليل صبغة . حمرة في وجنتيه

وله أيضا

وجارية فؤادي من . هواها مضرم الوهج
لها نهدان قد نجما . كأن قبلي سطوح

وله أيضا

يوم الكسوف جلا على بصري . قمرا أحار الجن والإنسا
قامت تحلت من ذوائبها . وتجللت من شعرها لبسا
سألتها لم قد لبست دجى . قالت أساعد أختي الشمسا

وله أيضا

قالوا الكسوف الشمس تغرب . قلت ادخرت لدفع نائبها

تثني بكأس سفيها وكأس شفيها . ويفعل ماضيها وكأنبها
من لو يشا أعاد مشرقها . يقيسها لك من مغاربها
هي شعلة من نوره فإذا . ما شاء أظلم أو أضاء بها

وله أيضا

يا أهل مصر قد عاد بأسكم . بالكرخ بعد الشقي إلى الفلك
خشن قلبي مترطن غنج . بدل التركي فيه من النسك
رمى فؤادي بسهم مقلته . وكيف يخطئ مولد الترك

وله أيضا

ديون المكارم لا تنقضي . كما تنقضي واجبات الديون
ولكنها في قلوب الكرام . تجول مجال القذى في العيون

وله أيضا

يا من إذا ازداد تيهها . في الحب زدت خضوعا
أخذت قلبي صحيحا . فرده مصدوعا

وله

ولكم تراسلت أب . حث بالدأم عن مراده
أعددته منها بالصفا . تنشف عما في فؤاده

وله

يعاتب المرتضى علم الدين

لحى الله ودا مثل ودك لم يدم . له عند أعقاب الأمور ذمام
أحين عصيت الناس فيك تحيزوا . عواذل لا يقروا على سلام
أضعت الذي قد كنت قبل عصيته . كأن لم يكن مني إليك ذمام

صورة الورقة الأولى من شعر الوزير المغربي من المخطوطة التّيموريّة

صورة الورقة الأخيرة من شعر الوزير المغربي من المخطوطة التَّيْمُوريَّة

١١٠

اذا ما لبست البؤس عند تصبي . ترى عنده اعلى الى بلون رجائي
ولن يرتجى نصر ولا كشف غمة . اذا جاء داء من مكان دواء
الى الله يسعى من يعض بكاله . فقل من يسعى من يعض بماء
لك العفو عما قد مضى ولك الرضى . ولي ان توفي لي حقوق وفائي
تعال نكاتم غيثنا وعتابنا . لئلا تحيطنا من الخاطئ
ولا تسقني ماء الوصال مكدرا . فنحن بصفوهم دعي امن بظماء
وكل بحر النار مرضا لفرضه . وكل بمكر خادع ودهاء
رضوا من معاصيهم بتشنيع بهمة . فان هان شيع طرمذ الحسناء
تسمى باسماء الاخيار معاشر
وما عندهم من ذمة الاحرار

لبعض الاعراب

استغفر الله لذنبي كله . قبلت انسانا بغير حله
لحسن عينيه وحسن دله . ما مص الليل ولم اصله
والسكر مفتاح لهذا كله

وانشد

يصحح اصل المرء عندي فعاله . ويبطل عندي ماله وجماله
يهون على المرء ما دام فاخرا . باسلافه ما لم يزنه كماله
وذكر العلى الماضي قليل اعتماده . اذا قل قدر المرء او ساء حاله
اذا القرشي المحض اظلم فعله . فاكرم منه من تضيء خصاله

وانشد

١١١

من ظهر الباس ابدى الناس هيبته
حتى يرى حملا في اعين الناس
الباس عز وما للباس من ثمن
هات امرءا ذل جاه لعرض للباس
للناس مال ولي مالان ما لهما
اذا تحارس اهل المال حراس
مالي رضائي بما اصبحت املكه
ومالي الناس مما يملك الناس

والحمد لله اولا
واخرا
م

نقل من كتاب معاني الشعر للاستاذ ابي رياش
هذه النبذ الشعرية بقلم محمد بن علي بن الخا...
الكاتب بيده في ذي القعدة سنة عشر واربعمائة
ابيات مقطوعة

المكتبة الظاهرية العمومية بدمشق

تمت بقلم الفقير اليه تعالى محمد صادق ... بن السيد ... الناسخ المقيم
بالمكتبة العمومية الظاهرية للنسخ خاصة غفر الله له ولوالديه
ولمن تسبب باتصال الخير اليهما والى المسلمين وكان الفراغ يوم
الاربعاء الثاني عشر من شهر شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة والف
١٣٢٩

صورة الورقة الأخيرة من شعر الوزير المغربي من المخطوطة التَّيْمُورِيَّة

صورة من مخطوطة مركز جمعة الماجد

للوزيرِ

أبي القَاسِمِ الحُسَين بن عليٍّ المغربيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

[قال الوزيرُ المغربيُّ][١٩]: [من مجزوء الكامل]

١ـ عُلِّمتُ منطقَ حاجبيهِ
والبينُ ينشُرُ رايتيهِ

٢ـ ها قد نظرتُ من الحيـ
ـاةِ بأسرِها نظري إليهِ[٢٠]

٣ـ وعرفتُ آلاتِ النَّعيـ
ـمَ بقبلةٍ في عارضيهِ[٢١]

٤ـ ولقد أراهُ في الخليـ
ـجِ يشقُّهُ من جانبيهِ

٥ـ والماءُ مثلُ السَّيفِ وهـ
ـو فرندُهُ في صفحتيهِ[٢٢]

٦ـ وكأنَّهُ في الماءِ قلـ
ـبي بينَ أشواقي إليهِ[٢٣]

٧ـ لا تشربُوا من مائِهِ
أبدًا ولا تردُوا عليهِ

٧ـ قد ذابَ فيه السِّحرُ من
حركاتِهِ أوْ مقلتيهِ[٢٤]

٨ـ صبغتْ بياضَ النِّيلِ حمـ
ـرةُ وردةٍ في وجنتيهِ

(٢)

وله أيضًا: [من مجزوء الوافر]

١ـ وجاريةٍ فؤادي مِن
هواها مضرمُ الوهجِ

٢ـ لها نهدانِ قد نجمَا
كنابي فيلِ شطرنجِ[٢٥]

(٣)

وله أيضًا [٢٦]: [من الكامل]

١ـ يومُ الكُسُوفِ جلا علَى بصرِي
قمرًا أحارَ الجنَّ والإنسَا

٢ـ قامتْ فحلَّتْ مِنْ ذوائِبِهَا
وتجلَّلتْ من شعرِها لِبسَا[٢٧]

٣ـ فسألتُها لمْ قدْ لبستِ دُجى
قالتْ: أُساعِدُ أُختِيَ الشَّمْسَا!

(٤)

وله أيضًا [٢٨]: [من الكامل]

١ـ قالُوا: كُسُوفُ الشَّمْسِ مُقْتَرِبٌ
قُلْتُ: ادَّخرتُ لِدفعِ نائِبِها

٢ـ ثِقتِي بِكاسِفِهَا وكاشِفِهَا
وبِفِعْلِ ماحِيهَا وكاسِبِهَا[٢٩]

٣ـ مَنْ لوْ يشاءُ أعدَّ مشرقَهَا
مُتبسِّمًا لكَ مِنْ مغارِبِهَا

٤ـ هِيَ شُعْلَةٌ مِنْ نُورِهِ فإذَا
ما شاءَ أظْلَمَ أوْ أضاءَ بِهَا

المنتخبُ من شِعْرِ الوزيرِ المغْرِبِيّ (٣٧٠ ـ ٤١٨ هـ)

(٥)

وله أيضًا [٣٠]: [من المنسرح]

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ عَدَ نَاسِكُكُمْ

بِالكَرْخِ بَعْدَ التُّقَى إِلَى الفَتْكِ[٣١]

٢ـ جَمَّشَ قَلْبِي مُقَرْطَقٌ غَنِجٌ

بَدَا لِقَلْبِي فِيهِ مِن النُّسُكِ[٣٢]

٣ـ رَمَى فُؤَادِي بِسَهْمِ مُقْلَتِهِ

وَكَيْفَ يُخْطِي مولَّدُ التُّرْكِ؟

(٦)

وله أيضًا [٣٣]: [من المتقارب]

١ـ دُيُونُ المَكَارِمِ لا تُقْتَضَى

كَمَا تُقْتَضَى وَاجِبَاتُ الدُّيُونِ

٢ـ وَلَكِنَّهَا في قُلُوبِ الكِرَامِ

تَجُولُ مَجَالَ القَذَى في العُيُونِ[٣٤]

(٧)

وله أيضًا: [من المجتث]

١ـ يَا مَن إِذَا ازْدَادَ تِيهًا

فِي الحُبِّ زِدْتُ خُضُوعَا

٢ـ أَخَذْتَ قَلْبِي صَحِيحًا

فَرُدَّهُ مَصْدُوعَا

(٨)

وله: [من مجزوء الكامل]

١ـ وَمُكَابِرٍ أَرْسَلْتُ أَبْـ

ـحَثُ بِالمُدَامَةِ عَنْ مُرَادِهْ[٣٥]

٢ـ أَمْدَدْتُهُ مِنْهَا الصَّفَا

ءَ فَشَفَّ عَمَّا فِي فُؤَادِهْ[٣٦]

(٩)

وَلَه يُعَاتِبُ المرتضى عَلَمَ الدِّينِ: [من الطَّويل]

١ـ لَحَى اللهُ وُدًا مِثْلَ وُدِّكَ لَمْ يَدُمْ

لَهُ بَعْدَ أَعْقَابِ الأُمُورِ تَمَامُ[٣٧]

٢ـ أَحِينَ عَصيتُ النَّاسَ فِيكَ فَأَصْبَحُوا

عَوَاذِلَ، لا يُقْرَا عَلَيَّ سَلامُ[٣٨]؟

٣ـ أَطَعْتَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ قَبْلُ عَصَيْتُهُ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَيْكَ ذِمَامُ

(١٠)

وقال: [من المديد]

١ـ لِي حَبِيبٌ قَدُّهُ غُصُنٌ

وَلَهُ مِن ثَغْرِهِ زَهَرُ

٢ـ أَشْبَعَ المَعْنَى لِنَاظِرِهِ

رِدْفُهُ وَالخَصْرُ مُخْتَصَرُ

٣ـ ظَالِمٌ عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ

إِنَّ ظُلْمَ الظَّلْمِ مُغْتَفَرُ[٣٩]

٤ـ فَنَصِيبِي فِي الهَوَى نَصَبٌ

وَهْوَ عَيْنِي السُّولُ وَالوَطَرُ

(١١)

وله[٤٠]: [من مجزوء الوافر]

١ـ غَزَالٌ لَمْ أُلِابِسْ قَبْـ

ـلَهُ التَّبْرِيحَ وَالكَمَدَا[٤١]

٢ـ أَظُـــنُّ عـــراهُ جَانِـيـة

لـعـشـقـي مـولـدًا رصـــدا[٦٢]

(١٢)

وله أيضًا [٦٣]: [من المنسرح]

١ـ لمثْلِ ذَا الـيَـومِ يَـا مُـعَـذِّبَتِي

كَـانَـتْ تُرَجِّيكِ أُخْتُـكِ الشَّمْسُ[٦٤]

٢ـ قُومِي اخْلُفِيهَا في ذا الكُسُوفِ فَفِي

وَجْهِـكِ إِنْ أَوْحَـشَـتْ لها أُنُـسُ[٦٥]

٣ـ وغـلْـطِي حـلـسبَ الـنجومِ فإن

لُـحْـتِ وَغـابَـتْ أَصَـابَـه لَـبْـسُ[٦٦]

(١٣)

وقال أيضًا: [من الكامل]

١ـ يَـا أَيُّـهـا المفْتِي هُـدِيتَ أَبِنْ

شَـكًّـا غَـدَا بـالـعِـلْـمِ مُـمْـتَـزَجَـا

٢ـ هَـلْ نَـظْـرَةُ الـعُـشَّـاقِ قَـاطِـعَـةٌ

لِـصَـلاتِـهِ أَمْ لا يَـرَى حَـرَجَـا[٦٧]؟

(١٤)

وقال أيضًا[٦٨]: [من الخفيف]

١ـ عَجِبَتْ هِندُ مِنْ تَسَرُّعِ شَيْبِي

قُـلْـتُ: هَـذا عُقْبَى فِطَامِ السُّرُورِ!

٢ـ عَوَّضَتْنِي يدُ الثَّلاثِينَ من مسـ

ـكِ عِـذَارِي رَشًـا مِن الـكَـافُـورِ[٦٩]

٣ـ كَانَ لِي في اقْتِرَابِ شَيْبِي حِسَابٌ

غَـالَطَتْنِي فِيه صُرُوفُ الدُّهُورِ[٧٠]

(١٥)

وقال أيضًا[٧١]: [من السريع]

١ـ تَـمَـرَّسَـتْ مِـن الـعُـلا بـامْـرِئٍ

تَـعَـلَّـقَ الـمَـجْـدُ بِـأَمْـرَاسِـــهِ[٧٢]

٢ـ يـسْـتَـنْـجِـدُ الـنَّـجْـدَةَ مِـنْ رَأْيِـهِ

ويَـسْـتَـقِـلُّ الـكَـرُّ مِـنْ بَـاسِـهِ[٧٣]

٣ـ أرْوَعَ لا يُـقْـصِـرُ عَـنْ تِيهِـهِ

والسَّيفُ مَسْلُولٌ عَلَى رَاسِـهِ[٧٤]

(١٦)

وقال أيضًا[٧٥]: [من السريع]

١ـ رَغِـبْـتُ فـي مِـلَّـةِ عِيسَى وَقَـدْ

كُـنْـتُ امْـرَأً أَرْغَـبُ فـي مِـلَّـتِـهْ[٧٦]

٢ـ رَغَّـبَـنِـي فـي دِيـنِـهِ شَـادِنٌ

رَأَيْـتُـه يَـخْـطُـرُ في بَيْـعَـتِـهْ[٧٧]

٣ـ صُـنْـعُ حَـكِـيمٍ مَـا أَرَى أَنَّـهُ

يُـسَـلِّـطُ الـنَّـارَ عَـلَـى حِكْـمَـتِـهْ

٤ـ إِنْ كَـان ذا مِـنْ سَاكِـنِي نَـارِهِ

فَـنَـــارُهُ أَطْـيَـبُ مِـنْ جَـنَّـتِـهْ

(١٧)

وقال أيضًا[٧٨]: [من الكامل]

١ـ كُن حَاقِدًا مَا دُمْتَ لَسْتَ بِقَادِرٍ

فَـإِذَا قَـدَرْتَ فَخَلِّ حِـقْـدَكَ وَاغْـفِـرِ

٢ـ واعْـذُرْ أَخَـاكَ إِذَا أَسَـاءَ فَرُبَّمَا

لَـجَّـتْ إِسَـــاءَتُـــهُ إِذا لَـمْ تَـعْـذِرِ

(١٨)

وقال أيضًا [59]: [من البسيط]

١ـ اللهُ يَعْلَمُ مَا إِثْمٌ هَمَمْتُ بِهِ
إِلَّا وَبَغْضَهُ خَوْفِي مِنَ النَّارِ

٢ـ وَأَنَّ نَفْسِيَ مَا هَمَّتْ بِمَعْصِيَةٍ
إِلَّا وَقَلْبِي عَلَيْهَا عَائِبٌ زَارِ [60]

(١٩)

وقال [61]: [من مخلع البسيط]

١ـ رَأَيْتُ سَوداء تَيَّمَتْنِي
زَادَ عَلَى حُسْنِهَا الدَّلَالُ [62]

٢ـ كَاللَّيْلِ تُسْتَسْهَلُ المَعَاصِي
فِيهِ وَيُسْتَعْذَبُ الوِصَالُ

(٢٠)

وقال أيضًا: [من البسيط]

١ـ أَضْلَلْتُ حُكْمِي فِي سَوْدَاءَ فَاتِنَةٍ
كَلِيلَةِ الوَصْلِ فِي لَوْنٍ وَفِي طِيبِ

٢ـ غَفَلْتُ عَنْ فُرْصَةِ الأَيَّامِ فِيكِ وَقَدْ
بَذَلْتِ بَذْلَ مَنِيعٍ مِنْكِ مَوْهُوبِ [63]

٣ـ فَالآنَ صِرْتُ إِلى قَصْرٍ حُجِبْتُ بِهِ
وَكَيْفَ لِي بِمَنِيعِ الوَصْلِ مَحْجُوبِ؟

٤ـ عَلَّمَتْنِي الحَزْمَ لَكِن بَعْدَ مُوجِعَةٍ
مِنَ الفَجَائِعِ أَثْمَارُ التَّجَارِيبِ

(٢١)

وقال [64]: [من المجتث]

١ـ مَا لِلْمُطِيعِ هَوَاهُ
مِنَ المَلَامِ مَلَاذُ

٢ـ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِمَّا
عِرْضٌ وَإِمَّا التِذَاذُ

(٢٢)

وقال [65]: [من مجزوء الكامل]

١ـ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي
أَلْتَذُّ مِنْكُم بِاشْتِيَاقِي [66]

٢ـ وَأَكَادُ مِنْ أُنْسِ التَّذَكُّـ
ـرِ لا أَذُمُّ يَدَ الفِرَاقِ

٣ـ وَأُغِضُّ طَرْفِي بَعْدَمَا
مَلَأَتْهُ غِزْلَانُ العِرَاقِ

٤ـ وَأَفِرُّ مِنْ خَجَلِ العِتَا
بِ مَتَى سَعِدْنَا بِالتَّلَاقِي [67]

(٢٣)

وقال [68]: [من الوافر]

١ـ أَدِرْ كَأْسَ المُدَامِ فَإِنَّ قَلْبِي
أُتِيحَ لَهُ مِنَ التَّقْوَى ارْتِحَالُ [69]

٢ـ حَلَلْتُ بِبَابِلٍ وَأَرَدْتُ أَلا
أُهِيمَ لِسِحْرِهِمْ هَذا مُحَالُ [70]

(٢٤)

وقال [71]: [من الوافر]

١ـ تَبَدَّلَ مِنْ مُرَقَّعَةٍ وَنُسْكٍ
بِأَنْوَاعِ المُمَسَّكِ وَالشُّفُوفِ

٢ـ وَعَنَّ لَهُ غَزَالٌ لَيْسَ يَحْوِي
هَوَاهُ وَلا رِضَاهُ بِلُبْسِ صُوفِ [72]

٣ـ فَعَادَ أَشَدَّ مَا كَانَ انْتِهَاكًا
كَذَاكَ الدَّهْرُ مُخْتَلِفُ الصُّرُوفِ [73]

(٢٥)

وقال: [من المتقارب]

١ـ تَتَابَعْتُ في ظُلُمَاتِ الهَوَى
فَأَعْرَضَ لِيَ المَذْهَبُ الأَرْشَدُ[٧٤]

٢ـ وَمِلْتُ إلى الصُّفْرِ لمَّا رَأَيْـ
ـتُ أَنَّ طَرِيقَهُمُ الأَقْصَدُ

٣ـ فَلا شَاقَنِي بَعْدَكُمْ أَسْوَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ الشَّعْرُ الأَسْوَدُ

(٢٦)

وقال: [من البسيط]

١ـ في النَّفْسِ بَثٌّ وَلَكِن لَسْتُ أَذْكُرُه
خَوْفًا عَلَى الحُبِّ مِنْ وَاشٍ يُكَدِّرُهُ

٢ـ إنِّي لأَعْذُرُ مَنْ ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ
إِلَّا فُؤَادِي فَإنِّي لَسْتُ أَعْذرُهُ

(٢٧)

وقال[٧٥]: [من الخفيف]

١ـ كُنْتُ في سَكْرَةِ البَطَالَةِ وَالغَيْـ
ـي زَمَانًا فَحَانَ مِنِّي قُدُومُ[٧٦]

٢ـ تُبْتُ مِن كُلِّ مَأْثَمٍ فَعَسَى يُمْـ
ـحَى بِهَذا الحَدِيثِ ذَاكَ القَدِيمُ[٧٧]

٣ـ بَعْدَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَقَدْ ما
طُلْتُ إلا أَنَّ الغَرِيمَ كَرِيمُ[٧٨]

(٢٨)

وقال[٧٩]: [من الطويل]

١ـ قَطَعْتُ الغُلَا في هَجْرِ لَيْلَى وَإِنَّنِي
لأُضْمِرُ مِنْهَا مِثْلَ مَا يُضْمِرُ الزَّنْدُ[٨٠]

٢ـ صَرِيمةُ عَزْمٍ لَمْ يَكُنْ مِن رِجَالِهَا
سِوَايَ مِن الفِتْيَانِ قَبْلُ وَلا بَعْدُ[٨١]

(٢٩)

وقال: [من مجزوء الوافر]

١ـ أُحَاذِرُ مِنْ مُرَاقَبَةٍ
فَأَسْحَبُ كَارِهًا نَظَرِي

٢ـ وَأُعْرِضُ عَنْ قَرَاطِقِهِ
وَحَوْلَ ضَمِيرِهَا فِكَرِي[٨٢]

٣ـ فَأَذْهَبَ حُبُّهُ جَسَدِي
وَهَا رُوحِي عَلَى الأَثَرِ[٨٣]

(٣٠)

وقال[٨٤]: [من المنسرح]

١ـ وَلاعِبٍ في الهوى يؤمِّلُ أن
يَقْتُلَنِي جَاهِدًا وَأَهْوَاهُ[٨٥]

٢ـ قُلْتُ لِقَلْبِي وَقَدْ تَتَبَّعَهُ:
يَا قَلْبُ إِمَّا أَنَا وَإِمَّا هُو

(٣١)

وقال[٨٦]: [من مجزوء الكامل]

١ـ إنِّي أَبُثُّكَ مِن حَدِيـ
ـثِي وَالحَدِيثُ لَهُ شُجُونْ

٢ـ فَارَقْتُ لَذَّةَ مَضْجَعِي
لَيلاً فَأَرَّقَنِي السُّكُونْ

٣ـ قُلْ لِي: فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ
فِي القَبْرِ كَيفَ تُرَى أَكُونْ؟[٨٧]

٤ـ غـيَّـرْتُ مَـوْضِـعَ مَـرْقَـدِي
لَـيْـلا فَـنَـافَـرَنِـي الـسُّـكُـونُ[88]
٥ـ أَأُخَـيَّ لا تَـغْـرُرْكَ ذِي الـدُّ
نْـيَـا بِـزِيـنَـتِـهَـا الـفُـتُـونُ[89]

(٣٢)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١ـ سَـكَـرَ الـزَّمَـانُ وَغُـلِّـطَـتْ
أَيَّـامُـه فِـيـنَـا وَعَـرْبَـدْ
٢ـ وَقَـدِ اعـتَـزَلْـنَـا مَـنْـزِلا
فَـإِذَا صَـحَـا فَـالـعَـوْدُ أَحْـمَـدْ[90]

(٣٣)

وقال[91]: [من الكامل]

١ـ سَتَرَي مُخَالَصَتِي وَتَعْرِفُ لِي
طَبْعًا عَلَى غَيْرِ النِّفَاقِ بُنِي[92]
٢ـ وَإِذَا أَتَـى دَهْـرٌ بِـنَـائِبَـةٍ
وَنَـأى الأَصَـدِقُ فَالتَفِتْ تَرَنِـي[93]

(٣٤)

وقال[94]: [مخلع من البسيط]

١ـ كَـأْسُ مُـدامٍ صَـددتُ عَـنْـهَـا
لـلـهِ وَالـنَّـفْـسُ تَـشْـتَـهِـيـهَـا
٢ـ قَـالَ عَـلِـيٌّ وَكَـانَ عَـدْلا
قَـدْ طُـبِـخَـتْ قُـلْـتُ: فَـاسْقِـنِـيـهَـا
٣ـ فَـالآنَ قَـدْ عُـذِّبَـتْ قَـلِيلا
فَـدَتْ مِـنَ الـنَّـارِ شَارِبِـيـهَـا[95]

(٣٥)

وقال[96]: [من البسيط]

١ـ مَا عَابَنِي حَاسِدٌ إلا شَرُفْتُ بِهِ
كَأَنَّمَا حَاسِدِي فِي زِيِّ مُنْتَقِمِ[97]
٢ـ الـلـهُ يَـكْـلأُ حُـسَّـادِي فَـأَنْـعُـمُـهِ
عِنْدِي وَإِن جُعِلَتْ مِنْ غَيرِ قَصْدِهِمِ[98]
٣ـ يُنَبِّهونَ عَلَي فَضْلِي إذا كُتِبَتْ
صَحِيفَتِي فِي المَعَالِي عُنْوِنَتْ بِهِمِ

(٣٦)

وله[99]: [من الكامل]

١ـ خَـافَ المشيبُ تَعُبِي فَـأَجَارَه
ظَـلُّ الـهُـمُـومِ وَعَـزَّ ذَاكَ مُجِيرَا
٢ـ فَمَضَى الشَّبَابُ مُظَلَّمًا مُتَعَسِّفًا
وَأَتَـى المشيبُ مُجَامِلًا مَعْذُورَا

(٣٧)

وله: [من الكامل]

١ـ إنِّي وَدِدْتُ لَو أَنَّ رَحْبَ مَسَالِكِي
فِـيـمَـا أُوَمِّـلُـه كَـرَحْـبِ فُـؤَادِي
٢ـ أَبَـدًا لَـه سِجْنَـانِ يَقْتَسِمَانِهِ
مِنْ هَجْرِ أَحْبَابٍ وَحَرْبِ أَعَادِي

(٣٨)

وله[100]: [من المتقارب]

١ـ إذا مَا الأُمُـورُ اضْطَرَبْنَ اعتَلَى
سَـفِـيـهُ تُـضَـامُ الـعُـلا بـاعـتـلائِـهِ
٢ـ كَـذَا إذا الـمـاءُ حَـرَّكْـتَـهُ
طَفَا عَكَرٌ رَاسِـبٌ فِي إِنَـائِـهِ[101]

(٣٩)

وأَنْشَد عِنْدَ مَوْتِهِ[١٠٢]: [من الطويل]

١- أَيَّـامَ أَنْ كَـفُّ المنَايَا تَغَلَّبَتْ
عَلَيَّ فَـأَوْدَتْ بِي إلى حُكْمِهَا قَسْرَا

٢- فما مِتُّ حتى شَيَّدَ المجدُ والعُلا
مَكَانِي وَاستَوْفَتْ مَنَاقِبِي العُمْرَا

٣- وَنِلْتُ الذي أَبْغِي مِن الدَّهرِ سَطْوَةً
فَأَبْقَيْتُ في الدُّنيا لأَوْلادِكَ الذِّكْرَا

(٤٠)

وله[١٠٣]: [من مجزوء الرجز]

١- صَـيَّـرَنِـي حُـبُّـكَ يَـا
غَـزَالَ أَهْـلِ الـجَابـيَـةْ[١٠٤]

٢- أَبَـا نُـوَاسٍ بَـعْـدَمَـا
كُـنْـتُ أَبَـا الـعَـتَـاهِـيَـهْ

(٤١)

وله[١٠٥]: [من السريع]

١- أَسْلَمَنِي حُبُّ سُلَيْمَاتِكُمْ
إِلَـى هَـوًى أَيْـسَـرُهُ الـقَـتْلُ

٢- إِذَا بَـدَا جُـنْـدُ مَلاحَـاتِـهِ
قَالَ الـوَرَى مَـا قَالَتِ النَّمْلُ[١٠٦]

(٤٢)

وله[١٠٧]: [من مجزوء الرجز]

١- يَـا ظَـبْـيَـةَ الـدَّارِ الَّـتِـي اسـ
ـتُـوْثِـقَ مِـنـهَـا بـالـرَّصَـدْ

٢- أُطِـيـعَ فِـيـنَـا مَـنْ وَشَـى
وَسُـرَّ فِـيـنَـا مَـنْ حَـسَـدْ

٣- فَـالـرَّأْيُ عَـيْـنُ الـرَّأْيِ لِي
فـي هَـرَبِـي مِـن ذَا الـبَـلَـدْ

٤- فَـإِذَا دَنَـا مِـنِّـي الأَجَـلْ
مِـتُّ وَلَـمْ يَـعْـلَـمْ أَحَـدْ

فهرس القوافي والأوزان

قافية الهمزة

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
١	باعتلائِهِ	المتقارب	٢

قافية الباء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢	طيبِ	البسيط	٤
٣	نائِبِها	الكامل	٤

قافية التاء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٤	ملتةْ	السريع	٤

قافية الجيم

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٥	ممتزِجا	الكامل	٢
٦	الوهجِ	مجزوء الوافر	٢

قافية الدال

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٧	بالرَّصدْ	مجزوء الكامل	٤
٨	وعربدْ	مجزوء الكامل	٢
٩	الكَمَدا	مجزوء الوافر	٢
١٠	الزَّندُ	الطويل	٢
١١	الأرْشدُ	المتقارب	٣
١٢	فؤادي	الكامل	٢
١٣	مرادِهِ	مجزوء الكامل	٢

قافية الذال

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
١٤	ملاذُ	المجتث	٢

قافية الراء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
١٥	مُجيرا	الكامل	٢
١٦	قَسْرا	الطويل	٢
١٧	الثَّارِ	البسيط	٢
١٨	واغفرِ	الكامل	٢
١٩	الشُرورِ	الخفيف	٣
٢٠	نَظَري	مجزوء الوافر	٣
٢١	زَهْرُ	المديد	٤
٢٢	يكدِّرُه	البسيط	٢

قافية السين

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢٣	الإنسا	الكامل	٣
٢٤	الشَّمْسُ	المنسرح	٣
٢٥	بأمراسِهِ	السريع	٣

قافية العين

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢٦	خضوعا	المجتث	٢

قافية الفاء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢٧	الشفوف	الوافر	٣

قافية القاف

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢٨	اشتياقي	مجزوء الكامل	٤

قافية الكاف

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٢٩	الفتكِ	المنسرح	٣

قافية اللام

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٣٠	ارتحالُ	الوافر	٢
٣١	الدلالُ	مخلع البسيط	٢
٣٢	القتلُ	السريع	٢

قافية الميم

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٣٣	منتقمِ	البسيط	٣
٣٤	تمامُ	الطويل	٣
٣٥	قدومُ	الخفيف	٣

قافية النون

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٣٦	الدُّيونِ	المتقارب	٢
٣٧	شجونُ	مجزوء الكامل	٥

قافية الهاء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٣٨	الجَابيةْ	مجزوء الرجز	٢
٣٩	أهواه	المنسرح	٢

قافية الياء

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
٤٠	بُني	الكامل	٢
٤١	رايتيه	مجزوء الكامل	٨
٤٢	تشتهيها	مخلع البسيط	٣

الحواشي

(١) الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة لرضوان السيد ٢٥٣ مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، لبنان، مج١-ع ٤، ١٩٨٩م.

(٢) منها: دراسة إحسان عباس الموسومة بـ" بين أبي العلاء المعري و الوزير المغربي"، المنشورة عام ١٩٨٢م في ع ٢٥، من مج ٤، من مجلة الفكر العربي، (معهد الإنماء العربي)، بيروت.

ومنها: دراسة محسن جمال الدين الموسومة بـ"شخصيات مغربية في مصادر مشرقية الوزير المغربي"، المنشورة في مجلة البحث العلمي، المغرب، مج ١٣، ع ٢٦، ١٩٧٦م.

ومنها: دراسة لرضوان السيد الموسومة بـ"الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة، المنشورة في مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، لبنان، مج١-ع ٤، ١٩٨٩م.

(٣) وفيات الأعيان ١٧٢/٢.

(٤) الإيناس في علم الأنساب ٩.

(٥) المجموع اللفيف ٢٧، أمين الدولة محمد بن محمد الأفطسي الطرابلسي (ت بعد ٥١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٦) الإيناس في علم الأنساب للوزير المغربي ص ٩.

(٧) الإيناس في علم الأنساب للوزير المغربي ١٠.

(٨) الأعلام للزركلي ٢/٢٤٥- وفيه: حمل تابوته إلى

الكوفة بتوصية منه فدفن بها.

(٩) الوزير المغربي لإحسان عباس ٧.

(١٠) أدب الخواص ١١.

(١١) الاعلام للزركلي ٢٤٥/٢.

(١٢) السابق ٢٤٥/٢.

(١٣) السابق ٢٤٥/٢، فقد كتب رسالة المنبج لأبي العلاء المعري.

(١٤) أدب الخواص ٢٩ – ٣٦.

(١٥) وفيات الأعيان ١٧٢/٢.

(١٦) الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة ٢٥٣.

(١٧) ينظر الوصف في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المجاميع) ٢٧١/٢ وضعه ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.

(١٨) الحقير: الذليل.

(١٩) ما بين المعكوفتين زيادة ضرورية، والقصيدة بزيادة بيتين وباختلاف في ترتيب الأبيات في الديوان ١٦١ – ١٦٢.

(٢٠) ورد في الديوان برواية: "ها قد رضيت --- بنظرة مني إليه".

(٢١) ورد في ت هكذا: "وعرفت الآن"- تصحيف- وأخذت بما ورد في الديوان.

(٢٢) فرِنْدُ السيف: جوهره ومـاؤه الذي يجري فيه وطرائقه- لسان العرب ٣٣٤/٣.

(٢٣) ورد في الديوان برواية: "فكأنه في الموْجِ --- أشْوَاقٍ".

(٢٤) ورد في الديوان برواية: "فِيه الحُسْنُ".

(٢٥) ورد البيت في ت هكذا: " كان قبلي شطرنج"- تحريف، وأخذت برواية الحلة السيراء ٢٤/٢ حيث ورد البيت في هذا الكتاب منسوبًا لتميم بن المعز ابن باديس.

(٢٦) الديوان ١٣٩.

(٢٧) ورد البيت في الديوان برواية: "فأرخت من".

(٢٨) الديوان ١٢١- وفيه: إنه قالها في كسوف الشمس.

(٢٩) ورد البيت في الديوان برواية: "وَبِفَضْلِ مَاجِنِهَا".

(٣٠) الديوان ١٤٧.

(٣١) ورد البيت في ت هكذا: "بأسكم"- تحريف- واعتمدت رواية الديوان.

(٣٢) خمْش: غازل- تاج العروس ٢٠٩/١٧، والمقرطق: لابس القباء- النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢/٤.

(٣٣) الديوان ١٥٨.

(٣٤) ورد البيت في الديوان برواية: "صُدُورِ الكِرَامِ".

(٣٥) ورد البيت في ت هكذا: "ومكاثر"- تصحيف- والصواب ما أثبت.

(٣٦) ورد البيت في ت هكذا: "أعدته مِنْها بالصَّفَا"- ورأيت أن البيت محرف وغير مستقيم معنى ووزنًا.

(٣٧) ورد البيت في ت هكذا: "لَهُ غدًا"- والصواب ما أثبتُّ.

(٣٨) ورد البيت في ت هكذا: "لا يقْروا- والصواب ما أثبت.

(٣٩) ورد البيت في ت هكذا: "ظُلْمَ الظَّلِيمِ"- تحريف.

(٤٠) الديوان ١٢٦.

(٤١) ورد البيت محرفًا في ت هكذا: "لم إلا بشر*** فله "- تحريف واعتمدت رواية الديوان.

(٤٢) ورد البيت محرفًا في ت هكذا: " غزاه حالبه*** لشَفَيَ"- وكتب النَّاسخ كلمة: "هكذا" دلالة على تحريفه- واعتمدت رواية الديوان.

(٤٣) بداية من المقطعة تبدأ الاختيارات في النسخة م، والمقطعة في الديوان ١٣٩.

(٤٤) ورد البيت محرفًا في ت هكذا: "لمثل هذا--- كان ترجيل"- واعتمدت رواية م والديوان.

(٤٥) ورد البيت في الديوان برواية: " وجهك إن أوحشت لها أنس"- والمثبت من م، و ت.

(٤٦) ورد البيت في الديوان برواية: " وَغالطي"- والمثبت من م، و ت.

(٤٧) كتبت كلمة "زفرة" في م فوق كلمة "نظرة" دلالة على أنها رواية أخرى- أخلَّ الدِّيوان بالتَّتمة.

(٤٨) الديوان ١٣٨.

(٤٩) ورد البيت في ت هكذا: "يد اللين "- تحريف.

(٥٠) ورد البيت في الديوان برواية: " انتِظَارِ شَيْبِي".

(٥١) الديوان ١٣٩ – ١٤٠.

(٥٢) ورد البيت في الديوان برواية:

قَارَعَتِ الأَيَّامُ مِنِّي امْرَءًا
قَدْ أَعْلَقَ المَجْدَ بِأَمْرَاسِهِ

(٥٣) ورد البيت في الديوان برواية:

تَسْتَنْزِلُ النَّجْدَةُ من رأيه
وَيَسْتَدِرُّ العِزُّ مِنْ بَاسِهِ

(٥٤) ورد البيت في الديوان برواية: " أروَع لا يَنْحَطُّ عَنْ نَبِهِه".

(٥٥) الديوان ١٢١ – ١٢٢.

(٥٦) ورد البيت في الديوان برواية:

رَغِبْتُ في مِلَّةِ عِيسَى وَمَا
يخيبُ من يرغبُ في ملتِه

(٥٧) ورد البيت في الديوان برواية: "رَأَيْتُه يَخْطُرُ مِنْ تِيْهِهِ".

(٥٨) الديوان ١٣٧.

(٥٩) الديوان ١٣٥.

(٦٠) ورد البيت في الديوان برواية: "مَا هامت --- عائِبٌ زار".

(٦١) وردت في ديوان الوزير المغربي ١٥٣ نتفة أخرى على قافية الميم تشبه هذه النتفة، هي:

يا ربَّ سوداءَ تيمتني
يَحسُنُ في مثلها الغرامُ
كالليل تستسهل المعاصي
فيه ويستعذب الحرام

(٦٢) ورد البيت في م، و ت هكذا: "السوداء كَلْبَلِني"- وأفدت من الديوان في تصحيح التحريف.

(٦٣) ورد في م، و ت: "بذل مشبع"- ورَجَّحت ما أثبتُّ مراعاة لما ورد في البيت التالي.

(٦٤) الديوان ١٢٨.

(٦٥) الديوان ١٤٦.

(٦٦) ورد البيت في الديوان برواية: "ألذ فيكم".

(٦٧) ورد البيت مصحفًا في م هكذا: "وأفز من"، وورد في الديوان برواية:

وَأَقِرُّ مِن خَجَلِ العِتا
بِ إلى مُغَالَطَةِ العِنَاقِ

وفي الديوان أنه ارتجلها عندما أنشده صاحب البدائع قول شداد بن إبراهيم المعروف بالظاهر:

يا مُنْكِرًا شَغَفِي به
وَمُكَذِّبًا طُولَ اشتِيَاقِي

(٦٨) الديوان ١٥٠.

(٦٩) ورد البيت في الديوان برواية: "عن التقى".

(٧٠) ورد في الديوان برواية: "بسحرهم".

(٧١) الديوان ١٤٤.

(٧٢) ورد البيت في م، و ت برواية: "وعز له غزالٌ لبس نحوي"- وورد في شرح المقامات للشريشي برواية: " وعن له غلام "، وورد في شرح المقامات للشريشي ٣٠٥/٥، والديوان ما نصه: "وكان أبو القاسم قد نسك زمانًا، ولبس الصوف وترهب وحج، فعشق غلاما تركيًّا، وهام به، وتقلد الوزارة ببغداد، وغيرها، وانتهى في الجاه إلى الغاية، وتملك الأحرار، واشترى الغلام التركي، فقال"، وذكر الأبيات.

(٧٣) ورد البيت في الديوان برواية: " انهتكًا".

(٧٤) ورد البيت في ت محرفًا هكذا: "التابعت في --- فأعرضوا"- والضرب في هذه الأبيات أبتر - وهذا يمثل إحدى صور المتقارب.

(٧٥) الديوان ١٥٣ – ١٥٤.

(٧٦) ورد البيت في الديوان برواية: "سَفْرَةِ البَطَالَةِ".

(٧٧) ورد البيت في الديوان برواية: "نبت عن".

(٧٨) ورد البيت في الديوان برواية: "خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ".

(٧٩) الديوان ١٢٦، بزيادة بيت بعد البيت الثاني، هو:

رأيتُ فِرَاقَ النَّفْسِ أَهْوَنَ ضَيرةً
عَلَيَّ مِن الفِعْلِ الَّذِي يكرهُ المجدُ

والنتفة منسوبة لحبشي بن محمد بن حبشي، فهي له في خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) مج٤/ ج١/ ص ٣٨٧، وقد أنشدها للعماد الأصفهاني على أنها له، وهي له أيضًا في الوافي بالوفيات ٢٨٦/١١.

(٨٠) ورد البيت في الديوان برواية: "الأضمرُ فيها"، ورد البيت في ت برواية: "تضمرُ الزند"- وورد البيت الأول في الوافي بالوفيات برواية: "الزُّنْد".

(٨١) ورد البيت في الديوان برواية: "سواي من العشاقِ"، وورد البيت الثاني الوافي بالوفيات

المنتخبُ من شِعْرِ الوَزِيرِ المَغْرِبِيّ (٣٧٠ - ٤١٨ هـ)

برواية: "قريبة عهد لم".

(٨٢) القَراطقُ: جمع قُرْطَق، وهو القباء، نوع من اللباس- النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢/٤.

(٨٣) وردت في ت برواية: "مذاهب حبه جندي"، وورد في م: "أذهب".

(٨٤) الديوان ١٥٩.

(٨٥) ورد البيت في الديوان برواية:

ولاعـــبٍ بـالـهـوى يـؤمّـلُ أن
يُـظـهِـرَ لـي جـفـوةً وأهــواه

(٨٦) الديوان ١٥٦، ووردت فيه في ثلاثة أبيات فقط، هكذا:

إنّــــي أبـــثـــك مـــن حـديـــــ
ــثي والـحـديـث لـه شجـون
فـارقـت مـوضـع مـرقـدي
لـيـلاً فـفـارقـنـي الـسـكـون
قـل لـي فـأولَ لـيـلـةٍ
فـي الـقـبـر كـيـف تُـرى أكـون

وينظر التعليق على المقطعة في ص ٩٩ من العدد ٧٦ عام ٢٠١١م من مجلة آفاق الثقافة والتراث.

(٨٧) ورد البيت في ت هكذا "كَيفَ تُرَى تَكُونُ".

(٨٨) كذا ورد هذا البيت في النسختين: م، ت، وأرجح أنه رواية للبيت الثاني.

(٨٩) أخلت النسخة ت والديوان بهذا البيت وهو في م.

(٩٠) ورد البيت في ت هكذا: "اعتَزَلْنَا مَنْزِلا".

(٩١) النتفة للشريف الرضي في ديوانه ضمن قصيدة ٣٨٩/٢.

(٩٢) ورد البيت في ديوان الشريف الرضي برواية: "سَتَرى مُخالَصَتي وَتَخبُرُني".

(٩٣) ورد البيت في ديوان الشريف الرضي برواية:

وَإِذا الـزَمـانُ رَمـى بِـنـائِـبَـةٍ
وَنَـأى الأَقـارِبُ فَـالْـتَـفِـت تَـرَنـي

(٩٤) الديوان ١٥٩.

(٩٥) ورد البيت في الديوان برواية: "فَالآنَ إِذْ".

(٩٦) المقطعة لأبي الحسن التهامي في ديوانه ٥١٤، وورد في ت: "وقال".

(٩٧) ورد البيت في ت هكذا: "حاسدي في متنعّمي".

وورد في ديوان أبي الحسن التهامي برواية:

ما اغتابَني حَاسِدٌ إِلّا شَرُفتُ بِهِ
فَحاسِدي مُنْعِمٌ في زِيِّ مُنتَقِمِ

(٩٨) ورد البيت في ت برواية: "حسادي بأنعمه"، وورد في ديوان أبي الحسن التهامي برواية: "فالله--- فأنعمهم".

(٩٩) الديوان ١٢٩.

(١٠٠) الديوان ١١١.

(١٠١) ورد البيت في الديوان برواية: "كَذَا الماءُ إنْ حَرَّكتَهُ بَدّ".

(١٠٢) بنهاية هذه المقطعة تنتهي المختارات الشعرية في ت- والتكملة من م.

(١٠٣) الديوان ١٦١.

(١٠٤) الجابية: موضع بجوار دمشق- معجم البلدان ٩١/٢.

(١٠٥) أخلت ت بالنتفة، وهي لابن رشيق في ديوانه ١٤٢ وبعد البيت الثاني فيه:

قُوموا ادْخُلوا مَسْكِنَكُمْ قَبْلَ أَنْ
تَـحـطِـمَـكُـم أَعْـيُـنُـهُ الـنُّـجُـلُ

(١٠٦) ورد البيت الثاني في ديوان ابن رشيق برواية:

قـالَـتْ لَـنـا جـنْـد مَـلاحـاتِـهِ
لَـمّـا بَـدا مـا قـالَـتِ الـنَّـمْـلُ

(١٠٧) المقطعة من م فقط، وفيها أنه قالها في هروبه من مصر، وأدرجها ناسخ ت خطأ في مختار شعر وجيه الدولة الحمداني، ولم ترد في ديوانه، وبقيت سبعة أبيات على قافية العين في م في كثير من كلماته طمس، لذا تركها ناسخ ت دون نسخ.

المصـــادر

١- أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها، الوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ)، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٠م.

٢- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٣- الإيناس في علم الأنساب، الوزير المغربي، حققه:

حمد الجاسر، ونشره مع كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها، لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)، في دار اليمامة، الرياض، ١٩٨٠م.

٤- بين أبي العلاء المعري الوزير المغربي، إحسان عباس، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت ع ٢٥، من مج ٤، ١٩٨٢م.

٥- الحلة السيراء، ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م

٦- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق)، عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمد بهجة الأثري، بغداد، ١٩٦٤م.

٧- ديوان أبي الحسن التهامي (ت ٤١٦ هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢م

٨- ديوان ابن رشيق (ت٤٥٦هـ)، جمعه ورتبه: عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة بيروت، د- ت .

٩- ديوان الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له: محمود مصطفى حلاوي، شركة الأرقم بن الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

١٠- ديوان وجيه الدولة الحمداني (ت٤٢٨هـ)، دراسة وتحقيق: محسن غياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٤، ٢٥، ١٩٧٤م .

١١- شخصيات مغربية في مصادر مشرقية (الوزير المغربي)، محسن جمال الدين، مجلة البحث العلمي، المغرب، مج ١٣، ع ٢٦، ١٩٧٦م.

١٢- شرح مقامات الحريري: أبو العباس الشريشي (ت ٦١٩هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٣- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المجاميع)، وضعه: ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦م.

١٤- أبو القاسم المغربي في ضوء الدراسة الفنية، أحمد عبد العليم سعفان، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ١٧، ١٩٩٥م.

١٥- كتاب في السياسة، الوزير المغربي، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٤٨م.

١٦- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت.

١٧- المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد الأفطسي الطرابلسي (ت بعد ٥١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٨- المصابيح في تفسير القرآن الكريم، الوزير المغربي، (من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء)، تحقيق: عبد الكريم صالح الزهراني، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م.

١٩- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢١- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار نشر فرانز شتاينر، فيسبادن، نشر على سنوات متعددة.

٢٢- الوزير المغربي (ت ٤١٨هـ): دراسة في سيرته وأدبه وما تبقى من آثاره: إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣- الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة، رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، لبنان، مج١، ع ٤، ١٩٨٩م.

٢٤- وفيات الأعيان، ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

السخرية في التراث العربي

الأستاذة / شهيدة العزوزي
تطوان - المغرب

السخرية من أهم الموضوعات الأدبية التي التجأ إليها النقاد غربيًا وعربيًا؛ لمعالجة القضايا العميقة الكبرى في المجتمع، سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي أم الاقتصادي أم غيره. لكن ما يهمنا هنا؛ هو كيفية تشكل السخرية في التراث العربي، والمكونات التي ارتكز عليها الأدباء لمناوشة البعد الانساني في دلالاته المتنوعة اعتمادًا على الهزل والسخرية. من أجل ذلك، سوف نركز على علمين بارزين في التراث العربي هما؛ جاحظ القرن الرابع الهجري "أبو حيان التوحيدي"، وسهل بن هارون من خلال رسالته في البخل. وابن المقفع من خلال كتابه "كليلة ودمنة"، فما مكونات السخرية إذن؟

لابأس أن نشير في بداية هذا المقال إلى إحدى التعريفات حول "مفهوم السخرية" قبل مناقشة قضيتها في التراث العربي، والشروع في عرض "سخرية" التوحيدي وسهل بن هارون، وابن المقفع.

لمحات حول سخرية الجاحظ:

يستوعب مفهوم السخرية، كل المجال الذي تغطيه المصطلحات العربية من قبيل: الهزل، الإستهزاء، التهكم، الهجاء في معرض المدح، التعريض، التوجيه، القول بالموجب، أسلوب الحكيم، الاستخدام، نفي الشيء بإيجابه، والإبهام (عند بعض البلاغيين)؛ هذا فضلاً عن كلمة سخرية نفسها. وهي مصطلحات كثيرة تدل على مدى حضور السخرية في التراث البلاغي العربي.

غير أن التعامل معها لم يتعد مستوى الرصد إلى التنظير المفسر لفاعليتها. . . أما كلمة سخرية، فقد قويضت في التراث العربي بكلمتين على الأقل، وهما الاستهزاء والهزل؛ فالاستهزاء يقايضها في الجانب النقدي بمعنى قدحي... أما الهزل فلأنه يمثل الأساس المعرفي للسخرية بعدّها آلية حجاجية وبيداغوجيا تعلمية متصلة بطبيعة النفس الانسانية؛ حيث تتجاذب طاقتان: الجد والهزل[1].

وهناك من يعرف السخرية على أنها "استخدام انحرافي للغة" أو "نوع من إظهار عيب ولكنه لا يسبب ألمًا حسب أرسطو أو هي تصوير

للأوضاع المقلوبة، أما موضوعها فهو الإنسان بصفة مطلقة؛ لأجل ذلك نجد كل أديب يركز على أصناف من البشر ليمثل بهم لكل قضية تسري معالمها في المجتمع.

سعى الجاحظ في توظيفه السخرية نحو الشرعية الدينية مستثمرًا قوله تعالى: "﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾"(٢) فقال: **"وضع الله تعالى الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت. وإنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح ولا يَمُنُّ على خلقه بالنقص، وكيف لا يكون موقعه من النفس عظيمًا، ومن مصلحة العباد كبيرًا. وهو شيء في أصل الطباع، وفي أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه، الذي هو علة سروره، ومادة قوته"(٣)** يضيف: **"ولابد لمن استكده الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل"(٤)**

معنى ذلك، أن كل إنسان؛ لا يمكن أن يتبع في طريقه منهجًا واحدًا هو الجد أو الهزل، بل لابد من المزج بينهما لكي يضفي على حياته نوعًا من الإمتاع والمؤانسة، حتى لا يصبح الوضع مملا، ومن الضروري أن يخترق الهزل الجد في بعض الأحايين، والعكس لكي تتم معالجة القضايا الهامة في المجتمع.

ذكرنا الجاحظ على سبيل المثال؛ لكونه كان سباقًا "في غالب الظن" إلى التأليف في موضوعات السخرية ورائدًا لها في نفس الوقت، ولا داعي للفت الانتباه إلى رسالته "التربيع والتدوير" التي عدت "أول رسالة في التراث العربي - تصور نموذجًا إنسانيًا - كتبت في غرض السخرية والتهكم، وأفضت به، وصورت نموذج أحمد بن عبد الوهاب تصويرًا "كاريكاتوريًا هازلاً، تتناول الشخصية من جميع نواحيها- تناولا بارعًا- وسخر منه بقلمه بمهارة قل أن نجد لها نظيرًا"(٥).

ويقول أبو عباس المبرد في الهزل أيضًا؛ **"نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئًا لتكون فيه استراحة القارئ، أو انتقل ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل؛ ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس"(٦)**؛ فالسخرية "لا تقود إلى التحليق فوق عالم النص النثري، والتقليل من أهمية الفوارق المحسوسة وهي في التعبير، تتوجه إلى وسط اجتماعي، وتفكر في شيء؛ لتقول شيئًا آخر، على طريقتها"(٧)

ولم يكن التوحيدي بعيدًا عن نمط السخرية الجاحظية؛ لشدة تأثره به، وقد ذكرنا هذا في البداية عندما قلنا " إن التوحيدي هو جاحظ القرن الرابع الهجري"؛ لذلك ظهر كل ذلك النثر أو جله في كتاباته المتنوعة، فإذا كان الجاحظ قد فتح بابًا في الكتابة السردية العربية التي تتدرج في الطباع سواء تعلق الأمر بالحيوان أم بالنماذج البشرية، فإن التوحيدي كان عنده الهاجس الجاحظي مشيًا على المنوال نفسه. ونستدل على ذلك بأحد نصوصه الواردة في مثالب الوزيرين؛ حيث يعطينا صورة عن ابن عباد والاعتداد بالنفس يقول فيها: "إن المعتد بالنفس يعيش دائمًا في حالة ذهول. تمامًا كما يفعل الجاحظ مع "أحمد بن عبد الوهاب" مع اختلاف طفيف بينهما استدعاه نمط الشخصية التي اختارها كل واحد منهما وطبيعتها النفسية.

تفطن التوحيدي مثل الآخرين ممن خصوا الضحك بوقفات في مصنفاتهم، إلا أنه ينفي عن النفس ما يطرأ عليها من سأم وما يلم بها من ضجر، وقرن الهزل بالفرح والسرور والانبساط والجد بالكرب والهم، وحذر مخاطبه من التقزز من سماع الهزل والسخف حتى لا يتلبد طبعه ويكل ذهنه(٨).

إضافة إلى ذلك، ربط التوحيدي الهزل بالمجون، والنكت الفاضحة التي تعتمد الفحش والبذاءة والعدوان، كما جاء في بعض المراجع، فكان يروي نوادره بأفحش لفظ وأمجن عبارة"(٩)، ربما لاعتقاده بأن ذاك الضرب من النوادر قادر على "تفجير الضحك ومساهمته في الترويح عن النفس والتنفيس عليها من الدوافع الجنسية والعدوانية المكبوتة(١٠).

- آراء التوحيدي في الهزل:

يروى أن التوحيدي دافع كثيرًا عن الهزل؛ حيث إنه لم يقف فقط عند فائدته في تنشيط النفس وشحذ الذهن وإراحة الفكر، بل "نجده إلى جانب ذلك يستشهد من المنافعين عن الهزل والمزاح، بأقوال السلف الصالح؛ حيث يقول في تعقيب الوزير على الملح والنوادر التي رواها"(١١): "... قدم هذا الفن على غيره، وما ظننت أن هذا يطرد في مجلس واحد. . . ولتسعد لقبول ما يرد عليها فتسمع"(١٢).

- الفكاهة والسخرية في نوادر التوحيدي

"إن الفكاهة في اللغة "المزاح"، والتفاكه: التمازح، وفاكهت القوم مفاكهة بملح الكلام والمزاح، والفكه: الطيب النفس. وفي الاصطلاح تتعدد دلالات "الفكاهة" وتتداخل مع مصطلحات أخرى مثل الهزل والدعابة والسخرية والضحك، غير أنها تعد "ظاهرة إنسانية منتشرة في جميع المجتمعات، وتظهر لدى مختلف الشرائح والطبقات والأعمار، حتى إنه من الصعب تصور مجتمع بلا فكاهة ولا ضحك، وهذه الظاهرة لا تحدث في جميع الثقافات الانسانية فحسب، بل إنها إلى جانب ذلك تتخلل جميع مظاهر السلوك الإنساني.

ومن ثم فالفكاهة نشاط هزلي، يشارك فيه عدة أشخاص يتفاعلون فيما بينهم، بطريقة تثير المتعة والضحك، من خلال حكاية أو نادرة أو نكتة يرويها أحدهم، أو من خلال فعل أو حدث أو موقف غريب أو مفاجئ يخرق أفق انتظار الحاضرين ويدفعهم إلى الاستجابة بأشكال مختلفة (ضحك، تصفيق، القيام بحركات وإشارات. . . إلخ)"(١٣).

وبالإضافة إلى آراء التوحيدي في الضحك والهزل ونوادره ونكته التي صور من خلالها آفات مجتمعه وكشف بها عن "مثالب قومه"، "**استخدم الفكاهة والسخرية بوصفهما سلاحًا في مساجلاته ومناظراته لإفحام خصومه وتهزئتهم ودحرهم، كما يوظفها للهجوم عليهم صراحة أو ضمنًا**(١٤) وقد بلغ في سخريته حد القدح والذم والثلب حتى قال عنه ياقوتًا "**الذم شأنه، والثلب دكانه**"(١٥).

ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى العبارات التي صور فيها التوحيدي "الصاحب بن عباد؛ لندرك مدى تمكن التوحيدي من المستوى التطبيقي والعملي في "ممارسة فن الإضحاك"؛ حيث صور خصمه في وضع متصلب وآلي يفتقر

فيه إلى الحيوية والرشاقة، يقول: "احسب أن عينيه ركبتا من زئبق، وعنقه عُمِلَ بلولب"(١٦). ويعلق على هذا الوصف الطريف بقوله "وصدق فإنه كان ظريف التثني والتلوي، شديد التفكك، كثير التعرج والتمرج، في شكل المرأة المومسة، والفاجرة الماجنة الأشمط"(١٧).

مجمل القول، كان التوحيدي يحاكي في سخريته "الطبيعة الاجتماعية للضحك، إذ لاحظ أن "الضحك ينتقل في المجتمع عن طريق العدوى، ويكون دومًا مع الجماعة وداخلها، حتى إن الانسان ينفجر ضحكًا أحيانًا دون معرفة السبب الذي من أجله يضحك الضاحكون حوله"(١٨) يقول في سؤال مسكويه عن هذا الأمر " قد ترى من يضحك من عجب يراه ويسمعه أو يخطر على قلبه ثم ينظر إليه ناظر من بعد ضحك الناظر الأول على ضحك الأول، فما الذي سرى من الضاحك المتعجب إلى الضاحك الثاني"(١٩).

وتكتمل آراء التوحيدي في الضحك ووظيفته التعليمية وخصائصه السوسيولوجية بإشارات موجزة إلى بعض الشروط التي يجب أن تتوافر في المضحك، ما يدل على دقة التوحيدي وسعة اطلاعه وتمكنه من مادة الهزل وما تتطلبه من شروط للتحقق، والوصول إلى الغاية المنشودة. لكن ما يجدر بالذكر، هو أن سخرية التوحيدي كانت سخرية نقدية حاقدة قدحية مغبة؛ لا تقتصر فقط على الترويح عن النفس أو معالجة القضايا الاجتماعية، وذلك راجع إلى دوافع التوحيدي الشخصية في -غالب الأحيان- المنتجة لتلك السخرية، على عكس الجاحظ مثلاً وإن كان يميل هو أيضًا إلى النزعة أو المواقف الفردية في رسالة التربيع والتدوير "إلا أن ذلك يبقى جانبيًا، يغلب عليه الطابع المطلق للقضية المعالجة وهي محاولة تقويم السلوك الانساني، والذي سنحاول البحث عنه في نموذج "رسالة البخل لسهل بن هارون".

- لمحة عن سهل بن هارون:

سهل بن هارون بن راهبون أو راهبوني أو راهوية، فارسي الأصل، ولد في ميسان حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة، وتوفي سنة ٢١٥هـ كان أحد كبار المترجمين من الفارسية إلى العربية، كما كان كاتبًا شاعرًا، واشتهر بالبلاغة والذكاء وجمال الوجه وحسن الهيئة والفكاهة وخفة الروح، والحكمة وسعة العلم، وشدة البخل والشعوبية، والتعصب ضد العرب.

من مؤلفات سهل بن هارون "ثعلة وعفرة" في معارضة "كليلة ودمنة"، وكتاب "الاخوان" وكتاب "المسائل" وكتاب "تدبير الملك والسياسة" وبعض الرسائل في تفضيل البخل لم يبق منها غير الرسالة قيد الدرس؛ لاحتفاظ الجاحظ بها في كتاب "البخلاء".

- أهداف الرسالة:

بعث سهل بن هارون هذه الرسالة إلى الحسن ابن سهل وزير المأمون لينال المكافأة. فأجابه بالرفض مع أنه كان شديد الاعجاب بعلمه وحلمه وبلاغته وظرفه بقوله: **" قد مدحت ما ذمه الله، وحسنت ما قبحه الله، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك، ووقفنا على نصيحتك، وقد جعلنا المكافأة عنها - القبول منك والتصديق لك، فما نعطيك شيئًا والسلام"**(٢٠).

- **مضمون الرسالة:**

جاءت الرسالة في الاحتجاج للحرص على البخل وتفضيله، وإعطائه قيمة كبرى، وهي تصور مقدرته البيانية، ومهارته في السخرية من العرب بز رايته على فضيلة الكرم، التي يعتزون بها ويتمدحون بها، ويتغنون بها في أشعارهم ومأثور كلامهم، و "لم يعجزه وهو يمدح ما ذمه الله أن يستشهد بأقوال للرسول والتابعين والحكماء، وإن كان يمدح ما ذمه الله أن يستشهد بأقوال للرسول والتابعين والحكماء، وإن كان يحرف المقصود منها ويفهمها على طريقته الخاصة. " ومع ذلك فهي لا تخلو من الفائدة والأفكار الجزئية الصائبة، وإن كانت فكرتها العامة الانتصار للبخل والحث عليه.

- **المنهجية المتبعة في الرسالة:**

اتبع سهل بن هارون في كتابه، خطة الدفاع عن البخل أولاً. ثم أورد استدلالات من أقوال الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأفعاله، ثم العلماء والحكماء ثانيًا، بعدها تحدث عن تفضيله المال على العلم؛ ليتجه إلى مدحه "الحرص على البخل ودفاعه عنه"؛ وكل ذلك كان خطة منه لمناقشة قضية من القضايا الشائكة في المجتمع، والمتمثلة في "البخل"، رغبة منه في تغيير الواقع البئيس.

وهكذا شرع في الدفاع عن البخل والشح والتقتير بحرارة وقوة حجة، ونصاعة عبارة، وقد استعان في ذلك بأقوال حكماء العرب والفرس والصحابة والتابعين، مستندًا على "قدرته الفائقة على الجدل وبراعته في استخدام المنطق الصحيح والمغلوط استغلالاً جيدًا، قال:

وعبتموني بخصف (إصلاح) الفعال، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصومة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع من الحفظ وأن التفرق مع التضييع، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويقول:" **لو أتيت بذراع لأكلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت**"[٢١]، ثم أضاف "قالت الحكماء: "**لا جديد لم يلبس الخلق. . .** ""[٢٢].

وقد التجأ سهل بن هارون إلى هذه الأقوال من أجل المغالطة والالتواء في تفسيرها بما يخدم هواه ومذهبه، على الرغم من أنه يعلم جيدًا وجه تلك الأقوال؛ ذلك أن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً كان القصد منها التواضع، ومساعدة نسائه وخدمه في شؤون بيته، ولم يكن ذلك هادفًا إلى البخل أو الحرص عليه كما ذهب إلى ذلك الكاتب؛ بل جاء بمثابة حكم وعظية إرشادية لتوعية البشر بقيم إنسانية أهمها التضامن والتسامح والوحدة.

وقد استند سهل ابن هارون إلى المغالطات، بوصفها "**حججًا تبدو صالحة، في حين أنها ليست كذلك، تخصيص غير كاف وخدع. . . فالمغالطات هي حيل مغلطة تقوم على أنماط من الحجاج صحيحة، ولكنها تستعمل على نحو غير مناسب.** "[٢٣] ويميز محمد العمري أيضًا بين الغلط والمغالطة؛ حيث يقول "**المغالطة درجات من الخفاء والانكشاف، منها ما يلتبس بالأقيسة المنطقية؛ لا يتوصل إلى كشف زيفه إلا بالنظر السديد العميق، ومنه ما هو فج ظاهر العطب يقوم على الاستخفاف بالمتلقي، وهو أقرب إلى الإعنات.** ومن المفيد التمييز بين نوعين من

التهافت الحجاجي: تهافت الغلط لضعف الحس النقدي، وتهافت مع نية التضليل، ندعو الأول غلطًا والثاني مغالطة"[24].

- تحليل الرسالة:

لم يقتصر سهل بن هارون في رسالته على هذا الكلام فحسب، بل تجاوزه إلى تفضيل المال على العلم، حين يقول: " وعبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم، وبه تقوم النفوس، قبل أن تعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع، وأني قلت: إنا كنا نستبين الأمور بالنفوس، وبالخلة (الفقر) نعمى (نضل) وقلتم: كيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الأنباء: العلماء أفضل أم الأغنياء، قال: بل العلماء؛ قيل. فما بال العلماء يأتون باب الأغنياء، أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم، فقلت: حالهما هي الفاصلة بينهما، وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع إليه، وشيء يغني بعضهم فيه عن بعض؟... "[25]

فالكاتب هنا؛ لم يرد الاعتراف بأن لا وجه للتفضيل بين شيئين ليس لأحدهما فضل عن الآخر لدى الإنسان، ولجأ إلى المغالطة أيضًا؛ ليحتج بأن المال به يقاد العلم. في الوقت الذي يمكن أن يقال فيه العكس، وأن العلم يحفظ المال ويحسن توجيهه واستثماره والانتفاع به.

عبر المؤلف عن كل ذلك، بألفاظ واضحة سلسة معبرة؛ لا يستعمل فيها الغريب، ويتحاشى الألفاظ المبتذلة؛ حيث يقع على الكلمة المناسبة ويعرف أنسب مكان لها من الجملة فيضعها، وفي موقعها الصحيح، منتقيًا كلمات مناسبة لأفكاره، استند فيها إلى جمل قصيرة متناسقة مع التأثير الموسيقي للفقرات في مثل قوله: "من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبد نهم، وصبي جشع، وأمة لكعاء، وزوجة خرقاء."[26]

يعود مرة أخرى إلى توظيف القياس الفاسد والمغالطة؛ حيث يورد قول بعض الحكماء: عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن لك فيه إلا أنه غرفي قلبك، وذلك في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيمًا، والنفع فيه عظيمًا"[27] لكي يؤكد دعوته إلى البخل والشح والتقتير على النفس.

بالإضافة إلى ذلك، يلجأ الكاتب إلى المزاوجة بين الجمل كلما سمحت له فرصة الملاءمة بين الكلمات، دون تكلف ولا ادعاء، مما أكسب أسلوبه تأثيرًا خاصًا في الدفاع رأيه وفكرته، كما استعمل الطباق والجناس والمقابلة والمترادفات لابراز المعنى وتوضيحه. وتجدر الاشارة أيضًا في هذا الصدد إلى استخدامه لبعض تعبيرات الفقهاء واصطلاحاتهم حين يتحدث عن الاصول والفروع، ولعل ذلك راجع إلى قدرته المنطقية، وطاقته الجدلية. التي وظفها أساسًا في هذه الرسالة للحرص على البخل وإقناعها بطريقة دفاعه عنه، على غرار إشارة شوقي ضيف إلى أن "سهل بن هارون لم يكن هدفه الأول من تفضيل البخل هو الشغب على العرب والسخرية من فضيلة الكرم لديهم، بقدر ما كان يطمع إلى استعراض قوته وإظهار مقدرته في التعبير.

خلاصة القول، إن سهل بن هارون اتبع طريق الجاحظ والتوحيدي في تعبيره عن قضايا فكرية واجتماعية سادت العصر الذي ينتمي إليه؛ ليساهم في تغيير ما كان عليه الوسط

الاجتماعي من انحراف، وينبه إلى ضرورة الاهتمام بمختلف الشرائح الاجتماعية من دون تمييز بينها، حتى يسود السلام، وينتصر الحق، وتقوم العدالة والمساواة بين الناس جميعًا.

هكذا كانت السخرية، من بين أهم الموضوعات، الأدبية التي التجأ إليها النقاد والمفكرون، غربيًا وعربيًا؛ لمعالجة بعض القضايا العميقة في المجتمع، سياسيًا واجتماعيًا؛ حيث ارتكزوا على مكونات متنوعة منها البخل والطعام ومحاربة الفساد بمختلف أشكاله، مما جعل هذه الموضوعات "تهيمن" على كثير من الأشكال أو الفنون النثرية، منها الرسائل والمقامات والنوادر، وقد حاولنا إثبات ذلك انطلاقًا من تقديم لمحات حول "رسالة الجاحظ" ونوادر التوحيدي، وكذلك رسالة سهل بن هارون في البخل كما أسلفنا الذكر.

- الحجاج الساخر

وإذا كانت السخرية الحجاجية في تحديدها المعجمي هي الهُزْءُ، والسُّخْرَةُ هي الضُّحْكَةُ[٢٨]. وهو ما يعني أنها تلابس مفهوم "الاستهزاء من.." و"الضحك من. . "، بغية الانتقاص من الغير أو تحقيره أو تحطيمه وجعله مثار تندُّرِ وتفكُّهِ المرسل والمرسل إليه. وهي ليست مباشرة في تهكمها كالهجاء الذي هو: "أدب الغضب المباشر، والثورة المكشوفة"؛ ذلك لأنها طريقة تهكمية تقول عكس ما نود تبليغه عبر بلاغة قلب المعنى. وهي بهذا التحديد تريد شيئًا وتظهر غيره. . بمعنى أنها تعبر عما تريد أن تقوله بقول مضاد له. فتجيء بالذم في قالب مدحي، أو بالجد في قالب مازح، أو تأتي بالحق في قالب الباطل. وهي في كل الأحوال خطاب ظاهره جد وباطنه هزل. ولئن كان التعبير الساخر مخالفًا للحقيقة، فإن الغرض منه تقويم السلوك بطريقة الفكاهة، وسرعة البديهة.[٢٩]

وكانت أيضًا ملمحًا أسلوبيًا حجاجيًا مبطنًا يستهدف توريط المتلقي في شرك صدقية المقول، والإيهام باحتمالية المنقول. ولا مجال لفهم ذلك إلا باستنباط السخرية نفسها كمحسن بلاغي، وكتقنية كتابية حجاجية تتوخى تمرير "حقيقتها"، وتسويغها في سياق تواصلي.[٣٠]

فإن الحجاج والسخرية يشكلان قوة كلامية فريدة من نوعها تزيد من جذب المتلقي، ودفعه إلى اتخاذ موقف ما أو تركه؛ حيث إن "**السخرية شكل تعبيري يستهزأ فيه من شخص ما، خصم ما أو فكرة ما. وتقوم أساسًا على انزياح؛ أي على فارق بين ما قيل وما فكر فيه، فيما أن الحجاج تقوم فيه السخرية على الظهور بمظهر إعطاء الكلمة للخصم، وعلى الاستشهاد به لإظهار مدى عبثية أفكاره وشناعتها ولذلك عدت السخرية من بين الأدوات الحجاجية المفضلة لدى فلاسفة القرن الثامن عشر؛ وهي صيغة مفارقة يتم فيها التظاهر بإعطاء الكلمة لمن يُرغب في نقد أفكاره.**"[٣١]

ويذهب برندونير إلى أن السخرية "**تناقض قيم حجاجية، فما يسمح بقيام جملة ساخرة عنده، كونها حجة على فرضية ما. وإذا علمنا أن تناسق الخطاب وتناغمه يفترض ألا يلتقي فضاء حجج الفرضية الواحدة بفضاء حجج فرضية هي مختلفة عنها أدركنا بيسر أن الفضاءين يلتقيان متى كان المقام ساخرًا**"[٣٢].

ذلك ما حصل بالضبط، في كتاب "كليلة

ودمنة" لابن المقفع، فلما أراد ابن المقفع أن يُصلح الفوارق الطبقية الموجودة في المجتمع، والتأسيس لسلم أخلاقي جديد تراعى فيه القيم الأخلاقية الحميدة، اتبع تقنيات حجاجية جعل السخرية من ركائزها الأساسية، وسخر لها شخوصًا حيوانية لتمثيل الواقع الافتراضي الذي يريد الوصول تحقيقه.

يقول ابن المقفع على لسان سيد الخنازير: **"فتكلم سيد الخنازير لإدلائه وتيهه بمنزلته عند الأسد، فقال: يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتي وعوا بأحلامكم كلامي. فالعلماء قالوا في شأن الصالحين إنهم يعرفون بسيماهم. وأنتم معاشر ذوي الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته عليكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشيء الكبير بالشيء الصغير. وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الخبيث دمنة وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا إلى ذلك.**

قال القاضي لسيد الخنازير: قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون أنك عارف بما في الصور من علامات السوء، ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى في صورة هذا الخبيث.

فأخذ سيد الخنزير يذم دمنة وقال: إن العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى، وهي لا تزال تختلج وكان أنفه مائلاً إلى جنبه الأيمن فهو خبيث جامع للخب والفجور. وكان دمنة على هذه الصفة.

فلما سمع دمنة ذلك قال: ههنا تقيسون الكلام وتتركون العلم، فاسمعوا مني ما أقوله لكم وتدبروا بعقولكم فقد وعيتم ما قال هذا. فإن كان يزعم أن ما في جسمي من هذه العلامات هو الدليل على صدق ما رميت به فإني إذن قد أكون قد وسمت بسمات وعلامات اضطرتني إلى الاثم فعملت بها ما عملت. ففي ذلك براءة لي وعذر مما عملته". (٣٣)

جاء هذا النص في "باب الفحص عن أمر دمنة"، والذي افتتح بحوار الفيلسوف بيدبا مع الملك دبشليم، في الوقت الذي اكتشف فيه الأسد قتله لصديقه بعد مؤامرة حيكت من قبل "دمنة"؛ إذ اتهم الثور في باب "الأسد والثور" من نفس الكتاب على أنه يسعى إلى القيام بثورة ضد الملك/الأسد، واستلام السلطة بدله.

وقد تمكن "دمنة" من ذلك بفضل حنكته السياسية، وذكائه، وكذا امتلاكه للمعرفة التي قادته إلى التقرب من الملك، في أول خطوة من خطواته الاحتيالية، من أجل التمكن من الايقاع بالثور، ودفع الملك إلى اتخاذ موقف القتل، من دون تدبر ولا تفكير؛ ولعل رد الفعل هذا، هو أول ما يظهر بلاغة الحجاج في الحكاية المثلية، ما دام يدفع المتلقي دائما إلى الفعل.

إن السخرية كانت سبيلاً إلى السرد، والسرد كان هدفه الاقناع؛ لأن محاكمة دمنة تعلقت أساسًا **"باستدراج القاضي إلى الأطروحة المدافع عنها إبعاده كليًا عن الأطروحة المرفوضة التي يسعى الخطاب إلى ضحدها وإقصائها. . . وإقناع المتلقي بوجهة نظر ما وحمله على تغيير وجهة نظره بل على تغيير موقفه الأصلي بموقف ثان يعمل الباث على الإقناع بوجهاته. فيكون الخطاب عندها ثنائيًا في بنيته وهو الشكل الأكثر شيوعًا"**(٣٤).

والحوار الحجاجي، هو الذي ساهم في التوالد السردي للنصوص في الأخرى في كليلة ودمنة، مما جعل جل الأطراف المتحاورة، وبخاصة الحوار الذي جرى بين "دمنة والخنزير"، يتخذان السخرية سبيلاً لانقاذ وجهيهما من الخسارة والاستسلام؛ فالخنزير أراد ان يشهد ضد المتهم "دمنة" لتتخذ المحاكمة مجراها الصحيح العادل، و"دمنة" يبذل كل ما بوسعه من أجل دحض آراء الخصم، وجعله يفقد التوازن في حديثه؛ ليكسب تعاطف الحاضرين، وتتحول المحاكمة إلى صالحه، استنادًا إلى مجموعة من الحجج العلمية، والدينية، وغيرها. . . ومن ثم تبرئته؛ ذلك أن "**الحوار من يفسح المجال لعرض الأفكار والحجج أو دحض أفكار الخصم**"[٣٥].

وعلى هذا النحو ندرك أن "**التحاورية سمة أساسية في كل حجاج، والحجاج في أبسط صوره حوار.**"[٣٦] وحتى سهل بن هارون في رسالته يحاور خصومه الذين "**رموه بالبخل وعابوا عليه مذهبه في الاقتصاد ويحاور نصوصًا أخرى كثيرة داخلت نصه وساهمت على نحو جلي في تكوينه، وهي ظاهرة يعبر عنها أدبيًا بالتناص هي في الحجاج: حجاج بالسلطة. وإن نظرنا إليها من جهة أدبية بحتة عدناها سمة تسم نصوصًا أدبية كثيرة لتؤكد أن النص لا يولد مفردًا ولا يعيش وحيدًا. فولادته متصلة بولادات أخرى**"[٣٧].

هذه الأمور نجدها في كليلة ودمنة بكثرة، وقد اصطلح عليها سعيد جبار "**التوالد السردي**"، الذي ساهم في إنتاج الخطاب الساخر في الحكاية المثلية؛ حيث إننا نلقى في النص الواحد أكثر من حكايتين أو ثلاث، وكلها جيء بها من أجل الاستشهاد والتضمين والاستدلال على وجهات نظر الكاتب ورؤيته في الحياة، وطبيعة معالجته للأمور، إضافة إلى رغبته في إضفاء نوع من الإثارة والتشويق على النصوص المدروسة.

إن "دمنة" و"الخنزير"؛ لم يكونا صديقين من قبل، ولم يكونا عدوين حتى، بل جمعتهما ظروف المحاكمة؛ وهكذا شاء المقام أن يدخلا في صراع بينهما بسبب تدخل الخنزير وتقديم شهادته على أحداث لم يشهدها، وهو الأمر الذي تأثر به دمنة، ودفعه إلى استخدام السخرية والهزل الذي "**يكتسب قيمته عندما ندرك أنه وسيلة نافعة وأداة لخدمة غرض جاد، ينبغي أن ننظر إليه في وظيفته البلاغية الجمالية وليس في مضمونه أو محتواه، علينا إذن أن ندرك معنى الهزل وغوره وعلة استخدامه، وفي هذه الحال سندرك ضرورته وأنه ليس في النهاية سوى الجد نفسه ما دام كان علة ذلك.** "[٣٨]، ودمنة كان واعيًا بقيمة الهزل والسخرية، فوظفهما لخدمة غرضه المتمثل في التأثير في المتلقي.

إن "**الهزل والسخرية فن قديم يهدف إلى ترويح عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكار لما يقع، أو هزءا وتندرًا بالخصم**"[٣٩]؛ لأجل ذلك التجأ إليه الأدباء في كتاباتهم؛ لكي يصوروا الواقع، ولدفع القراء إلى تبني أفكارهم الافتراضية التي يريدون تحقيقها في الحياة المعيشة؛ لأنهم يسعون إلى تغيير كل التصرفات السلبية القائمة على الظلم والفساد، وتعويضها بقيم أخلاقية تدفع العالم إلى التطور والازدهار.

زد على ذلك أن "**السخريات التي ملأت بها كتب الأدب تناولت الغفلة والتغافل، والتناقض**

والتلاعب بالألفاظ والتهكم بالعيوب الخلقية، والنفسية، والجسدية، والدعابة، والحذلقة، والرد بالمثل، والتهكم الاجتماعي والسياسي، والتخلص الفج، والقلب والعكس، وضعف العقل وغير ذلك"[٤١].

نفهم من هذا الكلام، أن الخطابات الساخرة تسعى في أغلب الأحايين إلى تقويم السلوكات الخاطئة الفردية والاجتماعية مهما يكن نوعها، وأحيانًا أخرى تكون لها أبعاد سياسية مثلما جاء في كتب الحكاية المثلية من قبيل؛ كليلة ودمنة لابن المقفع، والنمر والثعلب لسهل بن هارون، والأسد والغواص للمؤلف المجهول، وكذا في كتاب "فاكهة الخلفاء" لابن عربشاه.

لقد التجأ كل هؤلاء المؤلفين، إلى تضمين الهزل والسخرية في خطاباتهم؛ لكنهم أسندوها إلى ألسنة الحيوانات، وجعلوا لكل شخص من الشخوص المتحاورة والمتصارعة، دورًا يجسد الواقع؛ فنجد هناك ملكًا ظالمًا، ومحاكمة غير عادلة، وقتل غير مشروع، وجنود متفانيون في العمل أو رؤساء متمردون على سلطانهم الذي منحهم الثقة، وعينهم على بعض البقاع مثلما جاء في كتاب "النمر والثعلب"، أو خططًا محبوكة من قبل الأعداء على مماليك لا يحق لهم الاقتراب منها... إلخ.

كل تلك الأمور عبر عنها الأدباء بطرق مختلفة؛ منها الهزل والسخرية والتنويع في استراتيجيات الايقاع بالخصوم، مرة بالاستهزاء، وتارة بالحيلة والاستشهاد من أقوال العلماء في مثل؛ "**فالعلماء قالوا في شأن الصالحين إنهم يعرفون بسيماهم**"[٤١]، بالإضافة إلى الاتيان بالآيات القرآنية؛ لكن ما يهمنا هنا هو استنادهم إلى السخرية بوصفها "**الهيكل المفضل للنقد، فهي تفحم أكثر إذا تناولت المؤسسات أو ممارسة السلطة السياسية**"[٤٢].

إن "**السخرية لا تشتغل بتوضيح المعرفة المشتركة كما يفعل النص الجدالي أو التفسيري، فلأنها تراهن على الضمني**"[٤٣]، ولكي يكون **الخطاب "ساخرًا عليه أن يكون حجاجيًا أولاً. فيكون للكلام ظاهر وباطن، ظاهره حجة تقود إلى نتيجة، وباطنه حجة تقود إلى نتيجة أخرى مناقضة تمامًا للأولى. ولكن الاشكال يتمثل في صعوبة التفطن إلى هذا الحجاج وذاك الحجاج المضاد في الآن ذاته. فالظاهر يخفي الباطن ولا يسمح له بالإنكشاف ما لم يدرس السياق كله**"[٤٤].

لا تقتصر السخرية في اشتغالها على المجال الاجتماعي فحسب، بل إنها "**تخدم جيدًا التفكير السياسي**"[٤٥]، ولها نماذج كثيرة في كتب الأدب العربي أبرزها رسالة "التربيع والتدوير" وكتاب "البخلاء" للجاحظ، و"الإمتاع والمؤانسة" للتوحيدي، ثم "كليلة ودمنة" لابن المقفع، ورسالة "البخل" لسهل بن هارون.

إذا عدنا إلى "كليلة ودمنة" وجدنا أن سخرية ابن المقفع الحقة "**التي هي أقرب إلى التصريح منها إلى الابهام، تجلت في ذلك الحوار الرائع الذي عقده في كل الحوارات التي قام بتصويرها بين مختلف الشخوص الحيوانية**"[٤٦]؛ إنه بدأ خطابه الساخر منذ البداية؛ حيث انطلق من الحكاية المؤطِّرة المتمثلة في "حوار الملك دبشليم مع بيدبا الفيلسوف"، ثم الحكاية المؤطَّرة

"حوار الحيوانات مع بعضهم البعض"، إضافة إلى النصوص الأخرى المستدل بها داخل كل باب من أبواب الكتاب.

إلى هنا نكون قد أتينا على نهاية هذا المقال آملين أن تكون دراستنا قد قربت صورة السخرية في التراث العربي من خلال استشرافنا للسخرية عند الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، وسهل بن هارون ثم ابن المقفع، وقد رأينا كيف تناول كل كاتب مواضيعه وطريقة معالجته للقضايا الاجتماعية المعقدة، وكيف وظف كل منهم استراتيجية معينة تتناسب مع طبيعة مواضيعهم الشائكة، سواء تعلق الأمر بالبخل أو الرد على الخصوم أو الخطاب السياسي؛ لكن القالب المستخدم للدفاع عن كل وجهة نظر ارتبط بالسخرية أساسًا.

الحواشي

١ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، يناير ٢٠٠٥م، ص ١٠٩- ١١٠.

٢ - سورة النجم، الآية ٤٣.

٣ - البخلاء، الجاحظ، تحقيق البجاوي، ص ٦٩.

٤ - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ١٤٠٥هـ - ج٢، ص ٢٢٢.

٥ - السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم محمد حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م. ص ١٨٧.

٦ - الكامل في اللغة والأدب، حققه وشرحه وضبطه وفهرسه، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٥م، ج ٢.

٧ - هرمنوتيك النثر الأدبي، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ سوشبريس الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٣٨.

٨ - الضحك في الأدب الأندلسي، د أحمد شايب، دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٥٧.

٩ - البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين، القاهرة ١٩٥٣ دص.

١٠ - مرجع سابق، الضحك في الأدب الأندلسي، ص ٥٧.

١١ - نفسه، ص ٥٧.

١٢ - أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة ١٩٣٩م، ص ٦٠- ٦٢.

١٣ - أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية،تنسيق أحمد شايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٥٢.

١٤ - نفسه، ص ٥٨.

١٥ - معجم الأدباء، ياقوت الحموي. ص ١٥.

١٦ - أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص ٨٠.

١٧ - نفسه، ص ٨٠.

١٨ - مرجع سابق، الضحك في الأدب الأندلسي، ص ٥٨.

١٩ - الهوامل والشوامل، ص ٢٤٧، مأخوذ من كتاب "الضحك في الأدب الأندلسي، ص ٦٠.

٢٠ - النثر الفني في العصر العباسي الأول اتجاهه وتطوره، محمد عبد الغني الشيخ، الدار العربية للكتاب، ص ٢٧٢.

٢١ - نفسه، ص ٢٧٠.

٢٢ - نفسه، ص ٢٧٠.

٢٣ - الحجاج، مفهومه ومجالاته، ص ٢٧٢.

٢٤ - الحجاج مفهومه ومجالاته، ص ٢٧٣، و محمد العمري "دائرة الحوار ومزالق العنف، ص ٣٠.

٢٥ - نفسه، ص ٢٧٠.

٢٦ - نفسه، ص ٢٧٠.

٢٧ - نفسه، ص ٢٧١.

٢٨ - ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب،

بيروت، (د.ت)، ص ١١٣-١١٤.

٢٩ - أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية، تنسيق أحمد شايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٠٦.

٣٠- أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية، تنسيق أحمد شايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١٠٥-١٠٦.

٣١- نفسه، ص ١٠٩-١١٠.

٣٢- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ٢٠٠٩م، ص ١٦٤.

٣٣- ابن المقفع، كليلة ودمنة، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص ٨٥.

٣٤- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ٢٠٠٩م، ص ١٤٦.

٣٥- عبد العزيز شبيل، في دلالية القصص وشعرية السرد، الفصل الرابع/ الجنس العقلي في النص الخرافي، باب "القرد والغيلم" من كتاب "كليلة ودمنة، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص ١٤٨.

٣٦- مرجع سابق، سامية الدريدي، ص ١٥٧.

٣٧- المرجع نفسه، ص ١٥٨.

٣٨- محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان ٢٠١٠م، ص ٦١.

٣٩- عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الطبعة الأولى، ص ١٩٨٨م، ص ٦٢.

٤٠- عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الطبعة الأولى، ص ١٩٨٨م، ص ٦٤.

٤١- ابن المقفع، كليلة ودمنة، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص ٨٥

٤٢- مجموعة من المؤلفين، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة، تنسيق أحمد الشايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ -/ ٢٠١١م، ص ٩١.

٤٣- مجموعة من المؤلفين، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة، تنسيق أحمد الشايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٩٣.

٤٤- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٦٥.

٤٥- مجموعة من المؤلفين، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة، تنسيق أحمد الشايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ -/ ٢٠١١م، ص ٩٣.

٤٦- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيق، طبعة ١، ١٩٧٨م، ص ١٣٨.

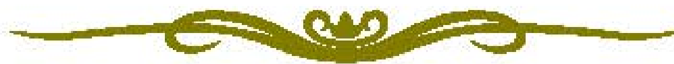
لائحة المصادر والمراجع

- **مجموعة من المؤلفين، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية، تنسيق أحمد شايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.**
- **مجموعة من المؤلفين، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة، تنسيق أحمد الشايب، جامعة ابن زهر/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ -/ ٢٠١١م.**
- **محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، يناير ٢٠٠٥م.**
- **ابن منظور؛ لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).**
- **ابن المقفع، كليلة ودمنة، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.**
- **محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج**

في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان ٢٠١٠م.

- الجاحظ، البخلاء، تحقيق أحمد العوامري، علي الجارم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ١٤٠٥هـج٢.
- السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيق، طبعة ١، ١٩٧٨م.
- أحمد شايب، الضحك في الأدب الأندلسي، دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ٢٠٠٩م.
- أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي دار صادر، بيروت، ط ٤، ١٩٩٩م.
- أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، القاهرة ١٩٣٩م.
- عبد العزيز شبيل، في دلالية القصص وشعرية السرد، الفصل الرابع/ الجنس العقلي في النص الخرافي، باب "الفرد والغيلم" من كتاب "كليلة ودمنة، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، تحقيق ابراهيم الكيلاني، الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٩٨م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي. . القاهرة ١٩٣٨م.
- محمد عبد الغني الشيخ، النثر الفني في العصر العباسي الأول اتجاهه وتطوره، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، حققه وشرحه وضبطه وفهرسه، دار الجيل، بيروت، (د. ط.)، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٥م، ج ٢.

سعيد علوش، هرمونتيك النثر الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ سوشبريس الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.



الجيش الأندلسي
في عهد عبد الرحمن الناصر
٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م

أ. صالح بن علي بن محمد الربع
المملكة العربية السعودية

الجيش الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م

لم يكن الجيش الأندلسي في عصر الولاة جيشًا نظاميًا بالمعنى المعروف، بل كان عبارة عن مجموعات عسكرية قائمة على أساس قبلي، وكان معظم أفراد ذلك الجيش من العرب والبربر، وكانت بداية تكوين الجيش النظامي في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٩م) فبعد أن أقام الدولة الأموية عام ١٣٨ هـ/ ٧٥٦م استراب من العرب والبربر، فعمل على إعادة بناء وتنظيم جيشه وكون جيشًا نظاميًا يدين له بالولاء والطاعة من المماليك والبربر ولم يستغن الداخل عن الكور المجندة التي ظلت خير داعم له، كما استحدث الداخل قوة عسكرية جديدة من العبيد السود الشجعان تعرف بعرافة السود.

ولم تطرأ أي تعديلات على الجيش في عهد هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٩-٧٩٦م) فقد سار على نهج والده في الاهتمام بالجند وأحوالهم وتجنيد المماليك.

أما الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) فقد عرف عنه الاهتمام بالجيش؛ حيث ذكرت المصادر التاريخية استكثاره من الجند المرتزقة وجلب المماليك وجمع الأسلحة والعدد، وقد استحدث الحكم بعض الفرق العسكرية الخاصة لحراسة قصر الإمارة وفرق للتدخل السريع لإخماد الثورات، وقام بتشكيل قوة عسكرية جديدة عناصرها من المماليك الذين اختارهم بعناية، ودربهم على ركوب الخيل واستخدام السلاح، وجعل مقرهم بالقرب من قصره، وقد عمل أفراد هذه الفرقة بنظام المناوبات ليكونوا جاهزين طوال اليوم، ويتضح من خلال هذه الدراسة أن الجيش في عهد الحكم بن هشام كان أكثر تنظيمًا وتدريبًا مما كان عليه في عهد والده هشام وجده عبدالرحمن الداخل.

ومع تولى عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) أعاد تنظيم الوزارة واستحدث العديد من المناصب كوزير الثغور

وصاحب الشرطة الكبرى وصاحب الشرطة الصغرى وكذلك منصب صاحب المدينة.

أما الجيش في عهد محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) فقد تضاعف عدده بالجند المتطوعين نتيجة للسياسة التي انتهجها من إسقاط الضرائب والحشود والبعوث عن أهل قرطبة، وترك لهم حرية التطوع في الجيش فما كان من أهل قرطبة إلا أن أقبلوا على التطوع في جيشه.

وظل الوضع كذلك في عهد المنذر بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) الذي لم يدخل أي تعديلات على الجيش لقصر مدة حكمه إلا أن عهد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) شهد أول تهديد لقوة الجيش الأندلسي فقد تراجعت قوة وعدد الجيش نتيجة لكثرة الثورات وخروج العديد من المدن والكور عن طاعته مما كان له أكبر الأثر في تقلص عدد الجيش، ولعل ذلك هو الذي دفع الأمير عبدالله إلى تكوين فرقة جديدة من الرماة مهمتها القيام بحراسة قصره وسرادقه.

وما إن تولى الأمير عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م) مقاليد الحكم حتى تبدل الحال، وعاد الجيش إلى أوج عظمته وقوته فقد حرص الناصر على تغيير تركيبة الجيش؛ حيث توسع في شراء المماليك والاعتماد عليهم واستخدامهم في الجيش وفي القصر كحرس خاص وخدم، وقد ازداد اعتماده على المماليك وبخاصة العنصر الصقلبي، وانتهج سياسة جده عبدالرحمن الداخل في استرابة من العرب والبربر، كما كان لهزيمة الناصر في معركة الخندق أكبر الأثر في تغيير سياسته العسكرية، كالاستغناء عن الحشود والمتطوعة والاكتفاء بالجيش النظامي إلى جانب دعم جيوش الثغور بجند الحشم وتعيين القادة الأكفاء على الثغور للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية، وسنتناول كل ذلك بشيء من التفصيل.

الجيش الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر:

بويع للأمير عبدالرحمن بن محمد عام ٣٠٠هـ/٩١٢م بالإمارة بعد وفاة جده وبلاد الأندلس تعمها الفوضى والغموض والتفكك، فكل جزء منها ثار فيها زعيم أعلن استقلاله عن حكومة قرطبة، فتصدى لهم الأمير عبدالرحمن، وأخضعهم لإمارته، ووحد بلاد الأندلس خلال أكثر من عقدين، ويصف ابن الخطيب ذلك بقوله: ((وولي الناصر لدين الله الأمر والأندلس جمرة تحتدم ونار تضطرم، وقد عظم الشقاق والنفاق، وارتجت، فسكنها الله بسعده، وعز نقيبته))[١].

ويصف ابن عذاري أحوال الأندلس عند مبايعة الأمير بقوله: "وكان الخلاف قد عم أقطار الأندلس وطبق القاصي والداني منها، واستولى أهل النفاق على كورها ومعاقلها"[٢]، وكانت أول خطوة بدأها الأمير عبد الرحمن من أجل توحيد البلاد وإعداد الجيش من جديد ومضاعفة عدد جنده من الكور المجندة وغيرها لمواجهة أهل التمرد هي إرساله بالكتب إلى أهل الكور والأطراف لمبايعته بالإمارة يقول ابن عذاري: "وعهد رحمه الله بالكتاب ببيعته إلى الكور

والأطراف"[3].

ويذكر ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن عندما عزم على الغزو، وهي أولى غزواته عام ٣٠٠هـ/٩١٢م أنفذ الكتب إلى عمال الكور والنواحي الخاضعة لطاعته في الاحتشاد والاستعداد للحرب كان أول من استجاب لأمره، وجدد طاعته جند دمشق وهم أهل كورة البيرة "فتبادروا بالمجيء إلى باب سدته وألقوا بمقاليدهم إلى الخليفة وتخلوا له عن حصونهم ومعاقلهم"[4].

وفي عام ٣٠١هـ/٩١٣م تم إخضاع إشبيلية، وذكر ابن حيان أن الحاجب بدر كتب أمانًا للجند الخارجين من مدينة إشبيلية[5]. وذكر في موضع سابق أن عددهم يقارب الألف فارس من الأبطال الشجعان[6]. وقد ألحق الحاجب بدر جميع فرسان إشبيلية في الديوان بحسب مقاديرهم وغناتهم[7].

لقد تصدى الأمير عبد الرحمن لأطماع الممالك النصرانية، واسترد الأراضي والحصون التي استولوا عليها[8]، وقد كان لهذه الحروب والغزوات التي خاضها الجيش الأندلسي أثرها الإيجابي في رفع كفاءة الجيش من الناحية القتالية والتنظيمية، كما كان لها أثر إيجابي في بروز عدد من القادة العسكريين الذين كان لهم دور كبير في تحقيق الانتصارات العسكرية.

ولعل تنامي قوة الجيش الأندلسي ونجاحه في توحيد بلاد الأندلس بعد القضاء على حركات التمرد، وصد الهجمات والأطماع الخارجية أحد الأسباب المهمة لإعلان الأمير عبدالرحمن بن محمد نفسه خليفة للمسلمين، إضافة إلى الأسباب الأخرى المتمثلة في ضعف الدولة العباسية وإعلان العبيديين الخلافة، كذلك خضوع ملوك وأمراء الممالك النصرانية للدولة الإسلامية في الأندلس وأميرها كل ذلك شجع الأمير عبدالرحمن إلى أن يعلن نفسه خليفة وأميرًا للمومنيين وتلقب بالناصر لدين الله عام ٣١٦هـ/٩٢٩م، وتشير بعض المصادر إلى أن الناصر يوم أن اختار مدينة الزهراء ليتخذها عاصمة ملكه بنى فيها القصور والبساتين، وأنشأ فيها مصنعًا للأسلحة[9]، واهتم بأمر الثغور لمواجهة الأعداء، وأمر في عام ٣٣٥ هـ بإعادة بناء مدينة سالم بالثغر الأوسط كأول مدينة عسكرية، وأصبحت قاعدة حربية في مواجهة إمارة قشتالة[10]، وكما أن مدينة سالم هي قاعدة الثغر الأوسط فإن مدينة سرقسطة هي قاعدة الثغر الأعلى ومدينة طليطلة هي قاعدة الثغر الأدنى[11].

لقد بلغ الجيش الأندلسي في عهد الناصر قمة مجده من كل النواحي عددًا وعده وتدريبًا وتنظيمًا؛ حيث نجح في استرجاع الحصون والقضاء على الثوار وردع الممالك النصرانية كما تخطى (مضيق جبل طارق)، واستولى على مدينتي سبته وطنجه لمواجهة أطماع الدولة الفاطمية.

ويصف هذا صاحب أخبار مجموعة في كلام مختصر فيقول: ((واتصل ملك عبدالرحمن خمسين سنة في عز منيع وسلطان قاهر وافتتاح للبلدان شرقًا وغربًا مع غزو العدو والغلبة له، وانتساف بلده، وهدم حصونه، والاستبلاغ فيه لا يلقى ذلاً ولا يرى في شيء من أموره نقصًا، وتنامى ذلك السعد حتى فتح الله له ما وراء البحر من المدن الجليلة المنيعة كسبته وطنجة وغيرها، ودان له أهلها فاستعمل عليها القواد وحصنها

بالرجال، وأمدهم بالجيوش الكثيفة في الأساطيل حتى وطئ بلاد البربر واستذلت ملوكها))[١٢].

وهنا إشارة إلى استخدام الأسطول في نقل الجيش بعدته وعتاده لاحتلال مواقع دفاعية مهمة في العدوة المغربية، وأهمها مدينتي سبتة وطنجة، ويذكر صاحب تاريخ الأندلس أن الناصر عام ٣٣٨هـ ملك أكثر بلاد الأندلس، وفي عام ٣٤١ هـ ملك وهران ومدينة تلمسان ومدينة تاهرت[١٣] وذلك من أجل مواجهة أطماع الدولة الفاطمية وحماية الأراضي الأندلسية؛ حيث بلغت الدولة ذروة القوة اقتصاديا وعسكريًا تمكنها من السيطرة على بلاد المشرق والمغرب؛ حيث يقول صاحب أخبار مجموعة: "واستحكم من أمره (يعني الناصر) ما لو اتصل عزمه فيه وتأييد الله عليه لغلب على المشرق فضلاً عن المغرب"[١٤].

وقد نظم ابن عبد ربه الأندلسي أرجوزة[١٥] تاريخية تتألف من أربعمئة وواحد وأربعين بيتًا تضمنت ذكر غزوات الأمير عبد الرحمن الناصر مع وصف جميل وشيق مستخدمًا الأسلوب الحولي من بداية عهد الناصر وإلى عام ٣٢٢هـ/ ٩٢٣م، وقد تناول فيها جهود الناصر في توحيد بلاد الأندلس وقمع الثائرين وافتتاح حصونهم، كما تضمنت ذكر غزواته ضد الممالك النصرانية، وما تحقق فيها من انتصارات[١٦].

توسع الناصر في الاعتماد على المماليك في الجيش:

لقد كان لوحدة بلاد الأندلس أثرها الكبير على ازدهار الحياة الاقتصادية وأصبحت الدولة غنية؛ حيث امتلأت خزينة الدولة بالأموال الطائلة من الجبايات والعشور، فتذكر المصادر التاريخية أن الجبايات في عهد الناصر قد بلغت "خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن المستخلص والأسواق سبعمائة وخمسة وعشرون ألف دينار" أي أن مجموعها أكثر من ستة ملايين دينار (٦,٢٠٠٠٠٥دينار). وتقسم هذه الأموال أثلاثًا، ثلث للجند وثلث للبناء وثلث يودع بيت المال[١٧].

ويذكر ابن خلدون ونسبه إلى مؤرخي الأندلس ولم يسمهم: "أن عبدالرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف ألف دينار مكررة ثلاث مرات، يكون جملتها بالقناطر خمسمائة ألف قنطار"[١٨]، فيكون مجموع تلك الأموال خمسين مليون دينار، وهذا بلا شك فيه دلالة كبيرة على أن البلاد تعيش أوضاعًا اقتصادية جيدة كان لها أكبر الأثر على حركة التطور والتقدم في الأندلس في كل المجالات والجوانب الحضارية المدنية من بناء وتعمير وتشجيع العلم والعلماء، مع الاهتمام بالجانب العسكري المتمثل بتقوية الجيش وتطويره والاهتمام بالثغور، وبناء المدن العسكرية، وتطوير صناعة الأسلحة، لقد نال الجيش النصيب الأوفر من الدعم المالي فثلث موارد الدولة تصرف للجند وخراج مناطق الثغور ومدنها هو لصالح القادة العسكريين وجيوش الثغور.

لقد اهتم الناصر بتطوير الجيش وتغيير بنيته وتركيبته؛ حيث توسع في سياسة شراء المماليك والاعتماد عليهم واستخدامهم في الجيش وفي القصر كحرس خاص وخدم، وقد بالغ في الاستكثار منهم حتى وصل عددهم في الزهراء

ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ومن النساء في القصر أكثر من ستة آلاف[١٩].

يذكر صاحب نفح الطيب ونسبه إلى بعض المؤرخين ولم يسمهم "كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتىً وسبعمائة وخمسين فتى"، هذا عدد الرجال منهم "وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة وأربع عشرة"[٢٠] ويلاحظ هنا مدى الاختلاف في تقدير أعداد هؤلاء المماليك كذلك وورود عدة تسميات لهم فيطلق عليهم بالفتيان وبالصقالبة وبالخرس وغيرها من التسميات.

لقد ازداد نفوذ المماليك والفتيان في عهد الناصر أكثر من العهود السابقة وشغلوا الوظائف والمناصب العالية في قصر الأمير وفي الدولة، لقد تقلدوا مناصب إدارية وعسكرية رفيعة فعلى سبيل المثال صاحب الخيل كان الفتى أفلح[٢١] وصاحب الشرطة هو الفتى دري[٢٢] وقائد العسكر مولاه نجدة بن حسين[٢٣]، والقائد في طليطلة قند مولى الناصر[٢٤].

وكان رؤساء الحرس في القصر من المماليك ومنهم خاصته وأهل خلوته كالفتيين ياسر وتمام[٢٥].

لقد سار الناصر على نهج أجداده في استرابته من العرب والبربر واعتماده على المماليك وبالأخص العنصر الصقلبي، وقد بالغ الناصر في انتهاج هذه السياسة التي تهدف إلى إضعاف سيطرة الجند العرب والبربر وإقصاء زعمائهم عن المناصب المهمة[٢٦].

لقد كان لهذا التهميش والإقصاء أثره السيء في نفوس العرب والبربر، وبخاصة الزعماء منهم والقادة العسكريين الذين لم يتعودوا أو يتقبلوا أن يتأمر عليهم أحد من المماليك[٢٧]، وتذكر بعض المصادر أن هزيمة جيش الناصر في غزوة الخندق عام ٣٢٧هـ - ٩٣٩م كانت بسبب تخاذل بعض كبار العسكر ومجموعة من الجند الناقمين على الناصر، واتفقت تلك المصادر على أن سبب هذا التخاذل والهرب من أرض المعركة كان لبغضهم للناصر لكنها اختلفت في سبب ذلك الكره والبغض، فصاحب أخبار مجموعة يعزو ذلك إلى غضب الأحرار بعد تقليد الناصر نجدة الصقلبي على العسكر إجبارهم للخضوع له، يقول رحمه الله: "فقلده عسكره وفوض إليه جليل أموره والجأ أكابر الأجناد ووجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم إلى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه"[٢٨] ثم يذكر أنهم اتفقوا على الانتقام أثناء المعركة، "فتواطأ أهل الحفاظ من رجاله ووجوه أجناده على ما كان من انهزامهم في الغزوة التي غزاها"[٢٩]، وفي رواية الرازي التي نقلها ابن حيان تأكيد لما ذكره مجهول؛ حيث جاء فيها أن هذا التخاذل سببه بغض بعض كبار العسكر للناصر، أوردت اسم أحدهم "وبدا من قوم من وجوه الجند في هذا اليوم النفاق لأضغان احتملوها على السلطان، ففتقوا الصفوف، وسارعوا في الهرب، وجروا على المسلمين الهزيمة وأبقوهم، وكان من أسبقهم إلى ذلك واكشفهم لما فيه نفسه الخائن فرتون بن محمد بن الطويل لما وبخ القائد نجدة ابن حسين أمير الناصر لدين الله صراحًا في حر المقط شامتًا بمصطنعه"[٣٠] إلى أن قال: "ونادى بشعاره، ومضى فارًا طامعًا في العودة

إلى المنهل الذي زحزح عنه"[٣١]، وهنا نلاحظ في هذه الرواية أن تهجم فرتون على القائد نجدة تكشف سبب أضغانه ومن معه على الناصر، وأما ابن الخطيب فقد عزا هذا التخاذل من هؤلاء إلى حسدهم للناصر "وجرت الهزيمة على المسلمين طائفة من جند الناصر لدين الله حسدته ما هيأ الله له من الصنع، ولم تناصحه في الحرب حق النصح، فجالت ثانية للأعنة، واختل مصاف القتال"[٣٢]، وسوف يأتي الحديث عن أسباب الهزيمة في غزوة الخندق وعن تغير سياسة الناصر العسكرية بعد هذه الغزوة مما يثبت أن تخاذل هذه المجموعة من العسكر لم يكن السبب الوحيد في وقوع الهزيمة بل هناك أسباب أخرى سنتناولها في موضعها.

سياسة الناصر العسكرية بعد غزوة الخندق:

من خلال مجموع الروايات يتبين لنا أن الهزيمة التي تلقاها الناصر وجيشه الكبير يوم الخندق لم يكن السبب الرئيس هو التخاذل وانسحاب هؤلاء الجند الناقمين عليه بل كان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى الهزيمة، ويتضح ذلك من الإجراءات العسكرية الجديدة التي طبقها الناصر لتفادي الأخطاء التي وقعت ومعالجة الأسباب التي أدت بمجموعها إلى الهزيمة، وسوف نتناول تلك الإجراءات والتعديلات ضمن الحديث عن بقية أسباب الهزيمة.

فمن ضمن تلك الأسباب هو الغرور والثقة الزائدة لدى الناصر بضخامة جيشه وكثرة عدده حتى سماه جيش القدرة ((وسماها غزاة القدرة لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها فهزم فيها أقبح هزيمة))[٣٣].

وهذا يذكرنا بغزوة حنين؛ حيث قال بعض المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اغترارًا بكثرة عددهم وكانت الهزيمة في بداية القتال وأنزل الله فيها قرآنًا يتلى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴿٢٥﴾ ﴾))[٣٤]. لقد بالغ الناصر في إكراه أهل الأندلس في مختلف المناطق على الخروج للقتال؛ حيث كتب إلى عماله وشدد عليهم بإرسال من لديهم وتضييق المعاذير عليهم وضمن كتبة عبارة اشتهرت بين الناس "وليكن حشدك حشرًا لا حشدًا"[٣٥]، فكان عدد الحشود كبيرًا "فانبعث منهم خلق عظيم بين الكره والموافقة"[٣٦]، ((وقد تنامت جنوده من أهل الأمصار، ودخل مصافة مرابطوا أهل العدوة ومطوعة الأقطار، فكان جمعه عظيمًا وركبة فخمًا شنيعًا راق منظره وعظم مرآه"[٣٧]، وقدرت بعض المصادر عدد الجيش بمائة ألف مقاتل[٣٨].

ولقد كان للمبالغة في عدد الجند والمقاتلين آثار سلبية على تحرك الجيش في المناطق الجبلية والطرق الوعرة، وهذا ما جعل الناصر يستغني عن الحشود والمطوعة حين هم بغزو جليقيه (مملكة ليون) عام ٣٢٨هـ ويكتفي بالجيش النظامي ((ودبر الخروج في غلمانه وأحشامه خاصة لما هم عليه من تكامل العدة والتباهي في البأس والشدة والاستظهار بالعدة والقوة))[٣٩]، ويرجع استغناء الناصر عن الحشود والمطوعة كما يذكر ابن حيان لسببين الأول: "وارتأى الإعفاء لرعيته من كلفة هذه الغزوة، ورفع مؤنتها عنهم، للذي نالهم في غزوة الخندق قبلها"[٤٠].

والسبب الثاني أن كثرة هؤلاء تسبب إرباك الجيش في مسيرته ((واعتزم على الإضراب عن حشد أحد أجناس المطوعة، الذين جرت بحشدهم العادة، إذ كانت جموعهم إذا توافت وأعدادهم، إذا تكاملت، تضيق عنهم بلاد العدو، ولا تسعهم غلاتها ولاترويهم مياهها، فيدعوهم ذلك إلى الاضطراب والارتياد، ولا يمكنهم من التلبث والمقام ولا يتوصل معها إلى أقصى بلد العدو ولا يستأصل معها نعمهم))[٤١]، ومن ضمن الإجراءات التي اتخذها الناصر وطبقها ترك قيادة الجيش للقادة الكبار فلم يخرج للغزو بنفسه من غزوة الخندق إلى أن توفى يقول ابن حيان: ((وأقصر من وقته ذلك عن الغزو بنفسه، فوكله إلى كفاته من حزمه قوادة وشجعانهم، يجردهم بالصوائف كل عام لا يخل بها))[٤٢]. كذلك اهتم الناصر بالثغور وتحصينها وقلد قيادتها وولايتها لكبار القادة من الأسر العريقة والساكنين في تلك المدن والثغور والمؤمرين بها وراثة عن الآباء والأجداد، ومن أشهر تلك الأسر أسرة آل تجيب وآل زروال وآل غزوان وآل الطويل وآل رزين[٤٣]، يقول ابن حيان: ((فقسم بلادهم بينهم حصصًا وجدد لهم ولإعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كل عام سجلاتهم تضمينًا وترفيهًا))[٤٤]، وكان يكرمهم بالصلات والعطايا إذا وفدوا إليه، ويرسل إليهم الهدايا وهم في مدنهم، وكسب بذلك صدق ولائهم له وحسن بلاءهم في الدفاع عن أراضي وحدود الدولة الإسلامية، وصد هجمات وأطماع الممالك النصرانية ومع ذلك لم يوقف الناصر الصوائف بل كانت تنطلق كل عام من قرطبة بقيادة قادته الشجعان المخلصين، وكانت تحقق الانتصارات على الأعداء ((فلا تزال الفتوح تترى عليه والظفر يصحبه والسعد يعجله))[٤٥]، ويصف ابن الخطيب قوة الدولة الأموية وخضوع الأعداء للناصر ((وتوالت عليه بعد ذلك المنوح وأذعنت الأعداء وقدمت عليه رسل الملوك بالعدوة المغربية من زناته والادارســة والقيروان وجزائر بني مزغنا، ووصل إليه رسول ملك القسطنطينية العظمى راغبًا منه في إيقاع المؤالفة))[٤٦].

ومن الإجراءات الجديدة في عهد الناصر بعد غزوة الخندق مباشرة والذي طبق ربما لأول مرة، وهو الحكم بإعدام مجموعة من القادة العسكريين ومن شاركهم من الجند الذين تخاذلوا وتركوا أرض المعركة لإرباك الجيش وتفريق صفوفه، وكان هذا الإجـراء أشبه بمحاكمة عسكرية مستعجلة وإصدار حكم الإعدام بهؤلاء العسكر بتهمة الخيانة.

ويذكر ابن حيان إن فرتون بن محمد لما وبخ القائد نجدة بن حسين وفر من أرض المعركة أرسل الناصر من يتعقبه ويقبض عليه ليصلب على باب السدة[٤٧] عند دخول الناصر لقرطبة وصلب معه مجموعة ممن شاركوه في الهرب[٤٨].

وفي رواية أخرى أوردها ابن حيان أن الناصر عجل في إعدام وصلب فرتون وبعد أيام تم تجهيز منصة عالية قريبة من باب السدة كما تم تجهيز عشرة جذوع من عالي الخشب للتصليب وكل خشبة أمام باب من الأبواب العشرة المحيطة بالمنصة واجتمع الناس وهم لايعلمون عن الأمر شيئًا ويصف ابن حيان الطريقة التي تم بها إلقاء القبض على الفرسان المتهمين بالخيانة في غزوة

الخندق أثناء عرض عسكري بحضور صاحب المدينة وإشرافه على عملية إعدامهم، ((فلما أقبل العرض، أمر صاحب المدينة بالقبض على عشرة من وجوه فرسان الجند، الذين سارعوا الانهزام يوم الخندق، كانوا قيامًا في الصف، سماهم وأمر بإعلائهم فوق الخشب بعينها، فتولاهم الاشتراط لحينهم وشدوهم مصلبين بأعاليها، فمثلوا للحين بذراها، يستغيثونه ويسترحمونه ويستقيلونه، وهو يزداد عليهم غيظًا وسبًا لهم))(٤٩) ولم يسمع صاحب المدينة لاعتذارهم وأمر بإعدامهم طعنًا ثم انصرف عنهم.

يلاحظ هنا أن إعدام فرتون كان على وجه السرعة وبحضرة الناصر لثبوت جريمته أما هؤلاء فكان إعدامهم بعد أيام ربما من أجل التثبت قبل إصدار الحكم عليهم، ويذكر ابن الخطيب أن عدد الفرسان الذين اعدموا وصلبوا يقارب الثلاثمائة ونودي عليهم ((هذا جزاء من غش الإسلام وكاد أهله، وأخل بمصاف الجهاد))(٥٠).

وصف ابن حوقل للقوة العسكرية في الأندلس في عهد الناصر:

ونشير هنا إلى وصف ابن حوقل الذي قلل من شأن القوة العسكرية في الأندلس، واتهم أهل الأندلس بأوصاف غير لائقة وبعيدة عن الواقع ذكرها في كتابه صورة الأرض(٥١)، وقد أورد المقري كلامه، فيما يخص وصفه للأندلس واتهام أهلها بصغر الأحلام ونقص العقول وبأنهم بعيدون عن البأس والشجاعة والفروسية، وقد تصدى له علي بن سعيد(٥٢)، بالرد على هذا الاتهام وتفنيده وأورده المقري بعد كلام ابن حوقل وكان ردًا شافيًا وافيًا، ومما جاء فيه قوله: "ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف؟"(٥٣)، كذلك وصف ابن حوقل الجيش الأندلسي في عهد الناصر ووصف أساليب القتال لدى الأندلسيين بأنها قائمة على الكيد والحيلة، وسخر من ضعفهم في مجال الفروسية بأسلوب فيه تحامل واضح مرده ربما إلى تعصبه المذهبي المقيت، يقول: ((وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها، وإن شجعت أنفسهم ومرنوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتعرف على الكيد والحيلة وما رأيت ولا رأى غيري بها إنسانًا قط جرى على فرس فاره أو برذون هجين ورجليه في الركابين ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن احد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم))(٥٤)، وليت ابن حوقل اكتفى برؤيته هو فربما اقتنع القارئ الهاوي بكلامه لكنه بالغ وتجاوز الحد، فصار يتكلم باسم الآخرين، ثم نراه يؤكد على أن الجيش النظامي لا يصل تعداده إلى خمسة آلاف فارس لا في عهد الناصر ولا في عهد من سبقه، ويعدو ذلك إلى كفاية أهل الثغور ودورهم في حماية البلاد، يقول "وما أطبقت قط جريدة عبدالرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم على ديوانه؛ لأنه مكفي المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ولا عدو عليه سواهم وقلما يكترث بهم، وربما طرقه في

بعض الأحايين مراكب الروس والترك البنجاكية وقوم في جملتهم من الصقالبه والبلغار، فينكوا في إعماله وربما انصرفوا خاسرين خائبين"[55].

وهنا نلاحظ إن ابن حوقل يتعمد خلط الأوراق فيما يتعلق بالقوات العسكرية في الأندلس أو هو يجهل السياسة الجديدة التي سار عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد غزوة الخندق عام ٣٢٧هـ والمتمثلة كما مر معنا في الاستغناء عن الحشود والمتطوعة والاكتفاء بالجيش النظامي، إضافة إلى دعم جيوش الثغور بجند الحشم،وتعيين القادة الأكفاء على الثغور للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية.

والمعروف إن ابن حوقل قد دخل الأندلس في عام ٣٣٧هـ كما ذكر هو في كتابه[56]؛ أي بعد غزوة الخندق بعشر سنوات فهو حتمًا لم يشاهد ضخامة الجيش الأندلسي النظامي، وما يتبعه من الحشود والمتطوعين إضافة إلى المقاتلين المتمرسين من الكور المجندة والذين يشكلون جزءًا كبيرًا ومهمًا في الجيش الأندلسي.

ويرى الدكتور أحمد مختار العبادي أن ابن حوقل كان من بين الجواسيس الذين أرسلهم الفاطميون إلى الأندلس لمعرفة أحوالها ومواطن الضعف والقوة فيها، وكان هؤلاء الجواسيس يخفون أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة والعلم أو السياحة ويبدو أن ابن حوقل قد تستر بالتجارة عند دخوله الأندلس؛ حيث يسميه ياقوت بالتاجر الموصلي، ويشير العبادي إلى أن ابن حوقل اهتم في تقريره الذي رفعه إلى الفاطميين بإظهار خيرات الأندلس الزراعية والمعدنية مع الإشارة إلى ضعف أهلها؛ وعجزهم عن الدفاع عنها من أجل أن يغري مولاه المعز لدين الله الفاطمي على غزو تلك البلاد، ولأن ابن حوقل كان متحاملاً على الأندلسيين في كلامه ومبالغًا في اتهامه لهم بالضعف لم يظفر مشروعة بالتأييد من جانب الدولة الفاطمية[57].

ولا شك بأن العبيديين (الفاطميين) لهم مصادر معلوماتية أخرى تنقل المعلومات الصحيحة، وكذلك تأتيهم الأخبار المؤكدة عن انتصارات الأمير عبد الرحمن في الداخل والخارج والدالة على قوة جيوشه من حيث العدد والعدة والتنظيم مما دعا الممالك النصرانية إلى مهادنته والتسابق على كسب وده ورضاه والوفادة عليه في قرطبة.

الحواشي

(١) ابن الخطيب، لسان الدين السلماني ذي الوزارتين (ت ٧٧٦هـ)، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م ص٢٩.

(٢) ابن عذاري المراكشي (عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س كولان وأ.ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م،ج ٢ ص ١٥٨.

(٣) ابن عذاري، المصدر السابق، ص١٥٨.

(٤) ابن حيان، **المقتبس**، السفر الخامس، اعتنى بنشره ب.شالميتا بالتعاون مع ف.كورينطي و م.صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م، ص ٥٨.

(٥) ابن حيان ،المصدر السابق، ص٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٠.

(٨) مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، دار أسامة، دمشق، نسخة مطابقة لطبعة ريدنير في مدريد، ١٨٦٧م، ص ١٥٣- ١٥٤، مجهول، **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ص ٢٠٢-٢٠٣، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ٢٩-٣٠، ابن خلدون، عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٤ ص ١٦٥، ابن عذاري، المصدر السابق، ج ٢ص ١٥٧-١٥٨، المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني (توفي عام ١٠٤١هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق د. مريم الطويل ود. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ١٩٩٥م، ج١ ص٣٤٠.

(٩) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٧٢

(١٠) ابن الكرديوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري)، **تاريخ الأندلس**، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ١٣ مدريد ١٩٦٥م ١٩٦٦م، ص ٦٠، ابن عذاري، المصدر السابق، ج ٢، ص٢١٣، ٢١٤ وقد أشار ابن عذاري أنها مدينة قديمة وخالية مقفرة والناصر أمر ببنائها من جديد وكلف القادة العسكريين في الثغر بعملية البناء والتعمير وسكنها المسلمون للرباط بها بعد اكتمال البناء والعمران، انظر البيان المغرب،ج٢ ص٢١٤.

(١١) العبادي، أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م،ص ٢٠٨.

(١٢) مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ١٥٤، ١٥٥، ابن حزم،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م، ص١٠٠، وانظر ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ج١ ص١٩٨ – ١٩٩.

(١٣) مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص ٢٠٩

(١٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٥

(١٥) الأرجوزة: هي قصيدة من بحر الرجز أسهل بحور الشعر حيث يتفق الشطر الأول من كل بيت في قافيتها (العروض) مع قافية الشطر الثاني (الضرب) في البيت نفسه ليسهل تذكره وحفظه، وهي وسيلة لتنمية الذاكرة وتعليم نصوص نثرية ذات طبيعة تاريخية أو أدبية تحفظ عن ظهر قلب. وانظر: روبيرامثي، ماريا خيسوس، **الأدب الأندلسي**، ترجمة أشرف علي دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م، ص٢٧٤ – ٢٧٥.

(١٦) انظر ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي(ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٥، ص٢١٨ – ٢٣٧، وانظر البكر، خالد بن عبد الكريم، **الأراجيز التاريخية الأندلسية دراسة وتقييم**، بحث منشور في مركز بحوث كلية الآداب، الرياض، ١٤٣٠هـ، عدد ١٤٢، ص٦٥ ويعزو دكتور خالد انتهاء الأرجوزة عند عام ٣٢٢هـ ربما إلى مرض ابن عبد ربه الذي أصيب بالفالج في أواخر حياته، ويرى روبيرا أن أرجوزة ابن عبد ربه ذات طبيعة حربية في موضوعها وبراعتها الروائية لكنها لا تحتوي بداخلها على أي عنصر ملحمي. انظر: **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص٢٧٥.

(١٧) مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص ٢٠٦، ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣١- ٢٣٢، ابن الكرديوس، المصدر السابق، ص ٥٩، وعند ابن الخطيب القسمة الأثلاث دون ذكر مجموع الجباية، انظر **أعمال الأعلام**، ص٣٨، المقري، المصدر السابق، ج١ ص٣٦٣.

(١٨) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١ (المقدمة) ص١٩٢.

(١٩) مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص٢٠٨ وذكر أن عدد الصقالبة في الزهراء ثلاثة آلاف وتسعمائة وخمسين خصياً ولم يذكر عدد النساء، وانظر ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٤٠-٤١، ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢ ص٢٣٢.

(٢٠) المقري، المصدر السابق، ج٢ ص ١٠٣، عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، العصر الأول – القسم الثاني، ص٤٥٠ – ٤٥١، العبادي، أحمد مختار، **الصقالبة في إسبانيا**، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد١٣٧٣هـ١٩٥٣م، ص١١.

(٢١) أفلح هو مولى الأمير عبد الرحمن الناصر ويعد من كبار رجال الدولة، وهو والد زياد بن أفلح صاحب المدينة.

(٢٢) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص٣٤١، وذكر ابن عذاري أن الناصر كلف دري بن عبد الرحمن صاحب الشرطة بمهمة عسكرية ضد ابن الزيات عام ٣١٥هـ انظر: البيان المغرب، ج٢، ص١٩٤.

(٢٣) ابن حيان، المصدر السابق، ص٤٢٠.

(٢٤) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٤.

(٢٥) المقري، المصدر السابق ،ج١ ص٣٥٢.

(٢٦) أحمد مختار العبادي، **الصقالبة في إسبانيا**، ص١١، المزروع، وفاء عبدالله، **نفوذ الصقالبة في عصر الإمارة (١٣٨ – ٣٦٦هـ \ ٧٥٥ – ٩٧٦م)**، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات – القسم الأول – مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦، ص ١٠٧.

(٢٧) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ١٥٥ – ١٥٦

(٢٨) المصدر نفسه، ص١٥٥

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) ابن حيان، المصدر السابق، ص٤٣٦ – ٤٣٧

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ٣٧

(٣٣) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٥٦

(٣٤) سورة التوبة آية رقم (٢٥)

(٣٥) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص٤٣٣

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) ذكر البكري أن عدد الجيش أكثر من مائة ألف "كان عبدالرحمن في مائة ألف وأزيد" انظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م)، **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م، ص٧٧، المسعودي، ابو الحسن علي (ت ٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، نقحه وصححه شارل بلا، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ج١ ص١٩٢ و ج٢ ص١٤٩ وقد نقل عنه المقري، نفح الطيب،ج١ ص٣٤٣

(٣٩) ابن حيان، المصدر السابق،ص ٤٤٩.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) المصدر نفسه، ص٤٣٧

(٤٣) المصدر نفسه، ص٤٣٧ – ٤٣٨.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٤٣٨.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٣٧

(٤٧) باب السدة أكبر أبواب القصر، انظر ابن حيان، المصدر السابق ص ٤٤٥.

(٤٨) حيان، المصدر السابق، ص٤٣٧ و ص٤٤٤.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٤٤٦

(٥٠) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٣٧

(٥١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي أو الموصلي أو البغدادي (ت٣٦٢هـ)، **صورة الأرض**، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، بدون تاريخ، ص١٠٤و١٠٥.

(٥٢) هو أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ينتهي نسبة إلى عمار بن ياسر، أندلسي، ولد عام ٦١٠هـ في قلعة يحصب من أعمال غرناطة وكانت وفاته عام ٦٨٥هـ وقيل عام ٦٧٣ هـ وهو مكمل تصنيف كتاب المغرب في حلى المغرب، تنقل في الأندلس ثم سكن تونس ورحل للمشرق حيث جال في مصر والشام والعراق، انظر ترجمته لدى ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط٤، القاهرة، بدون تاريخ،ج٢ ص١٧٢، وانظر الكتبي، محمد بن شاكر

(ت ٧٦٤)، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ،ج٣ص١٠٣، ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد ابوالنور دار التراث القاهرة، بدون تاريخ،ج٢ ص١١٢، المقري، المصدر السابق ،ج٣ ص٢٩.

(٥٣) المقري، المصدر السابق، ج١ ص٢٠٤.

(٥٤) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص١٠٨.

(٥٥) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٠٤

(٥٧) أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص ٨١ – ٨٢.

المصـــادر والمراجع

المصادر الأولية:

٣) ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م.

٥) ابن الكرديوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري)، **تاريخ الأندلس**، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ١٣ مدريد ١٩٦٥م ١٩٦٦م.

٦) ابـن حزم،أبـو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.

٧) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي أو الموصلي أو البغدادي (ت٣٦٢هـ)، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

٨) ابن حيان، **المقتبس**، السفر الخامس، اعتنى بنشره ب.شالميتا بالتعاون مع ف.كوريتطي وم.صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

٩) ابن خلدون، عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠) ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٤، القاهرة، بدون تاريخ.

١١) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي(ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢) ابن عذاري المراكشي (عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س كولان وإ.ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

١٣) ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد ابوالنور،دار التراث القاهرة، بدون تاريخ.

١٤) البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م)، **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق د. عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.

١٥) الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤)، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٦) المسعودي، أبو الحسن علي (ت ٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، نقحه وصححه شارل بلا، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ج١ و ج٢

١٧) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني(توفي عام ١٠٤١هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق د. مريم الطويل ود. يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.

١٨) مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر

بوبايه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

١٩) مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، دار اسامة، دمشق، نسخة مطابقة لطبعة ربدنير في مدريد، ١٨٦٧م.

المراجع الحديثة:

١) البكر، خالد عبد الكريم، **الأراجيز التاريخية الأندلسية دراسة وتقييم**، بحث منشور في مركز بحوث كلية الآداب، الرياض، ١٤٣٠هـ، عدد ١٤٢.

٢) روبييرا متى، ماريا خيسوس، **الأدب الأندلسي**، ترجمة أشرف علي دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

٣) العبادي، أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨.

٤) العبادي، أحمد مختار، الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد١٣٧٣هـ١٩٥٣م.

٥) عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٦) المزروع، وفاء عبدالله، **نفوذ الصقالبة في عصر الإمارة (١٣٨ - ٣٦٦هـ / ٧٥٥ - ٩٧٦م)**، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات - القسم الأول - مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.



ثلاثة نصوص وثائقية جديدة لعهود تولي السلطنة من عصر المماليك الجراكسة (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)

د. محمد جمال حامد الشوربجي

أكاديمي - مصر

مقدمة:

للوثائق في كل عصر أهمية كبيرة عند دراسة أي فترة تاريخية؛ فهي تساعدنا على فهم ومعرفة الكثير من الأسرار الخاصة بشؤون الحكم والإدارة، فضلاً عن أهميتها في سد الثغرات الخاصة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي لم تنل حظها من الكتابة التاريخية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها، وقد شهدت مصر في عصر دولة المماليك اتساعًا كبيرًا في حدودها الجغرافية والعلاقات الدولية؛ فضلاً عن النظم الإدارية.

كل هذا نتج عنه آلاف الوثائق في شتى جوانب الحياة المصرية حفظت فيما يعرف في ذلك الوقت بديوان الإنشاء[1] الذي شهد حركة واسعة في وضع النظم والتقاليد الخاصة بالكتابات السلطانية والديوانية من تولية وعزل وغيرها؛ وذلك على يد عدد من الأعلام الذين تولوا رئاسة هذا الديوان مثل محيي الدين بن عبد الظاهر(ت:٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، وشهاب الدين بن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، وشهاب الدين محمود الحلبي(ت:٧٢٥هـ/١٣٢٥م) وغيرهم.

وهذه النظم والقواعد لم تكن ثابتة جامدة بل كانت تتطور وتتغير تبعًا لأهلية رئيس الديوان ومدى مهارته، وقد نالت كتابة عهود تولي السلاطين المماليك من قبل الخلفاء العباسيين[2] اهتمامًا كبيرًا من قبل رؤساء وكتاب الديوان، فخضعت لعدد من النظم والقواعد، وفي هذا المقدمة سنحاول الوقوف على هذه الضوابط والقواعد والإرشادات والنصائح التي كان يلتزم بها كاتب عهود السلطنة؛ حيث كان عليه مراعاة عدة أمور منها:

- براعة الاستهلال بما يتهيأ له من اسم السلطان أو لقبه الخاص مثل عز الدين وصلاح الدين، أو لقبه في السلطنة مثل الناصر والظاهر

والأشـرف ونحوها، وكذلك الكنى مثل أبي النصر، وأبي الفتح، وأبي السعادات.

- التنبيه على شرف الخليفة وما منحه الله من خلافته في تسيير أمور الخلق، ثم يَعرُج على شرف السلطنة وعلو رتبتها، ووجوب القيام بأمر الرعية وتحمل ذلك عن الخليفة.

- الإشارة إلى اجتهاد الخليفة في إعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة، وأنه لم يجد لذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه، فيصفه بالصفات الجميلة، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك.

- الإشارة إلى جريان لفظٍ نعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض، وقبول ذلك، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد.

- إيراد ما يليق من الوصية بحسب ما يقتضيه الحال من علو رتبة الخلافة وانخفاضها، مبينًا ما يلزمه القيام به من حفظ أصول الدين، وتنفيذ أحكامه على الخاص والعام، ورعاية حكامه، والعدل بين الناس، وحماية بيضة الإسلام وبلاده، وتحصين الثغور، وجهاد أعداء الله، وجباية ما أوجبه الشرع من المال من غير حيف ولا عسف، وصرفه فيما يستحق من غير سرف ولا تقتير، وتقليد النصحاء والأخيار لولاية الأعمال ومصالح الخلق، ومراعاة ذلك بنفسه، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة من إقامة موسم الحج ورعايته وتأمين الحرم الشريف إلى غير ذلك مما تقتضيه أمور المملكة[٣].

يبدأ العهد بما يعرف بالطرة، وهي عبارة عن ملخص لما يحتويه نص العهد، ويكتب فيه كاتب العهد ما يقتضيه الحال من ذكر اسم السلطان واسم الخليفة المبايع له، ثم يعقب ذلك ذكر البسملة الشريفة ثم متن العهد، ولكن قبل أن نتحدث عن ما يحتويه متن العهد نذكر أن هذه العهود كانت تكتب بقلم الطومار على قطع الورق البغدادي الكامل في خمس أوصال[٤]. أما متن العهد فعلى ثلاثة مذاهب:

- المذهب الأول: وعليه عام المتقدمين وأكثر المتأخرين، وهو أن يفتتح العهد بـ "هذا ما عهد به فلان فلانًا، أو "هذا عهد من فلان الفلاني"، أو "هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان"، وعلى هذا المذهب كتب شهاب الدين الحلبي عهدي السلطان العادل زين الدين كتبغا(٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)، والسلطان المنصور حسام الدين لآجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م)، وفي ذلك طريقتان:

- الأولى: طريقة المتقدمين، وهو أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا في غيرها، ولا يتعرض لذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه، ثم يقول: فقلده كذا وكذا، ويذكر ما فُوِّض إليه حتى يأتي إلى آخر الوصايا، ثم يقول في آخره "هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته لك وعليك ويأتي بما يناسب ذلك ويختم بقوله: والسلام عليكم ورحمة الله، وعلى هذا كانت عهود السلف.

- الثانية: طريقة المتأخرين كالشهابي محمود، وابن فضل الله وغيرهما، وهو أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميده، ويذكر بعد صدور العهد أوصاف المعهود إليه ويطنب فيها، ويثني عليه بما يليق بمقامه، ثم يقول فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله، ويصلي على ابن عمه النبي ﷺ، ويكمل الخطبة بما أمكنه، ثم يقول: عهد إليه وقلده جميع

ما قلده مما رآه من مصالح الخلق بعد أن استخار الله؛ واستشار أهل الرأي فلم ير أفضل منه، وما شابه ذلك من عبارات، ثم يقول: وأن المعهود قبل ذلك منه"، ويأتي بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام.

وكلما كثر التحميد كلما دل على عِظَم النعمة، ويقال في آخره: والاعتماد على الخط الشريف أعلاه حُجَة بمقتضاه، ثم تاريخ كتابة العهد، وعلى هذه الطريقة كتب الشهاب الحلبي عهد السلطان العادل زين الدين كتبغا وعهد السلطان المنصور حسام الدين لاجين، وعهد السلطان بيبرس الجاشنكير (٧٠٨ - ٧٠٩هـ / ١٣٠٩-١٣١٠م)، وعليها ما ننشره اليوم من وثائق.

- المذهب الثاني: أن يفتتح العهد لفظ "من فلان" اسم الخليفة وكنيته ولقب الخلافة إلى فلان باسم السلطان ولقبه ولقب السلطنة، ثم يأتي بلفظ "أما بعد" وبعدها إما تحميده وتخلص إلى ذكر الولاية ونحوها، أو خطبة بخطاب المولى والدعاء له؛ وتخلص إلى مقاصد العهد من الولايات وغيرها، وهذه الصيغة تستحسن إذا كان المعهود إليه غائب عن حضرة الخليفة؛ لأن العهد بهذا الشكل يصير كالرسالة الصريحة إليه بخلاف ما إذا كان المعهود إليه بحضرته.

- المذهب الثالث: أن يفتتح العهد بخطبة، وعلى هذا المذهب كتب القاضي ناصر الدين البارزي عهد السلطان المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) عن الخليفة العباسي المستعين بالله أبي الفضل العباس(٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م).

- المذهب الرابع: أن يفتتح العهد بقوله: "أما بعد، فالحمد لله"، أو "أما بعد، فإن أمير المؤمنين" أو "أما بعد، فإن كذا" ونحو ذلك، وهناك مذهب خامس نادر التطبيق[٥].

أما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه على الورق، فهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أعلى الدرج من أول عرض الورقة إلى آخره سطورًا متلاصقة من غير هامش، وفي أعلاه قدر إصبع بياض، ثم يترك ست أوصال بياضًا من غير كتابة غير الوصل الذي فيه الطرة، ثم تكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تكون أعالي ألفاتها تكاد تلحق بالوصل الذي فوقه، ثم يكتب سطر من أول العهد تحت البسملة ملاصقًا لها بحيث تكاد أعالي ألفاته تلمس البسملة، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر، ثم يكتب السطر الثاني من العهد على سمت السطر الذي تحت البسملة، ويسترسل في كتابة بقية العهد، وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة، ثم التاريخ، ثم المستند، ثم الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ ثم الحسبلة[٦].

وتأتي أهمية هذه النصوص الوثائقية التي ننشرها اليوم في أنها تعطينا نماذج للمكاتبات الرسمية المملوكية الصادرة من ديوان الإنشاء والصادرة بعد سنة٨١٥هـ/١٤١٢م، وهي السنة التي دون فيها عهد السلطان المؤيد شيخ، وهو آخر عهد دونه القلقشندي في كتابه، فتكون بذلك استكمالاً لسلسلة العهود المملوكية في عصر المماليك الجراكسة. أضف إلى ذلك أن اثنين منها يعودان إلى فترة الاضطراب السياسي التي تلت وفاة السلطان الظاهر خشقدم سنة٨٧٢هـ/١٤٦٧م، واستمرت حتى تولى السلطان الأشرف قايتباي الحكم في السنة نفسها، وقد قدمنا لكل وثيقة بترجمة للسلطان مختصرة وذكر قصة توليه السلطنة، ثم ذكر النشرات

السابقة ونقدها إذا كان نشر في السابق، وهذا يختص بعد المؤيد أحمد فقط يلي ذلك ذكر النسخ الخطية المعتمد عليها مع نماذج منها.

عهد السلطان المؤيد أبي الفتح أحمد بن السلطان الأشرف إينال

(١٤ جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/٢٦ فبراير سنة ١٤٦٠م)

ترجمة السلطان:

هو السلطان السابع والثلاثون من ملوك الترك بمصر، والثالث عشر من ملوك الجراكسة، بويع بالسلطنة في حياة والده، وتسلطن ووالده في قيد الحياة أيامًا حتى مات، وكانت صفة مبايعته بالسلطنة أن أباه لما أشرف على الموت صعد الأمير بردبك صهر السلطان واجتمع بزوجة السلطان، وذكر لها اضطراب الأحوال وفسادها، وأن الرأي أن يعهد السلطان إلى ولده بالسلطنة، فدخلت خوند على السلطان؛ وذكرت له ذلك، فأمر بإحضار الخليفة المستنجد بالله يوسف[٧] والقضاة الأربعة فحضروا، وحضر أرباب الدولة من أصحاب الحل والعقد، فلما تكامل المجلس دخل الشهود على السلطان، وشُهِدَ عليه بخلع نفسه من السلطنة وتولية ولده فأجاب إلى ذلك.

ثم بايع الخليفة المستنجد بالله يوسف الأمير أحمد بن السلطان عوضًا عن أبيه الأشرف، وتلقب بالملك المؤيد وكُنّيَ بأبي الفتح؛ فلما تمت البيعة أُحضِرَ إليه شعار الملك، وهو العمامة السوداء والجبة والسيف البداوي، فأُفيض عليه الشعار، وقدمت إليه فرس النوبة فركب من باب الدهيشة، وحمل الأمير خشقدم[٨]- أمير سلاح[٩]- على رأسه القبة والطير[١٠] حتى وصل إلى القصر الكبير؛ فدخله وجلس على سرير الملك، ودقت البشائر بالقلعة، ثم نزل الوالي، ونادى في القاهرة بالدعاء للملك المؤيد؛ فارتفعت الأصوات له بالدعاء، ثم خلع السلطان على الخليفة والأمير خشقدم، وكان السلطان له من العمر آنذاك نحو ثمانية وثلاثين سنة. ثم أخذ السلطان في تدبير ملكه؛ فخلع على عدد من الأمراء وأحدث بعض الترقيات بين صفوف الأمراء، ووزع نفقة البيعة على الأمراء والجند.

وفي أوائل جمادى الآخرة سنة ٨٦٥هـ/ مارس سنة ١٤٦٠م كان قراءة تقليد السلطان بالقصر الكبير بقاعة الدهيشة، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة وأرباب الدولة، وجلس كاتب السر القاضي محب الدين بن الشحنة[١١] على كرسي وقرأ التقليد على العادة المعهودة، ثم أخلع السلطان على الخليفة والقضاة وكاتب السر ونزلوا من القلعة في موكب حافل، وأدار السلطان دفة السلطنة من تولية وعزل ورعاية وزيارة وتنزه ...الخ.

فلما كان السبت ١٧ رمضان سنة ٨٦٥هـ/٢٧ يونيو ١٤٦٠م وثب جماعة من المماليك الأشرفية والظاهرية ومعهم بعض الإينالية فلبثوا لأمة الحرب، وتحركوا نحو ميدان الرُّميْلة. فلما عظم الأمر نزل السلطان إلى باب السلسلة، وجلس في المقعد المطل على الرميلة، ودارت الحرب واشتد رحاها حتى حال بينهم الليل، ولم يصعد إلى السلطان أحد من الأمراء، وانقلب عليه غالب مماليك أبيه.

فلما كان يوم الأحد نزل السلطان إلى المقعد

المطل على ميدان الرُّمَيْلة؛ وثبت للقتال، فلما رأى مماليك أبيه قد وثبوا عليه تحقق أنه مكسور لا محالة، فلما كانت الكسرة على الملك المؤيد طلع من باب السلسلة، وتوجه إلى قاعة البحرة، وأخذ معه أخاه محمد، وأمرهم أن يغلقوا عليهما الباب.

ولما بلغ العسكر بأن المؤيد اختفى توجهوا إلى بيت الأتابك خشقدم فأركبوه غصبًا، وهو يتمنع غاية الامتناع حتى طلع باب السلسلة، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة، فخلع الملك المؤيد من السلطنة وبويع الأتابك خشقدم بالسلطنة، فكانت مدة ملك المؤيد في السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام، وكان الملك المؤيد كفؤًا للسلطنة، ذا عقل وحزم ورأي، وساس الناس في أيام سلطنته أحسن سياسة فقمع مماليك أبيه عما كانوا يفعلونه من أفعال شنيعة في حق العامة، وكان ناظرًا لمصالح الرعية، ولو أقام في السلطنة لحصل للناس به غاية النفع والخير ولكن خانه الزمان، وأخذ من حيث كان يرجو الأمان.

وما أن تولى خشقدم السلطنة حتى أرسل المؤيد أحمد وأخوه الناصري محمد إلى ثغر الإسكندرية فسجن هناك إلى عهد السلطان الظاهر تمربغا سنة٨٧٢هـ/١٤٦٧م الذي أخرجه من السجن وسمح له بالسكنى في أي بيت يشاء بالإسكندرية، وظل على حاله حتى تولى السلطان الأشرف قايتباي فزاد في إكرامه وسمح له بالقدوم إلى القاهرة لزيارتها ثم عاد إلى ثغر الإسكندرية وظل بها حتى مات سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م[١٢].

نشرات الوثيقة:

نشر الدكتور نبيل محمد عبد العزيز هذه الوثيقة من قبل[١٣] **على نسخة واحدة هي مصورة دار الكتب المصرية، وهي سيئة بعض الشيء ففيها سواد على بعض الكلمات وبعض الكلمات باهتة غير واضحة تقرأ بأكثر من صيغة، ولهذا وقع المحقق في تصحيف تحريف عدد من الكلمات وإليك بعضها: "وأشهد به ملائكته، قدَّسه" والصواب "وأشهد به ملائكة قدسه"، "نحمده على أن ملك منا أحمد المسالك" والصواب "نحمده على أن سلك بنا أحمد المسالك"، "وكم شهد الأعداء أبوار غدرهم .. إن الفتح المبين مؤيد" والصواب "وإن شيد الأعداء أبواب غدرهم .. فأنت أبو الفتح المبين المؤيد"، و"أملي له في ذلك محررا" والصواب "وأبلى له في ذلك عذرًا".**

النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت هذه النشرة على نسختين: الأولى بدار الكتب المصرية تحت ٥٩مجاميع، وعدد أوراقها خمس ورقات(٢٣٤-٢٣٨)، ومسطرتها ١٧ سطر، والنص كتب بخط نسخ حسن وبه تعقيبة، ولا يُعلم تاريخ النسخ المخطوط بالتحديد، والتاريخ المذكور بالعهد هو اليوم الذي أُختِيرَ فيه المؤيد سلطانًا للبلاد، وهو يوم الأربعاء ١٤ جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/ ٢٦ فبراير سنة١٤٦٠م، ولا نعلم اسم ناسخ المخطوط وقد رمزنا لها بـ"ك".

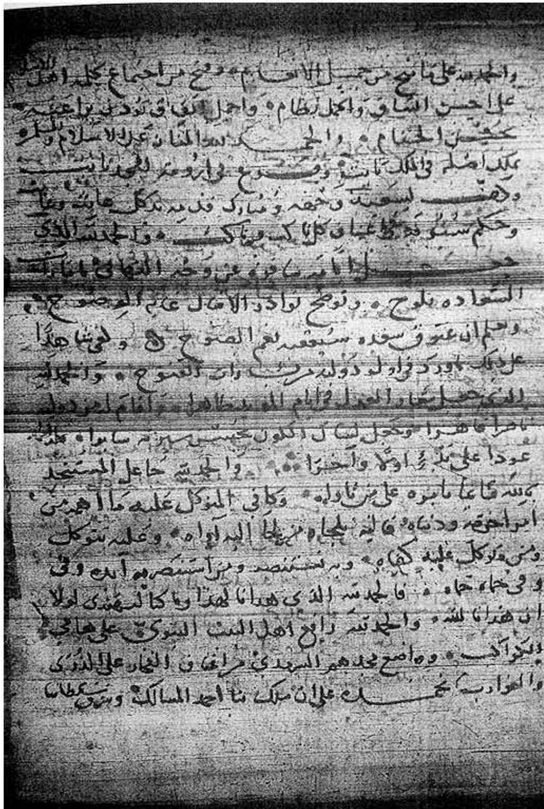
وقد جاء في فهرس دار الكتب المصرية[١٤] ما يأتي: "عهد للسلطان المؤيد أبي الفتح أحمد ابن الملك الأشرف إينال" تأليف: العلامة أبي الوليد قاضي القضاة محب الدين محمد بن محمد ابن محمد بن محمود بن غازي ابن أيوب الشهير

بابن الشحنة التركي الحلبي الحنفي المولود سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، والمتوفى بحلب يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م"، وهذا خطأ بين، والصواب أن المنشئ للعهد ابنه محب الدين أبو الفضل بن المحب أبي الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود(ت:٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، ولد بمدينة حلب سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، وسافر مع والده وهو صغير إلى مصر، ثم قدم إليها مرة ثانية فتلقى العلم بها وبالشام، وأخذ عن كثيرين من أجلاء عصره بالقطرين.

تولى القاضي محب الدين عدد من الوظائف الجليلة مثل قضاء الحنفية بمدينة حلب سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م فاشتهر وشكرت ولايته، وظل في مدة السلطان الظاهر جقمق(٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) بين رفعة وخفض وولاية وعزل حتى ولي كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، ولم يلبث أن صرف عنها، وبقي بالقاهرة حينًا من الدهر، ثم رحل إلى بيت المقدس، وأقام بها إلى سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م، ثم عاد إلى وطنه حلب، ثم ولي كتابة السر بالقاهرة مرة ثانية سنة ٨٦٣هـ/١٤٥٩م، فسار فيها سيرة طيبة، وقربه السلطان الأشرف إينال (٨٥٧ - ٨٦٥هـ / ١٤٥٣-١٤٦١م)، وكان هو المنشئ لبيعة ولده المؤيد أحمد، وبقي بعد ذلك في القاهرة يتقلد وظائف القضاء والتدريس حتى توفى في أوائل سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م[١٥]. خلاصة القول أن الذي كتب العهد هو أبو الفضل المحب الأصغر لا أبوه أبو الوليد المحب الأكبر.

والنسخة الثانية بمكتبة جامعة لايبزيج بألمانيا ضمن مجموع بمكتبة الرفاعية رقم٦٦٣، والوثيقة متفرقة في أكثر من مكان في المجموع لاضطراب ترتيب الأوراق داخل المجلد، وعددها ست ورقات، وسطورها مختلفة، والنص كتب بخط نسخ حسن، ولا نعلم تاريخ النسخ، ولا اسم الناسخ، وقد رمزنا لها بـ"ج".

وقد وقفت مؤخرًا على نص الوثيقة منشور بصورة غير كاملة في كتاب "الذيل على رفع الإصر" لشمس الدين السخاوي(ت:٩٠٢هـ/١٤٩٦م)[١٦] فاستعنت به رامزًا إليه بـ"ذ"، وقد اتخذت نسخة (ج) أصلاً لجودتها ودقتها، وقابلت عليها نسختي ك، ذ.



مخط دار الكتب رقم ٥٩ مجاميع



مخط مكتبة لايبزيج بألمانيا رقم ٦٦٣

النص المحقق

نسخة عهد مولانا السلطان الملك المؤيد أبي الفتح أحمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك الأشرف أبي النصر إينال إنشاء مولانا المقر الأشرفي المحبي ابن الشحنة الحنفي صاحب ديوان الإنشاء الشريف- عظم الله تعالى شأنه- عن مولانا الإمـام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف أمير المؤمنين[١٧].

الطرة

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه مولانا الإمام الأعظم المستنجد بالله أبي المظفر يوسف أمير المؤمنين وسليل الخلفاء الراشدين- أمتع الله بوجوده الوجود- لمولانا السلطان الملك المؤيد أبي الفتح أحمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك الأشرف إينال- خلد الله ملكه- بالسلطنة الشريفة المعظمة في جميع الممالك الشريفة الإسلامية وكل ما هو داخل في إمامته ومنسوب إلى خلافته، وجميع مصالح المسلمين وأمور الخلق قاطبة على الدوام؛ ليبسط فيهم العدل، فمن بسطه بسط الله له النعم وزاده تكريمًا، ويوفي بما عُوهِّدَ عليه، فمن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيما؛ عهدًا تامًا عامًا جامعًا شاملاً كاملاً على ما ذكر فيه[١٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا عهد شريف تبسم ثغر ربيعه لما تنسم في جمادى وروده[١٩]، وعقد منيف لا يحل لأحد أن يُحِل عقوده، ومحضر كريم أكرم الله حكامه وشهوده، ومجمع عظيم ألزم الله الأمة[٢٠] أحكامه وعهوده. من عبد الله ووليه وابن عم المصطفى وصفيه مولانا الإمام[٢١] المستنجد بالله أمير المؤمنين- أعز الله ببقائه الدين- إلى مولانا السلطان[٢٢] الملك المؤيد أبي الفتح أحمد بن مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف[٢٣] إينال- فتح الله له شرق الممالك وغربها، وألان لطاعته شديدها، وأذل[٢٤] لدولته صعبها- صدر عن اتفاق أهل الحَل والعقد واختيار أرباب السير والتقسيم والنقد، وتلا لسان الحال في موكبه المشهود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٢٥].

أما بعد، فالحمد لله الذي أيد الملة المحمدية والدين الحنيف بأحمد، ونصر العصابة الأحمدية والشرع الشريف بالملك المؤيد، وأنـال أحمد عباده أقصى مُـراده، فيا فوز من كان أحمد، وأظهر في سماء المجد[٢٦] شهابًا لا يزال سعده يتجدد، وثبَّت أساس أركان الدولة الشريفة بملك أحكم بنيانها وشيد بسيفه المرهف، وسنانه[٢٧] المثقف، وسهمه الذي كرأيه[٢٨] مسدد، والحمد

لله على ما منح من جميل[29] الإنعام، وفتح من اجتماع كلمة أهل الإسلام على أحسن اتساق، وأكمل نظام، وأجمل اتفاق تؤذن براعته بحسن الختام.

والحمد لله المآن[30] على الإسلام والمسلمين بملك أصله في الملك ثابت، وفرع في أرومة المجد نابت، وكف بسعيد وجهه ومبارك قدمه يد كل عايثٍ وعابث، وحكّم سيوفه من[31] أعناق كل ناكب وناكث، والحمد لله الذي جعل أيامه سافرة عن وجه التهاني بأمارات السعادة تلوح، وتوضح بوادر الإقبال غاية الوضوح[32]، وتُعلم[33] أن عبوق سعده سيعقبه بِئَم الصبوح، وكفى شاهدًا على ذلك ما ورد في أول دولته من بشارات الفتوح[34]، والحمد لله الذي جعل شعار العدل في أيام المؤيد ظاهرًا، وأقام له في[35] دولته الشريفة[36] ناصرًا قاهرًا، وجعل لسان الكون بحسن سيرته سائرًا، فله الحمد عودًا على بدء، وأولاً وآخرًا.

والحمد لله جاعل المستجد بالله[37] قائمًا بأمره على من ناوأه، وكافي المتوكل عليه ما أهمه من أمر آخرته ودنياه، فإليه نلجأ ومن لجأ إليه آواه، وعليه نتوكل ومن توكل عليه كفاه، وبه نستنصر ومن استنصر به أيده وفي حِماه حماه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رافع أهل البيت النبوي على هام الكواكب، وواضع مجدهم السرمدي من أعناق الفخار على الذُرى والغوارب، ومحلهم في أعلى الأنساب وأشرف الذوايب من أفخر فخذ كعب بن لؤي بن غالب[38].

نحمده أن سلك بنا أحمد المسالك، وشرّف سلطاننا على سلاطين الأرض، ومملكتنا على سائر الممالك، ونشكره على النجاة بأحمد من مهاوي المهالك، وعلى أن جعل[39] من أمته طائفةً قائمةً بأمر الله[40] ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله حكم فعدل، ورب جعل ما ظهر من الكواكب عوضًا عما أفل، ونقل إلى الأسِرّة خير خلف عمن إلى رحمته انتقل، ومنَّ على عباده عمن سلف بأحسن بدل.

ونشهد أن سيدنا[41] محمد عبده ورسوله الذي بعثه للعالمين رحمه، وجعل سيوفه[42] على الظالمين نقمه، وبلغ ملك أمته ما زوي[43] له من المشارق والمغارب، وأظهر على يديه من المعجزات وخوارق العجائب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه النجباء والنجائب ما طلع صبح ودجى جنح، وأعقب الأضواء بالغياهب، وسلم تسليمًا كثيرًا.

ولما كان أجر[44] القيام بالإمامة العظمى أعظم الأجور، وبتدبير المملكة[45] الإسلامية صلاح الأمور وجب أن يُختار للسلطنة المُعظَّمةُ من الملوك أعظمهم، ومن السلاطين أعرفهم بالمهمات وأعلمهم، وللآراء المسددة من هو أبو عذرتها[46] وابن نجدتها، وللحروب من نشأ في حجرها هو أخو نجدتها[47]، ومن إذا التفت مضايق الخصوم بشجاعته فرقها، وإذا اجتمعت كتائب الهموم ببسالته مزقها، وخضعت لبأسه وحكمه الأكاسرة من الملوك، وسلك في عنفوان شبابه ما يُعجز المشايخ من حسن السلوك أيده الله عز وجل[48] بنصره، ورد كيد عدوه في نحره، وأرغم بما ظهر[49] من عدله أنف من يناوئه،

فيحق لمحبه الداعي لدولته[50] أن يقول [فيه][51]:

[الطويل]

أيا ملكًا بالعدل أصبح ظاهرا
وخادمه النصر العزيز المُجدَّدُ

وأمسى بأفق الملك بدرًا مكملا
وأضحى شهابًا بالثنا يتوقدُ

ليهنئك إقبال وملك مخلد
وسعدٌ وإسعادٌ وعزٌ مؤيدُ[52]

وإنك منصور لك الله ناصرٌ
عدوُّك مقهور وضدك مكمدُ

وإن شيد الأعداء أبواب غدرهم
فأنت أبو الفتح المبين المؤيدُ

فلذلك روى أمير المؤمنين فكره الصائب، ولم يزل يعمل رأيه الثاقب، ويراجع علماء الأمصار[53] وقضاته ملوك الإسلام وحماته فيمن[54] يصلح لهذا النبأ العظيم، ومن يقوم بأعباء هذا الخطب الجسيم؛ وذلك حين ثقل بالملك الشهيد الأشرف المرض، وما يحصل به في هذا العَرَضِ الغرض حتى اجتمعت الآراء السديدة من أهل الحل والعقد والإشارة بعد التدبر والتفكير[55] والاستخارة أنه لا يقوم بهذا المنصب ولا يصلح[56] لهذا المقام الشريف[57] إلا الشجاع الباسل والأسد الضرغام، نجل السلاطين من الطرفين[58]، الجامع من الشجاعة والعلم بين الشرفين، أسد الله في أرضه في هذا العصر السلطان الملك[59] المؤيد أبو الفتح ابن الأشرف أبي النصر أيده الله بملائكة سمواته، وأنزل عليه النصر المبين[60] من سائر جهاته.

فاستخار الله سبحانه وتعالى[61] مولانا المستنجد بالله أمير المؤمنين[62] أبو المظفر يوسف ابن عم سيد المرسلين بعد أن انعقد الإجماع على[63] ذلك من غير خلاف، وأُكِّدت الأيمان والمواثيق على الوفاء[64] وعدم الإخلاف، وعُهِدَ إليه بعهد الله وميثاقه وما أشهد به ملائكةَ قُدسِه؛ حيث قال الله تعالى[65]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[66]، وعُقِدَ له البيعة على جميع ما اقتضته خلافته وانتظمت إمامته، وفوض إليه أمر السلطنة المعظمة، وجعل إليه الإشارة وله الكلمة بجميع الممالك الإسلامية على العصائب المحمدية بمشارق الأرض ومغاربها، وحيث انتهت كلمة الإسلام بكاهلها[67] وغاربها، والنظر في أمر كُفَّالِها وقُضاتها[68] وأُمرَائِها ووُلاَتِها في جميع البلاد والأقطار، وسائر المدن والأمصار، والقلاع والثغور، والسهول والوعور، وحكّمه في العساكر والأجناد، وصّرفه في الأرواح والأجساد، والرقاب والنواصي، والمعاقل والصياصي.

وجعل له النظر في جميع أمور الإمامة[69] طرًا، قربًا وبعدًا[70]، شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، وهندًا وسندًا، وحجازًا ويمنًا، وشامًا ومصرًا، وأبلى له في كل ذلك عذرًا، وركن إليه في باطن الملك وظاهره، وعامر البقاع وغامره، وولاه ما له عليه الولاية[71] من ذلك، وبسط يده الشريفة، وأمره العالي في سائر الأقطار والممالك من العرب والعجم، وجميع الملوك وسائر الأمم، وينظر في التولية والعزل لسائر ملوكها وعساكرها، وجيوشها من أحمرها وأسودها، وعربها وعجمها[72]، وزنجها[73] وحبوشها،

وجميع أصنافها على اختلاف أجناسها، وتباين أنواعها، وتفرق أناسها، وتجهيز الجيوش وإقامة العهود[٧٤]، وتقاليد الكفّال والقضاة والوزراء والأمراء وكتابة العهود.

فوض إليه ذلك تفويضًا كاملاً تامًا عامًا شاملاً سعيدًا مباركًا، ولم يجعل له في ذلك ظهيرًا ولا شريكًا[٧٥]، يُقِرّ من يشاء[٧٦] منهم ويعزل، ويصل أرزاقهم- بإذن الله- ويفصل، ويقلّد الوظائف، ويخرج الإقطاعات، ويجند الجنود، ويقرر الهبات[٧٧]، ويجاهد في الله حق جهاده، ويجالد من يرى مصلحة للمسلمين في جلاده، ويهادن ويفادي، ويصالح ويعادي، ويَمُّن ويصفح، ويعمل في ذلك برأيه الشريف الأرجح.

وولاه ذلك ولاية صحيحة محكمة صريحة يتصرف في ذلك بما أراه الله وبصّره، ويعمل بما يرجو ثوابه- أيده الله ونصره، وعوّل في أمور الإسلام والمسلمين على سديد آرائه، واعتمد على سعيد إبرامه وإمضائه- عاملاً في ذلك بتقوى الله فيما فُوِّض إليه، معتمدًا في تنفيذ أحكام الله عليه من إقامة شعائر الشرع ورفع مناره، وإماتة الباطل ومحو آثاره، وإنصاف المظلوم من ظالمه، ورد العدل إلى أعلى معالمه، والأخذ على يد الظالم، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم.

قبل ذلك مولانا السلطان الملك المؤيد أبي الفتح أحمد- المشرف بذكره[٧٨]- من أمير المؤمنين المستنجد بالله[٧٩]- أعلى الله معالم قدره[٨٠]- قبولاً أقبلت التهاني بقبوله[٨١]، ووصلت المسرات إلى القلوب[٨٢] بوصوله، وتم هذا العقد، وشهد به مشايخ الإسلام وأئمة المسلمين، وانتظم هذا الأمر بحضرة الخاص والعام من وجوه الأمراء وسراة الموحدين، وأشرق من[٨٣] نور السعادة أفق بدره في رابعه للعشر الثاني من شهره، واعتاضت الأمة عن ضياء تلك الشمس بنور هذا القمر، وكان لهم في هذه المدة[٨٤] بمن بقى تسلية عمن غبر، فورث السلطنة[٨٥] عن كلالة، وأخذها بأصالة[٨٦] من الطرفين أي أصالة، فوالده الأشرف وجده الظاهر، وسلفه في العلم والملك نعم السلف الطاهر، ورفعت الأيدي بالدعاء له بالعمر الطويل مع بقائه[٨٧] في الملك، وهذا المنصب الجليل.

وقال خادم بابه العالي، وباب أبيه فيما أنشده بحضرته الشريفة يهنيه:

أنت المؤيد صدقًا ... ووارث الملك حقًا

وعمر الأشرف طبقا ... في الملك تبقى وترقا

وهو سلطان- بحمد الله- قُلِدها مسئولاً لا سائلاً، ومالت السلطنة إليه وما كان مائلاً، وكان مخطوبًا لها لا خاطبًا، ومرغوبًا إليه في تقليدها لا راغبًا، فمنذ عطف برأفته إليها ورق قلبه إلى الدخول عليها[٨٨] ظفرت منه بأي كفؤٍ كريم، وأنشد لسان الحال متمثلاً بالقول القديم:

فلم تكن تصلح إلا له ... ولم يكن يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

والوصايا كثيرة، وهو- بحمد الله - يَعلَمُها ويُعلِمُها، وتقوى الله ملاك الأمور ولم يزل

بتوفيق الله يلزمها ويُلزِمها، والله تعالى يزين باسمه الشريف أعواد المنابر، ويشرف بقلمه السعيد أفواه المحابر، ويجعل العدل شعاره، والجود دثاره، ويُجّمِل ببقائه الملك[٨٩] وأمصاره، ويرفع به الدين ويعز أنصاره، ويمنع به الجور ويضع آصاره، ويبلغه من خيري[٩٠] الدنيا والآخرة أوطاره، ويجعل بعد العمر الطويل في الفردوس[٩١] داره[٩٢]، والخط الشريف الإمامي المستنجدي أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى[٩٣].

وكان السعد المبارك يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة خمسة وستين وثمانمائة بقبة الدهيشة الشريفة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلواته على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا أبدًا[٩٤].

نسخة عهد السلطان المملوكي الظاهر يلباي

(١٠ ربيع الأول ٨٧٢هـ/١٠ أكتوبر ١٤٦٧م)

ترجمة السلطان:

هو السلطان التاسع والثلاثون من ملوك الترك، والثالث عشر من ملوك الجراكسة ممن تولوا حكم مصر، وهو جركسي الجنس اشتراه السلطان المؤيد شيخ في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، فأقام في الطباق القلعة مدة حتى أعتقه السلطان وصار من جملة الجمدارية، ثم ترقى إلى الخاصكية ثم أصبح ساقي في عهد السلطان جقمق، ثم أنعم عليه بأمرة عشرة ثم طبلخانة[٩٥] ثم أمرة مائة وتقدمة ألف[٩٦] في عهد الأشرف إينال، ثم ترقى إلى حاجب الحجاب ثم أمير آخور ثم أتابك[٩٧] العسكر في دولة خشقدم، فلما مات تسلطن بعده.

وملخص أخبار سلطنة الأتابك يلباي أنه لما توفى السلطان خشقدم في نهار السبت ١٠ ربيع الأول ٨٧٢هـ/١٠ أكتوبر ١٤٦٧م اجتمع الأمراء بباب السلسلة بالقلعة عند شهاب الدين أحمد بن العيني أمير آخور كبير، فتكلم الأمراء فيمن يلي السلطنة بعد خشقدم، فوقع الاختيار من الأمراء على الأتابك يلباي فرشح للسلطنة وكان القائم على ذلك الأمير تمربغا- أمير مجلس- ولعله كان يمهد بذلك لنفسه.

وكانت المماليك الخشقدمية فئتين: فئة مع الأمير خاير بك الدوادار وفئة مع ابن العيني، فلما تعصب الأمراء للأتابك يلباي لم يجد خاير بك سوى الطاعة ومبايعة يلباي بالسلطنة، ولكن عبد الباسط الحنفي ذكر أن خاير بك رأس الخشقدمية هو الذي ذهب إلى يلباي وطالبه بتولي السلطنة، وأنه هو الذي أرسل إلى الأمراء للحضور، المهم أنهم أحضروا الخليفة والقضاة الأربعة، وأحضروا إليه شعار السلطنة فبايعه الخليفة، وتلقب بأبي سعيد الظاهر، وكان هذا من اختيار الظاهرية الجقمقية والخشقدمية.

فلما تمت مبايعته أفيض عليه شعار السلطنة، وكانت مبايعته بالقصر الكبير بالقلعة، فما ركب فرس النوبة، ولا حمل القبة والطير على رأسه، ولا مشت أمامه الأمراء، فجلس على سرير الملك قرب الغروب، فلما جلس باس له الأمراء الأرض، وضربت له البشائر بالقلعة، ونودي بسلطنته في القاهرة، وكانت أول أعمال السلطان تعيين الأمير تمربغا أتابكًا للعسكر عوضًا عن نفسه. ثم خلع على الخليفة ونزل إلى داره.

وفي هذا اليوم سقط باب القصر الكبير فلم

يتمكن من دخول القصر إلا عن طريق الإيوان فتفائل الناس بسرعة زوال ملكه فكان كذلك فقد عزل في جمادى الأول من السنة نفسها بعد قتال وفتن بين المماليك المؤيدية، والأشرفية، والإينالية، وبين المماليك الظاهرية الجقمقية، والخشقدمية، وكانت مدة سلطنة يلباي شهرين إلا أربعة أيام كان فيها السلطان مسلوب الإرادة مع خاير بك الذي كانت بيده أمور السلطنة الفعلية يحركها كيفما شاء، وبعد خلعه من السلطنة ومبايعة الأتابك تمربغا بالسلطنة نقل الأمير يلباي إلى سجن الإسكندرية، وظل به حتى مات بعد أن ذاق الشدائد والمحن رحمه الله.

وقد اتخذ ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة منه موقفًا سيئًا فوصفه بصفات السيئة؛ وذلك لأنه قطع نفقة أولاد الناس، ومجد الظاهر تمربغا؛ لأنه أعادها بالرغم من أن أمر السلطنة لم يكن بيدهما بل بيد خاير بك، وقد كان عبد الباسط الحنفي في كتابه "الروض الباسم" أكثر موضوعية في معالجة فترة سلطنة كل من يلباي وتمربغا، ونقد موقف ابن تغري بردي المعادي ليلباي والمُمَجِّدَ لتمربغا[٩٨].

كما اتخذ ابن إياس الحنفي منه نفس الموقف في كتابه بدائع الزهور، وهذا العهد من إنشاء القاضي برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عثمان ابن علي الرقي نسبة للرقة من أعمال حلب، ولد بالقاهرة سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م ونشأ بها وأخذ عن علمائها في علوم اللغة والدين، اشتهر بجودة الخط ونسخ الكتب، ثم ترقى لتوقيع الدست في أيام كمال الدين بن مزهر، وتوفي في مكة سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م[٩٩].

النسخ الخطية:

عُرف لهذا العهد نسختان: الأولى بمكتبة رضا رامبور بالهند ضمن مجموع تحت رقم ١١٠٢(٥)، وقد قام معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بتصوير هذا العهد في٢٦ يناير ١٩٥٢م ضمن ما صور من مخطوطات هذه المكتبة، وقد وقفت على مصورة المعهد؛ والمحفوظة تحت رقم ١٢٨٦ تاريخ، وعدد أوراقها ٤ق، ومسطرتها ١٦س، والنص كتب بخط النسخ، وبه تعقيبة، ولا نعلم تاريخ النسخ ولا الناسخ، وفي آخر ورقة بالوثيقة نسب الشيخ الصوفي سراج الدين عمر الواعظ بغيط العدة إلى الحسين ﷺ في ١٣س، وقد رمزنا لها بـ"ر". والنسخة الثانية بمكتبة جامعة لايبزيج بألمانيا ضمن مجموع بمكتبة الرفاعية رقم٦٦٣، رسالة رقم ١٩، ٣ق، ١٣س، والنص كتب بخط النسخ، وبه تعقيبة، ولا نعلم تاريخ النسخ ولا الناسخ، وقد رمزنا لها بـ"ج"، وقد اتخذت هذه النسخة أُمًّا، وقابلت عليها الأخرى.



مخط مكتبة رضا رامبور بالهند

ثلاثة نصوص وثائقية جديدة لعهود تولي السلطنة من عصر المماليك الجراكسة (٨٦٥ - ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ - ١٤٦٧م)



مخط مكتبة جامعة لايبزيج بألمانيا

النص المحقق

نسخة عهد مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد يلباي إنشاء أستاذنا القاضي برهان الدين الرقي عين أعيان كتاب الدست الشريف بالأبواب الشريفة- أيده الله تعالى وحفظ عليه ولده- عن مولانا الإمام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف أمير المؤمنين أمتع الله ببقائه المسلمين.

الطرة

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه مولانا الإمام الأعظم المستنجد بالله أبي المظفر يوسف أمير المؤمنين- أيد الله به الدين- إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد يلباي- خَلَّدَ الله ملكه- بالسلطنة المعظمة، وجميع ما هو داخل في إمامته من ملك وممالك وغير ذلك من مصالح الإسلام، وأمور الخلق قاطبة من جميع الأنام عهداً تامًا، وتفويضًا شاملاً جامعًا كاملاً على ما شرح فيه[١٠٠].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا عهد شريف تتجدد به المسرات، وتنمو به البركات. ظهر نوره الساطع في أسعد الطوالع[١٠١]، وأيمن الأوقات. من عبد الله ووليه مولانا الإمام الأعظم المستنجد بالله أبي المظفر يوسف أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين، وسليل الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين- أعز الله تعالى به الدين، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين- إلى مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبي سعيد يلباي خَلَّدَ الله تعالى ملكه وسلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه[١٠٢].

أما بعد، فالحمد لله الذي أظهر للإسلام سلطانًا اشتدَّت به للأمة الظهور، وشفيت به الصدور، وحمدت عاقبة أمره، ولله عاقبة الأمور. ثم الحمد لله مُؤتِي الملك من يشاء من عباده، الظاهر على من جاهر بعناده، القادر على تقريب ما قضت العقول باستبعاده، المليك الذي جمع كلمة الإيمان بمن اجتباه لإقامة دينه وارتضاه لرفع عماده. ثم الحمد لله الذي هو بعباده لطيف خبير، وسبحان من له الخلق والأمر والتدبير، وتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ثم الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين في كل الأمور بمولاه مستنجدًا قائمًا بأمره مستعينًا معتضدًا، ووثق به عهد النجاح فمن تمسك بعهده الشريف قوى على من بغى واعتدا. ثم الحمد لله الذي جعل مفرض الطاعة على كل مكلَّف، وصَيَّرَ ولاءهُ غاية لا يُقصِّر عنها إلا من تأخر في مضمار النجاة وتخلف. نحمده على لطفه الذي ظهر فبهر وانتشر فعم البشر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه الأبدي، ولا ضد له في سلطانه الدائم السرمدي، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أول من للخلق ساد وللحق شاد، صاحب المقام المحمود المعدود نعمه على أهل الوجود، الذي حرض أمته على التمسك بالعهود. صل الله عليه، وعلى عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعلى بقية آله أجمعين، ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين، وجميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا.

فإن أمير المؤمنين لما فوض الله إليه رعاية الخليقة، ومنحه من كرم التحية وشرف الخليقة، وأورثه من المقام الذي لا ينبغي إلا له في عصره، واستخدم له للصروف والسيوف في تأدية فرائض نصره لم يزل يرغب إلى الله تعالى، ويستخيره في إقامة من ينهض بأعباء ملك الإسلام حق النهوض، ويفوض أمر الأمة إلى من يرى أداء الأمانة فهي من أكبر الفروض، ومن يقوم عنه بأمور الخلق، وفرض الجهاد، والعمل بالحق، فكان المقام الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري السيفي يلباي- أجله الله ونصره وأيده وأبده وأظفره- هو الذي وقع إحسان مولانا أمير المؤمنين عليه، وانعقد الاتفاق بين حماة الدين على إلقاء مقاليد السلطنة الشريفة إليه[103]؛ لأنه الملك الذي تُقْسَمُ البركات بيمينه، وتُقْسَمُ السعادة بيمن وقته وحينه[104]، وتقهر الأعداء بنكايته، وتُمهر عقائل المعاقل بأصفر راياته. ذو السعد الذي ما زال نوره يشِفُّ حتى ظهر، وملكه يَرِفُّ إلى أن اشتهر فبهر.

واختاره الله على علم واصطفاه من بين عباده[105] بما جبله عليه من شهامة وشجاعة حلم، وأتى الله به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج غوثًا، وفي إبان الاستمطار غيثًا، وعلى أشبال الزمان ليثًا، فوجب على من هو خليفة الزمان والعصر، ومن بدعواته تتنزل عليكم معاشر كماة الإسلام ملائكة النصر، ومن نسبه بنسب نبيه منتسج، وحسبه بحسب الشريف ممتزج، أن يوليه شرعية تصح بها الأحكام وتنتصب بها أمور الإسلام.

فخرج أمره الشريف بذلك- شرفه الله تعالى وعظمه وأيده بالملائك- وفوض إلى مولانا السلطان الملك الظاهر المنوه باسمه الشريف أعلاه- شرفه الله تعالى وأعلاه- ما فوضه الله تعالى له من حُكمٍ في الوجود، وفي التهائم والنجود، وفي الجيوش والجنود، وفي المدائن والخزائن، وفي كل جود ومنّ وهبةٍ وتمليك، وفي كل تفرد بالنظر في أمور المسلمين من غير شريك، وفي كل تعاهد ونَبْذ، وفي كل عطاء وأخْذ، وفي عزل وتوليه، وفي كل تسليم وتخليه، وفي كل إرفاق وانفاق، وفي كل إنعام وإطلاق، وفي كل استرقاق وإعتاق، وفي كل تقليل وتكثير، وكل تجنيد وتأمير، وفي كل تقليد وتفويض، وفي كل تجديدٍ وتعويض، وفي كل ما هو من لوازم خلافته، وفي جميع ما هو منوط بإمامته، وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه على يديه.

وألقى مقاليد ذلك كله[106] إليه شرقًا وغربًا، بعدًا وقربًا، برًا وبحرًا، سهلاً ووعرًا، غورًا ونجدًا، حلاً وعقدًا، تفويضًا شاملاً، وتقليدًا كاملاً، وعهدًا تامًا، وإسنادًا عامًا يدخل فيه الناس قاطبة، ويعاقب على ترك طاعته فإنها واجبة، لم يجعل أمير المؤمنين عليه يدًا في ذلك بل بسط حكمه في شرق الأرض وغربها وما بين ذلك،

ثلاثة نصوص وثائقية جديدة لعهود تولي السلطنة من عصر المماليك الجراكسة (٨٦٥ - ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ - ١٤٦٧م)

فأجاب مولانا السلطان- نصره الله- دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم بقبول ذلك مخطوبًا مسئولاً، وتل لسان الحال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾(١٠٧)، فكن نصرك الله بعروة هذا العهد الشريف مستمسكًا، وبطيب بركته متمسكًا، والعدل هو الغرس المثمر والسحاب الممطر، فمن زرع العدل اجتنى الخير، ومن أحسن كُفِيَ الضرر والضير.

والشرع الشريف الذي أقامه للهدى علمًا، وجعله لاحتياز الثواب سُلّمًا، فالواجب أن يعمل بجزيئات أمره وكلياته، وأن لا يخرج أحد عن مقدماته، وأن ترعى أحكامه وحكامه، وتُمضي قضاياه، ويقوي أيدي قضاته، والرعية فهم الوديعة عند أولي الأمر فلا يخصص بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو، والأموال فهي ذخائر العاقبة والمآل؛ فالواجب أن تؤخذ بحقها وتنفق في مستحقها وربحها برًا وبحرًا، فمن كنانة الله تفوق سهامه، وينتضي حسامه، وتُجرى منشآته في البحر كالأعلام وتنشر أعلامه؛ فليلزم منه ديدنا، ويستصحب منه قولاً حسنًا، وجيوش الإسلام وكماته وأمرائه وحُماته، فهم من قد علمت أقدم هجرة وشدة بأس وأعظم نصرة، فأوسعهم برًا، وكن بهم بَرًّا، وهم بما يجب من خدمتك أعلم، وأنت بما يجب من حرمتهم أدرى.

والحصون فهي ذخائر الشدة، وخزائن العدد والعدة، فأحسن لها التحصين وفوض أمرها لكل قوي أمين، ونواب الممالك والأمصار فأحسن فيهم الاختبار، وأجمل لهم الاختيار. أما ما سوى ذلك فهو داخل هذه الوصايا النافعة، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير لكانت سجاياك مُكْفِية بهمتك التي هي إن شاء الله للخير جامعة، وملاك كل أمرٍ يشغل به المرء جميع أوقاته التقوى.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾(١٠٨)، فخذ أعز الله دولتك(١٠٩) كتاب أمير المؤمنين بقوة، وأبشر إذ صرت معززًا لبيت النبوة، والله تعالى يديم لسلطانك تأييدًا على أعدائه، ويحقق له من الظفر والمظافرة كل ما يحفظه من بين يديه ومن ورائه، ويُخلد ملْكَكَ خلودًا يسر قلوب حماته وأوليائه، والخط الشريف الإمامي المستنجدي- أعلاه الله تعالى- أعلاه حجة فيه إن شاء الله تعالى.

كُتِبَ في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين وثمانمائة من المرسوم الشريف الإمامي أعلاه الله تعالي وشرفه، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١١٠).

عهد سلطنة الأشرف قايتباي المحمودي

(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م)

ترجمة السلطان:

هو السلطان الحادي والأربعون من ملوك الترك، والخامس عشر من ملوك الجراكسة ممن تولوا حكم مصر، جلبه الخواجا محمود من بلاد الجركس سنة٨٣٩هـ/١٤٣٦م فاشتراه السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) وأنزله بالطباق السلطانية واستمر من المماليك الكتابية حتى تولى الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) فأعتقه، وعينه جمداريًا ثم خاصكيًا ثم دوادار سكين، فلما توفي جقمق، وتسلطن السلطان الأشرف إينال(٨٥٧-

٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) أنعم عليه بإمرة عشرة سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م فأقام على ذلك حتى تسلطن الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م) فجعله أمير طبلخانة ثم شاد الشرابخانة ثم أمير مائة ومقدم ألف في أواخر عهده.

فلما مات السلطان خشقدم تسلطن الظاهر يلباي (١٠ ربيع الأول ٨٧٢هـ/١٠ أكتوبر ١٤٦٧م) فجعله رأس نوبة النوب[١١١] ثم ترقى إلى منصب الأتابكية في عهد السلطان الظاهر تمربغا(٨٧٢هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م) الذي خلف السلطان الظاهر يلباي بعد بضعة أشهر. فلما وثب خاير بك على الظاهر تمربغا وقع الاتفاق بين العسكر على سلطنة الأتابك قايتباي، وعزل تمربغا، فأرسلوا إلى الخليفة المستنجد بالله يوسف، والقضاة الأربعة للحضور فحضروا.

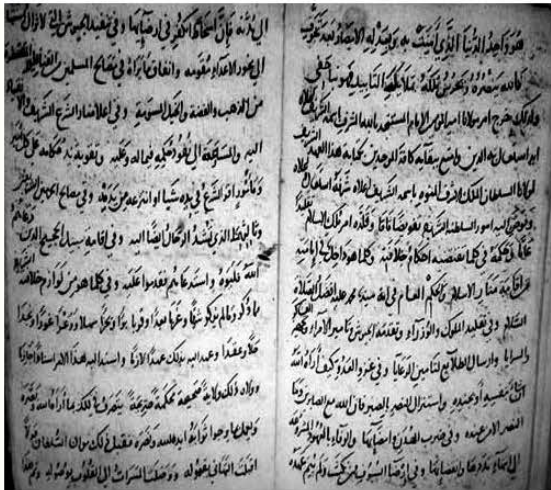
فلما تكامل المجلس بالأمراء ورجال الدولة في مبيت الحراقة بالإسطبل السلطاني في القلعة كُتِبَ محضر بخلع الظاهر تمربغا من السلطنة فخلعه الخليفة في الحال، وبايع الأتابك قايتباي بالسلطنة، وتلقب بالملك الأشرف. ثم أحضروا شعار الملك؛ وهي العمامة، والجبة السوداء المطرزة بالطرز الذهب، والسيف البداوي. فلما أرادوا أن يلبسوه ذلك تمنع من ذلك وبكى فألبسوه غصبًا.

وبعد أن لبس شعار السلطنة ركب فرس النوبة توجه إلى القصر الكبير، وجلس على سرير الملك، وقَبَّلَ له الأمراء الأرض، وذلك في يوم الاثنين ٦ رجب سنة٨٧٢هـ/٢ فبراير ١٤٦٨م، بعد أن تمت البيعة خلع السلطان على الخليفة والقضاة والأمـراء، وضربت البشائر بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وارتفعت الأصوات له بالدعاء، ولم ينفق على العسكر نفقة البيعة، وكان قد اشترط ذلك لتوليه السلطنة فوافق الجميع.

بعد ذلك أمر بأن ينزل الظاهر تمربغا مكرمًا من القلعة، ويُتَوجَه به إلى ثغر دمياط فيسكن بها في أحسن دورها ولا يغادرها. ثم بدأ السلطان في إجراء حركة ترقيات في المناصب المملوكية، والتجهيز لحملاته على شاه سوار أمير إمارة دلغادر، وقد أفرد له ابن إياس معظم المجلد الثالث من كتابه، واستمر قايتبَاي في السلطنة حتى مات ودفن بتربته بالصحراء في ١٨ ذي القعدة سنة١٩٠١هـ/٩ أغسطس ١٤٩٦م[١١٢].

النسخ الخطية:

وقد اعتمدت في نشر هذه الوثيقة على نسخة مكتبة جامعة لايبزيج بألمانيا ضمن مجموع بمكتبة الرفاعية تحت رقم٦٦٣، ٣ق، ١٣س، والنص كتب بخط نسخ حسن، ولا نعلم تاريخ النسخ ولا الناسخ.



مخط مكتبة لابيزيك بألمانيا

(النص المحقق)

...(١١٣) بالتقوى من عُرَاه، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أشرف المرسلين الذي أيده بجنوده، وأيده بنصره وبالمؤمنين، واستخرج مولانا الإمام المستنجد بالله من عنصره ودويه، وشرف قدر جده بقوله فيه: "إن عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيه"، وبما أسره إليه من أنَّ هذا الأمر فُتِحَ به، وَيُختَم بنبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بعهده، وأخلصوا في طاعته ووده، وكانوا من أنصاره وجنده صلاةً باقية على الدوام ما توالت الشهور والدهور والليالي والأيام، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذي جعل للإسلام سلطانًا عظيما، وأقام للأنام ملكًا استوجب في الملك حكمًا وتحكيما، واختاره لمصالح الأمة لما علم من أولويته واستحقاقه، وكفى به علمًا وقُدم من توفرت الدواعي على استحقاقه للسلطنة الشريفة، وجمعت الأمة على انحصار ذلك في أوصافه المنيفة، ومن دلت أمارات السعود على محله الجليل وملكه المقصود، ومن أُوتِّـي من الشجاعة ما شاهدها وشهد بها أبطال الإسلام، ومن الهيبة ما تخشاها الأسود في الآجام، ومن أذعنت الجيوش لطاعته فأضحت على الأعداء بيمنه يدًا واحدة، وأقام بأمور الملة فأمست عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه في مهاد الأمن راقدة.

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بمولانا المقام الشريف العالي المولوي لسلطاني الملكي الأشرفي السيفي سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، سيد الملوك والسلاطين أبي النصر قايتباي- خلد الله سلطانه، وجعل العز خديمه وجنود النصر أعوانه- وجبت على من له في أعناق الأمة المحمدية مبايعة الرضوان، وعند أيمانهم مصافحة إيمان، ومن وجبت له البيعة باستحقاقه لميراث منصب النبوة، ومن تصح به كل ولاية شرعية يوجد كِتابُها منه بِفُوه أن يفوض إليه ما ولاه الله به من أمور الخلق ليقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق؛ لأنه السلطان الذي جعل صلاح الأمة على يديه، واختاره لإقامة دينه فساق مُلكَ الإسلام بالاستحقاق إليه، واجتباه لنصره ورفع لوائه، وأقام عمود الدين الذي قام بالسيف وإنه من بعض أسمائه، وطارت مخلفات البشائر بملكه إلى الآفاق، وخضعت لبسالته من ذوي الشجاعة الأعناق، وأهم الأغيار سلطانه فما هموا بالاختلاف حتى تحققوا- بحمد الله ويمن أيامه- الوفاق، ولقد حسن الخادم ببابه الشريف أن يقول:

الأشرف السلطان أشرف مالكٍ
وعلى سرير الملك أنصفَ مُنصِفِ

ملك مضارب سيفه للمعتدي
لكن مواهب سيبه للمُعتفِي

هو واحد الدنيا الذي أمنت به
وبعدله الأمصار بعد تخوف

فالله يَنْصُرهُ ويَحرُسُ مُلكَهُ
بملائكة التأبيد فهو نبأ خفي

ولذلك خرج أمر مولانا أمير المؤمنين المستنجد بالله المشرف باسمه الشريف أعلاه- أيد الله تعالى به الدين، وأمتع ببقائه كافة الموحدين-

بكتابة هذا العهد الشريف لمولانا السلطان الملك الأشرف المنوه باسمه الشريف أعلاه شرفه لله تعالى وأعلاه، وفوض إليه أمور السلطنة الشريفة تفويضًا تامًا، وقلده أمر ملك الإسلام تقليدًا عامًا، وحكَّمهُ في كل ما تقتضيه أحكام خلافته، وكل ما هو داخل في إمامته من إقامة منار الإسلام والحكم العام في أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي تقليد الملوك والوزراء، وتقدمة الجيوش وتأمير الأمراء، وتجهيز العساكر والسرايا، وإرسال الطلائع لتأمين الرعايا، وفي غزو العدو كيف أراه الله إن شاء بنفسه أو بجنده، واستنزال النصر بالصبر فإن الله مع الصابرين، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وفي ضرب الهدن وإمضائها، والوفاء بالعهود المشروعة إلى انتهاء مددها وانقضائها، وفي إرضاء السيوف فمن نكث ولم يتم عهده إلى مدته فإن إسخاط الكفر في إمضائها.

وفي تقليد الجيوش التي لا تزال أسنتها إلى نحور الأعداء مُقَوّمه، وإنفاق ما يراه في مصالح المسلمين من الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ، وفي إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد إليه، والمساعدة في نفوذ حكمه فيما له وعليه، وتقوية يد حكامه على كل أمير ومأمور أقر الشرع في يده شيئًا أو انتزعه من يديه، وفي مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي تشد الرحال أيضًا إليه، وفي إقامة سبيل الحجيج الذين دعاهم الله فلبوه، واستدعاهم فقدموا عليه، وفي كل ما هو من لوازم خلافته الشريفة مما ذكر وما لم يذكر.

شرقًا وغربًا، بعدًا وقربًا، برًا وبحرًا، سهلاً ووعرًا، غورًا ونجدًا، حلاً وعقدًا، وعهد إليه بذلك عهدًا لازمًا، وأسند إليه هذا الأمر إسنادًا جازمًا، وولاه ذلك ولاية صحيحة محكمةً صريحةً يتصرف في ذلك بما أراه الله وبَصَّره، ويعمل بما يرجو ثوابه أيده الله ونصره.

فقبل ذلك مولانا السلطان قبولاً أقبلت التهاني بقبوله، ووصلت المسرات إلى القلوب بوصوله، وتم هذا العقد، وشهد به قضاة القضاة مشايخ الإسلام، وانتظم هذا الأمر، وانبرم حضور الخاص والعام من أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد اكتفى مولانا أمير المؤمنين عن الوصايا بما ركبه الله في ذاتك الشريفة أيها السلطان الملك الأشرف من التقوى والتمسك بسببها الأقوى، وحب العدل والإحسان، وقمع أهل الجور والعدوان، وبما أنت منطوٍ عليه من الدين المتين والصفات التي تنال بها إن شاء الله النصر القريب والفتح المبين، وتستوجب بها حسن العاقبة والعاقبة للمتقين.

والله يجعل شمل الدين بك مجموعًا، وعلم الإسلام بك مرفوعًا، وقلب أهل الشرك والنفاق بك مروعًا، ويخلد ملكك خلودًا يسر قلوب الأولياء على الدوام، ويؤيدك بنصره وملائكته الكرام بمنه ويمنه، والخط الشريفي الإمامي أعلاه حجة بموجبه ومقتضاه إن شاء الله تعالى.

رسم بكتابته في اليوم السادس من شهر رجب الفرد سنة اثنين وسبعين وثمانمائة[١١٤] حسب المرسوم الشريف بالإذن الشريف الإمامي المستنجدي العباسي النبوي زاده الله شرفًا، والحمد لله وحده وصلواته على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وحسبي الله ونعم الوكيل.

الحواشي

(١) للمزيد عن هذا الديوان وتطوره انظر: عفاف سيد محمد صبره: ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٦٩-١٥١٧م)، مع تحقيق كتاب "البرد الموشى في صناعة الإنشاء" للموصلي الكاتب، ماجستير ١٩٧١م، ص٣١٤.

(٢) يقصد بهم خلفاء بني العباس بمصر، حيث أعاد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م) في سنة٦٥٩هـ/١٢٦١م الخلافة العباسية بعد سقوط بغداد على يد المغول. للمزيد انظر: عبد المنعم ماجد: دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١ "دراسة شاملة للنظم السياسية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٣٢-٤١.

(٣) القلقشندي (أحمد بن علي ت:٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى، ج٩، تقديم: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٠٧؛ السخاوي (شمس الدين محمد ت:٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ج٢، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٥٨٨-٥٨٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص١٥٣-١٥٤؛ السخاوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٦٠٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص١٤٥-١٤٨؛ السخاوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٥٩١-٥٩٤.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص١٥٤-١٥٥.

(٧) هو يوسف بن المتوكل على الله، ولي الخلافة بعد خلع أخيه حمزة في سنة٨٥٩هـ/١٤٥٤م واستمر بها إلى أن مات في سنة٨٨٤هـ/١٤٧٩م. السيوطي(جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت:٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، خرج أحاديثه: أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٦٥.

(٨) هو السلطان خشقدم فيما بعد(٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م).

(٩) يقصد به الأمير الذي يتولى حمل السلاح في الحفلات والاجتماعات، وهو مقدم على السلاحدرية من المماليك السلطانية وله الإشراف على السلاح خانه السلطانية. انظر: محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٥.

(١٠) هي المسماه بالجتر، وهي قبة أو مظلة من حرير أصفر مزخرف بالذهب، وعلى أعلاها طائر يشبه الحمامة من فضة مذهب، وتكون على رأس السلطان في الموكب، يحملها أمير كبير أو الأتابك الذي يركب بجوار السلطان. انظر: عبد المنعم ماجد: دولة سلاطين المماليك ورسومهم، ج٢، ص٩٢.

(١١) ستأتي ترجمته قريباً في المتن.

(١٢) للمزيد عن ترجمته وسلطنته انظر: ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢١٩-٢٥٢؛ عبد الباسط الحنفي(عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ت:٩٢٠هـ/١٥١٤م): الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج٢، تحقيق: فرج محمد فرج سلام، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٥م، ص١٣-٥٥؛ ابن إياس(محمد بن أحمد الحنفي ت:٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الزهور، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٦٩-٣٨٠؛ ج٣، ص٢٤٧.

(١٣) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣٠.

(١٤) ج٥، ص٢٧٣.

(١٥) السخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٩، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٩٥-٣٠٥.

(١٦) السخاوي: الذيل على رفع الإصر، تحقيق: جودة هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٧٠-٣٧٥.

(١٧) ك: "صورة عهد السلطان الملك المؤيد أبي الفتح أحمد بن الملك الأشرف أبي النصر إينال، إنشاء سيدنا ومولانا محب الدين بن الشحنة الحنفي ناظر

ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية".

(١٨) الطرة كلها ساقطة من ك.

(١٩) ذ: "ورثه".

(٢٠) ذ: "الكافة".

(٢١) "مولانا الإمام" ساقطة من ذ.

(٢٢) ذ: "السلطان الأعظم".

(٢٣) ذ: "الملك الأشرف أبي النصر".

(٢٤) ك: "أزال".

(٢٥) سورة المائدة، الآية١.

(٢٦) ذ: "الحل".

(٢٧) ك: "رمحه".

(٢٨) ك: كربه أو كرته، وقد كتبها المحقق كربه، وفي ج: "كرابه"، والضبط من ذ.

(٢٩) ذ: "جزيل".

(٣٠) ك: "المنان".

(٣١) ذ: "في".

(٣٢) أضافت ك: "وتوضح نودر الآمال عام الوضوح".

(٣٣) ك، ج: "يطم"، وما ورد في المتن من ذ.

(٣٤) يقصد كتاب جانبك الأبلق الذي وصل إلى القاهرة من قبرص بخبر بالنصرة على أهل شرينة، وعلى كل من حاول نجدتهم من الفرنجة. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٢٤.

(٣٥) ذ: "من".

(٣٦) "الشريفة" ساقطة من ذ.

(٣٧) "بالله" ساقطة من ذ.

(٣٨) عن عمود النسب النبوي. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٣٠٦.

(٣٩) ذ: "كما جل".

(٤٠) ذ: "بأمره".

(٤١) ك: "ونشهد أن سيد المرسلين البشير محمد"، وفي ذ: "ونشهد أن سيد البشر".

(٤٢) أضافت ذ: "المرهفة".

(٤٣) ك: "أوري"، وفي ج: "روي"، وما ورد في المتن من ذ.

(٤٤) ك، ج: "أمر"، وما ورد في المتن من ذ.

(٤٥) ذ: "وتدبير الممالك".

(٤٦) الحدرة: "الجرأة والإقدام".

(٤٧) "وللحروب من نشأ في حجرها هو أخو نجدتها" ساقط من ذ.

(٤٨) ذ: "الله تعالى".

(٤٩) ذ: "أظهر".

(٥٠) ذ: "ببقاء دولته".

(٥١) الإضافة من ذ.

(٥٢) ذ: "مؤيد".

(٥٣) ذ: "الدين".

(٥٤) ك، ج: "ومن"، وما ورد في المتن من ذ.

(٥٥) ذ: "التفكر".

(٥٦) ذ: "يصح".

(٥٧) "الشريف" ساقط من ذ.

(٥٨) فأمه ابنة خاص بك من ذرية السلطان الظاهر بيبرس. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٦.

(٥٩) "المؤيد" ساقطة من ذ.

(٦٠) ك، ذ: "العزيز".

(٦١) "سبحانه" ساقطة من ج.

(٦٢) ك: "مولانا أمير المؤمنين المستنجد بالله"، و"أمير المؤمنين" ساقطة من ذ.

(٦٣) ك: "في".

(٦٤) ج: "الوفاق".

(٦٥) ذ: "قال جل وعلا".

(٦٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٦٧) ذ: "كاملها".

(٦٨) ذ: "قضائها".

(٦٩) ذ: "في جميع الأمة".

(٧٠) ذ: "بعدًا وقربا".

(٧١) ذ: "الولاية عليه".

(٧٢) ذ: "من عربها وعجمها".

(٧٣) ذ: "وتركها وزنجها".

(٧٤) ذ: "الحدود".

(٧٥) ذ: "مشاركا".

(٧٦) ذ: "من شاء".

(٧٧) ذ: "المرتبات".

(٧٨) ك، ذ: "أعز الله به الإسلام ونصره".

(٧٩) ذ: "المستنجد بالله أبو المظفر".

(٨٠) هذا الدعاء ساقط من ك، ذ.

(٨١) ذ: "بوصوله".

(٨٢) ذ: "القلب".

(٨٣) ذ: "في".

(٨٤) ذ: "وكان لهم في المسرة".

(٨٥) أضافت ك، ذ: "الشريفة".

(٨٦) ذ: "وأخذها عن أصالة".

(٨٧) ذ: "مع البقاء في الملك".

(٨٨) ذ: "وما كان إليها مائلا، ورق قلبه إلى الدخول عليها".

(٨٩) ذ: "أقاليم الملك".

(٩٠) ذ: "خير".

(٩١) ذ: "الفردوس الأعلى".

(٩٢) أضافت ك بعدها: "آمين آمين آمين".

(٩٣) هذه الفقرة ساقطة من ك.

(٩٤) ج: "رابع عشر جمادى الأولى سنة خمسة وستين وثمانمائة حسب المرسوم الشريف الإمامي"، وقد أثبتُّ نص ك لأنه أكثر دقة ولا يختلف مع ما ورد في ج، وقد أسقطت ذ من أول "والخط الشريف الإمامي" إلى نهاية النص.

(٩٥) يقصد به الأمير الذي يتولى إمرة أربعين مملوك. انظر: محمد قنديل: مصطلحات صبح الأعشى، ص٤٩.

(٩٦) هي رتبة عسكرية يقترن بها إمرة مائة مملوك، وهو مقدم في الحروب على ألف جندي من أجناد الحلقة، وقد كانوا أعلى مراتب الأمراء. انظر: محمد قنديل: مصطلحات صبح الأعشى، ص٤٩.

(٩٧) معناه الوالد أو المربي بالتركية، وفي الاصطلاح هو أمير أمراء الجيش. انظر: محمد أحمد دهمان: معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م، ص١١.

(٩٨) للمزيد عن ترجمته وسلطنته انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٠٥-٣٦٩، عبد الباسط الحنفي: الروض الباسم، ج٤، ص١٧٥-١٩٤، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٥٨-٤٦٧.

(٩٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٦-١٧.

(١٠٠) هذا النص السابق ذكره ساقط من ر.

(١٠١) ر: "المطالع".

(١٠٢) أضافت ر: "وأفاض على كافة البلاد والعباد جوده والسخاء. ثم بعد البسملة الشريفة".

(١٠٣) من كلمة "المليك الذي جمع كلمة الإيمان" حتى هذا الموضع فقد من نسخة ج.

(١٠٤) ر: "بنور جبينه".

(١٠٥) ر: "عساكره".

(١٠٦) ر: "كل ذلك إليه".

(١٠٧) سورة النحل، الآية ٩١.

(١٠٨) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(١٠٩) ر: "فخذ أيدك الله".

(١١٠) ر: "نهار السبت عاشر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين وثمانمائة".

(١١١) هو أعلى رؤوس النواب ولمكانته في البلاط سمي بالجناب الكبير، وهو السفير بين المماليك والسلطان. انظر: محمد قنديل: مصطلحات صبح الأعشى، ج١٥، ص١٥٥.

(١١٢) للمزيد عن ترجمته وسلطنته انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٩٤-٣٩٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣-٣٣٢.

(١١٣) الورقة الأولى من العهد مفقودة.

(١١٤) كان وقت بيعته بالسلطنة قبل أذان الظهر يوم الاثنين سادس رجب من هذه السنة بثماني عشرة درجة، والطالع الثور والزهرة، وهو أيضاً السادس من أمشير من الشهور القبطية. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٩٥.

المصـــادر والمراجع

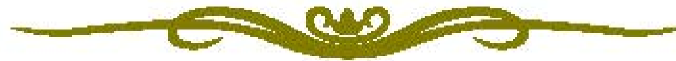
المصادر:

- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الزهور، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

- ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت:٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- السخاوي (شمس الدين محمد ت:٨٦٨هـ/١٤٦٤م): التبر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، ج٢، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٩، منشورات دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- الذيل على رفع الإصر، تحقيق: جودة هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- السيوطي (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت:٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، خرج أحاديثه: أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- عبد الباسط الحنفي (عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ت:٩٢٠هـ/١٥١٤م): الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج٢، تحقيق: فرج محمد فرج سلام، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠١٥م.
- القلقشندي (أحمد بن علي ت:٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى، ج٩، تقديم: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

المراجع:

- عبد المنعم ماجد: دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١ "دراسة شاملة للنظم السياسية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- عفاف سيد محمد صبره: ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك(٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٦٩-١٥١٧م)، مع تحقيق كتاب "البرد الموشى في صناعة الإنشاء" للموصلي الكاتب، ماجستير١٩٧١م.
- محمد أحمد دهمان: معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م.
- محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.



تاريخ مقابر الأشراف السعديين بمدينة مراكش

من العهد الموحدي إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م

د. سمير أيت أومغار
مراكش - المغرب

تشكل مقابر الأشراف السعديين بمراكش، واحدة من أهم المباني التاريخية المتبقية من العهد السعدي بالمغرب، فقد حافظت على كافة عناصر زُخرُفِها من القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، كما أنها احتفظت بِجُلِّ شواهد قبورها دون أن تتعرض للتخريب والإتلاف؛ لتظل بذلك بمنأى عن الحروب والكوارث الطبيعية والتوترات السياسية. لهذه الأسباب مجتمعة، اهتم باحثون كُثُر بدراستها كبناء، إلى جانب دراسة الكتابات العربية المنقوشة على شواهد القبور بها، وكانت أول مبادرة في هذا الصدد سنة ١٩١٧م، على يد المهندس بمصلحة الفنون الجميلة بمراكش السيد M.Ferlet، وعضو الجمعية الآسيوية السيد Huguet، ومراقب الأحباس بجهة مراكش السيد بومدين ابن زيان، والرسّام G.Rousseau، والمصور الفوتوغرافي Ch.Fournier، وذلك تحت إشراف كل من الجنرال De Lamothe حاكم جهة مراكش، والسيد أحمد الجاي وزير الأحباس، والسيد Tranchant de Lunel من مصلحة الفنون الجميلة[1]. وقد أسفرت هذه التحريات في النهاية عن صدور كتاب ضريح الأمراء السعديين بمراكش سنة ١٩٢٥م، كتب نصه غابرييل روسو G.Rousseau، ونشر نصوص كتاباته المنقوشة بالعربية والفرنسية فليكس أران F.Arin،[2] وقد نشرت قبله بسنتين دراسة مقتضبة حول بعض من هذه الكتابات بإحدى المجلات الفرنسية، اعتمادًا على ما جاء في نزهة الحادي لمحمد الصغير الإفراني[3]. بعد ذلك قام المؤرخ الفرنسي غاستون دوفردان G.Deverdun سنة ١٩٥٦م، بإعادة دراسة هذه الكتابات وتصحيح المنشور منها، وترجمتها من جديد للغة الفرنسية مع إرفاقها بتعاليق تاريخية مفيدة[4].

انطلاقًا من المادة التاريخية والأثرية المتوفرة، نقترح تقديم دراسة تاريخية لهذه المقابر من العهد الموحدي، إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م، تاريخ دفن أول سلطان سعدي بها، وهو محمد الشيخ.

حول الأصل الموحدي لمقبرة الأشراف السعديين

أثار أصل مقبرة الأشراف السعديين اهتمام بعض الباحثين منذ عهد الحماية الفرنسية، فقد

حاولوا البحث في أصولها والتأريخ لأولى عمليات الدفن بها، فتجاوزوا العهد السعدي إلى ما سبقه، آملين العثور على إشارة تفيد بوجود المقبرة خلال العصر الوسيط مُستبعدين تمام الاستبعاد نشأتها مع بدايات الدولة السعدية التي اختارت هذا الفضاء كمقبرة رسمية خاصة بأعيان الدولة من السلاطين والأمراء والأميرات وقادة الجيش...

وممن أثار النقاش حول الأصل الوسيطي للمقبرة، الباحث الفرنسي بيير دوسينيفال Pierre de Cenival (١٩٣٧-١٨٨٨م)، خلف الباحث هنري دوكاستري Henry de Castries في إدارة القسم التاريخي للمغرب بباريس منذ سنة ١٩٢٧م، والساهر على إكمال نشر سلسلة الوثائق الدفينة لتاريخ المغرب S.I.H.M.. أشار هذا الباحث ضمن المادة الخاصة بمراكش في النسخة الفرنسية من الموسوعة الإسلامية، إلى الاحتمال الكبير لوجود المقبرة كفضاء للدفن في نفس الموضع منذ العصر الموحدي[٥]، لكنه قدم هذا الخبر في صيغة تأكيد عار من أية حجة تاريخية أو أثرية تؤكده، ولعله انطلق في ذلك من حدسه لا أكثر، وهو ما يجعلنا نتحفظ من هذا التأريخ المقدم للمقبرة في غياب المستند المصدري لهذا الحكم الجزافي والجريء.

من جهة أخرى، حاول الباحث الفرنسي جورج مارسي Georges Marçais (١٨٧٦-١٩٦٢م)، أستاذ الاركيولوجيا الإسلامية بكلية الآداب في الجزائر العاصمة ودير معهد الدراسات الشرقية بالجزائر، وأحد الباحثين المتميزين في مجال العمارة الإسلامية بشمال إفريقيا، الخوض في موضوع أصل مقبرة الأشراف السعديين في إطار وصفه لهذه المعلمة التاريخية، فافترض إمكانية استخدام الموحدين لها في الدفن، مستندًا في ذلك على جوار المقبرة للمسجد الموحدي بالقصبة[٦]، وهو ما يدفعنا مرة ثانية للتحفظ حول مسألة الأصل الموحدي للمقبرة مادام الباحثان معًا لم يقدما دليلاً ملموسًا على صحة ادعائهما.

لاشك أن الحسم في هذه القضية، يستدعي منا العودة للنصوص التاريخية المُحررة في العصر الوسيط بحثًا عن أية إشارة يمكن أن تخدمنا في حل إشكالية الأصل الموحدي لمقبرة الأشراف السعديين.

تشير المصادر إلى الشروع في بناء حومة القصبة المسماة أيضًا بتامراكشت والصالحة منذ سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٥م، فقد أمر المنصور "باختطاط الصالحة وحشد لها العرفاء والصناع وكل من شهر بالإتقان والاطباع وحدقت مساكنها بالتكسير وأرضى بالتعويض من كان له بها شيء صغير أو كبير، وقسمت مساكنها، وعينت لما تحتاج إليه من المنافع أوضاعها وأماكنها، وجمعت لها الآلات وخوطب بإمدادها الجهات، ورتب لأشغالها من حفاها وحفاظها وعرفائها ونظارها، وأوعز إليهم، وأكد عليهم ألا ينشئوا شيئًا من البنيان إلا فوق الغاية من الوثاقة والإتقان فأقبلوا على العمل من غير ملل ولا كلل مواصلين مساءهم بصباحهم وموالين غدوهم برواحهم حتى كملت على أحسن الهيئات وفوق ما أمل فيها من الإرادات فصارت بها حضرة مراكش مصر الأمصار وغاية في الفخامة وارتفاع المقدار"[٧]. وقد تكونت الصالحة أو القصبة حسب الإشارات المصدرية من عدة قصور ورياضات ودور سكنية خاصة بأعيان الدولة إضافة إلى منشآت

خدماتية متنوعة ومؤسسات مخزنية ومقبرتين هما مقبرة تامراكشت وجبانة الشيوخ[٨]. فهل وُجدت المقبرتان معًا داخل القصبة؟ وهل تتطابق إحداهما مع مقبرة الأشراف السعديين؟ للإجابة على هذا السؤال نحتاج لتتبع الإشارات التاريخية لهاتين المقبرتين للوصول إلى تحديد موقعهما بدقة.

وردت الإشارة إلى جبانة الشيوخ لدى أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، في السفر الخامس من كتابه المسمى "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة"، ففي نهاية ترجمته لعلي ابن محمد بن علي ابن محمد بن عبد الرحمن بن هيثم الرعيني، ذكر أنه "توفي بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من شهر رمضان ست وستين وستمئة، ودفن عقب ظهره بجبانة الشيوخ مقاربًا باب السادة أحد أبواب قصر مراكش"[٩]. كما وردت إشارة أخرى لنفس المقبرة لكن دون الإشارة لاسمها الذي نصّ عليه ابن عبد الملك، هذه المرة لدى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي القرشي العمري، في الجزء الثالث عشر من موسوعته الكبرى في الجغرافية المسماة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ففي سياق وصفه لتامراكشت أي القصبة، ذكر أبوابها فقال عن باب السادة منها: "وهو يفضي إلى خارج مراكش، وعليه سلسلة [أما]مها ينزلون، وهنالك مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان: في غاية حسن المباني والغراس"[١٠].

نستنتج من خلال الإشارتين قرب المقبرة من أحد الأبواب الخارجية للقصبة، وهو باب السادة الذي يفضي إليها، وكما هو معلوم، فقد عفا الدهر على هذا الاسم واستبدل باسم آخر هو باب القصيبة[١١]، الذي تجاوره حاليًا المقبرة التي تضم ضريح عبد الرحمن السُّهيلي المتوفى "بحضرة مراكش يوم الخميس، وهو السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمس مئة"[١٢]؛ أي بعد سنة واحدة من الشروع في أشغال بناء القصبة، ومن ثم فجبانة الشيوخ هي نفسها المقبرة الحالية؛ حيث يوجد ضريح السهيلي حسب المؤرخ محمد رابطة الدين، والذي ربط نشأتها بالنصف الثاني من القرن السادس الهجري[١٣].

أما مقبرة تامراكشت، فوردت الإشارة إليها في موضعين من الذيل والتكملة لابن عبد الملك، جاءت الأولى في سياق الترجمة لعمر بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن جميل بن نصر ابن صمع القرشي التونسي نزيل مراكش، فقد توفي هذا الرجل بعد الزوال يوم الجمعة لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وخمسمئة، ودفن إثر عصر يوم السبت تالي يوم وفاته بمقبرة تامراكشت داخل مراكش إزاء شيخه أبي عبد الله ابن الفخار[١٤]. أما الإشارة الثانية فجاءت ضمن ترجمة أبو عبد الله ابن الفخار، الذي توفي بمراكش عقب صلاة العصر من يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة تسعين وخمسمائة، ودفن بجبانة تامراكشت داخل سور مراكش[١٥].

يبدو من خلال الإشارتين اقتران المقبرة بحومة تامراكشت الواقع بناؤها في العهد الموحدي، ووجودها داخل سور مراكش لا خارجه[١٦] كما هو حال جبانة الشيوخ سالفة الذكر، واستخدامها على الأقل حسب الإشارات

المتوفرة منذ سنة ٥٩٠ هجرية، دون استبعاد إمكانية وجودها قبل هذا التاريخ بمدة يصعب تحديدها، لهذا السبب ربط المؤرخ محمد رابطة الدين نشأتها بالنصف الثاني من القرن السادس الهجري، لغياب إشارات تدل على الدفن بها في النصف الأول من نفس القرن.

إذا علمنا أن جبانة الشيوخ كانت خاصة برجالات المخزن الموحدي دون الخلفاء الذين تم دفنهم بتينمل، فما الحاجة داخل حومة تامراكشت المخزنية إلى مقبرة أخرى؟

يُستبعد وجود هذه المقبرة داخل أسوار تامراكشت، لغياب الحاجة إليها في العهد الموحدي على الأقل، أما اسم تامراكشت الذي ارتبط باسم المقبرة فربما نشأ عن علاقة الجوار بينهما دون أن تكون المقبرة بالضرورة داخل أسوار الحومة المذكورة. لهذه الأسباب وطّن محمد رابطة الدين المقبرة خارج أسوار تامراكشت وداخل أسوار مدينة مراكش، واقترح توطينها شمال شرق هذه الحومة(١٧)؛ أي في الموضع الذي كانت تحتله سابقًا المقبرة المعروفة بمقبرة سيدي أحمد الكامل(١٨)؛ لأنه الموضع الوحيد الذي ثبت استغلاله كمقبرة على الأقل خلال الحقبة المعاصرة، ولوجوده داخل أسوار المدينة وخارج السور الشمالي لتامراكشت. ومع ذلك لا نجزم بصحة هذا التوطين مادامت التحريات والاستبارات الأثرية لم تنجز بهذا الموضع لتؤكد أو تنفي هذه الفرضية.

المقبرة في العهد المريني

إذا كانت النصوص التاريخية السابقة قد نفت بطريقة غير مباشرة؛ أي استخدام جنائزي موحدي للموضع الذي سيتحول في العهد السعدي إلى مقبرة ملكية، فإن الأمر يختلف بالنسبة للعهد المريني. فقد ترددت الإشارة في بعض المصادر إلى قضية دفن السلطان أبي الحسن المريني في مراكش قبل نقل جثمانه إلى شالة، ثم جاءت بعض المصادر المتأخرة بتدقيقات في هذا المجال، مُحددة مكان الدفن الأول في الموضع الذي سَيُمسِي مقبرة للسعديين. فهل وقع الدفن الأول والمؤقت للسلطان المريني بالموضع المشار إليه؟

نقل عبد الرحمن بن خلدون خبر الأزمات السياسية والطبيعية التي انتهت باستيلاء الابن أبو عنان على مملكة أبيه أبي الحسن، فالتجأ "السلطان [أبو الحسن] إلى جبل هنتاتة(١٩)، ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي، فنزل عليه، وأجاره، واجتمع إليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف إليهم من المصامدة، وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت. وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش، وأنزل عساكره على جبل هنتاتة، ورتب المسالح لحصاره وحربه، وطال عليه ثواؤه وطلب السلطان من ابنه الإبقاء وبعث في حاجبه محمد ابن أبي عمر فحضر عنده، وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان، والتمس له الرضا منه فرضي عنه، وكتب له بولاية عهده، وأوعز إليه بأن يبعث له مالاً، فسرّح الحاجب بن أبي عمر بإخراجها من المودع بدار ملكهم، واعتل السلطان خلال ذلك، فمرّضه أولياؤه وخاصته، وافتصد لإخراج الدم، ثم باشر الماء للطهارة، فورم وهلك لليل قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين

تاريخ مقابر الأشراف السعديين بمدينة مراكش من العهد الموحدي إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م

وخمسين [وسبعمائة]. وبعث أولياؤه الخبر إلى ابنه بمعسكره من ساحة مراكش، ورفعوه على أعواده إليه فتلقاه حافيًا حاسرًا، وقبل أعواده وبكى واسترجع، ورضي عن أوليائه وخاصته، وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته، ووارى أباه بمراكش إلى أن نقله إلى مقبرة سلفهم بشالة في طريقه إلى فاس"(٢١).

يكشف النص عن حدث الدفن المؤقت للسلطان المريني أبي الحسن بمدينة مراكش وحيثياته، لكنه لا يقدم للأسف أية إشارة حول موضع الدفن في المدينة، ولا يحدد المدة التي قضاها جثمان السلطان في هذا القبر الأولي. أما ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب الذي كان من بين الحضور أثناء دفن أبي الحسن بالقبر المُعد له في شالة، فلم ينقل خبر نقل جثمان السلطان من هنتاتة إلى شالة بالتفصيل الذي جاء به ابن خلدون، فبعد حديثه هو الآخر عن الحيثيات السياسية التي دفعت بالسلطان للتحصن في جبل هنتاتة، قال: "واستأثر الله به وتوفاه شهيدًا سعيدًا مظلومًا صابرًا محتسبًا في الثالث والعشرين لربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وأهبطت جنازته المقدسة من الجبل وبين يديه مجيره عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاتي ومن خلص إليه على التمحيص فوصل بها ابنه إلى سلا فدفنت بها في اللحد الكريم الذي أعده لذلك تغمده الله برضوانه ورحمته"(٢١).

وعلى غرار ابن الخطيب، غابت مرحلة الدفن بمدينة مراكش لدى ابن سمّاك العاملي وإسماعيل بن الأحمر، فقد اقتصر الأول على ذكر تاريخ الوفاة (آخر شهر ربيع الأول من عام اثنين وخمسين وسبعمائة) ومحله بجبل هنتاتة(٢٢)، أما الثاني فأضاف لذلك حدث الدفن بشالة(٢٣)، متجاوزين لأسباب نجهلها المرحلة المشار إليها أعلاه.

من جهة أخرى، نجد الحسن بن محمد الوزان ينقل خبر دفن السلطان أبي الحسن في مراكش ثم شالة، فهو يقول أن السلطان المذكور "أعاد بناء أسوار شالة، وشيد فيها زاوية فاخرة، وقصرًا لسكنى جنوده، وجامعًا في منتهى الجمال مع قاعة بديعة الزخرف بالرخام المنحوت والفسيفساء والنوافذ ذات الزجاج الملون، ولما دنا أجل المنصور(٢٤) عبّر في وصيته عن رغبته في أن يقبر بتلك القاعة، وبعد وفاته نقل جثمانه من مراكش ودفن فيها، ووضع على قبره رخامتان، واحدة عند رأسه وأخرى عند رجليه، نقشت عليهما أبيات رائقة لمختلف الشعراء تعبر عما خلفه موت هذا الملك من لواعج الأسى"(٢٥).

أما الناصري الذي اعتمد على ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما في نقل خبر استيلاء السلطان أبي الحسن المريني على مراكش ثم انهزامه والتجائه إلى جبل هنتاتة قبل أن يوافيه الأجل هناك، فقد أضاف بعض العناصر المهمة إلى قضية دفن أبي الحسن:

- تأكيد الناصري على دفن أبي الحسن المريني بمراكش قبلي جامع المنصور من القصبة بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الأشراف السعديين.
- تأكيد الناصري على مشاهدته للكتابة المنقوشة على رخامة قبر السلطان بشالة، واشتمالها حسب معاينته على تاريخ وفاته، وهو ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من

سنة ٧٥٢ هجرية (١٣٥١)م[٢٦].

نلاحظ أن الناصري تميّز عن سابقيه من المؤرخين بضبط تاريخ وفاة وموضع دفن السلطان أبي الحسن في مراكش، مع أنه مؤرخ متأخر، تفصله حوالي خمسة قرون عن الحدث. فكيف تأتى له هذا الضبط؟

يبدو من خلال نص الخبر، أن الناصري اعتمد في إيراد المعلومات سالفة الذكر على شاهد قبر السلطان بموقع شالة، فهو لم يذكر زيارته لمدينة مراكش أو مشاهدته لمحل قبر السلطان بها، وما يؤكد ذلك هو الشاهد المتبقي بشالة، داخل الضريح المسمى ضريح أبي الحسن، وهو معلمة أثرية شيدت بواسطة حجارة منحوتة جميلة، ملتصقة فيما بينها بخطوط رصاصية، مُؤكِّدة العناية التامة بتشييده، أما زخرفة الواجهة الخارجية للضريح، والتي بقيت صامدة رغم مرور الزمن، فتقدم لوحة جميلة تشهد على حنكة نحاتي الأحجار في تلك الفترة، وتتكون هذه الزخرفة من عدة قوائم: القائمة الوسطى على شكل شريط مستطيل، أما في القسم الأسفل فهناك مجموعة من ثلاث قويسات عمياء تفصلها عن بعضها البعض أعمدة مرمرية لم يبق منها اليوم سوى الواجهة، وتتكئ الأقواس المُفصّصة على أوضِمة ذات خطوط ملتوية منقوشة من كل جانب. ويتكون داخل الأقواس من رسوم نباتية جميلة خاصة قوسي اليمين والشمال، بينما تتخلل كتابة كوفية أسفل القوس الأوسط وتعتلي قمته عقود. ويتكون القسم الأعلى من الإطار من تشابك معماري تتوسطه سعيفات بارزة. يحيط بهذا الإطار الأوسط إطاران مكتوبان[٢٧]: أحدهما بكتابة كوفية، والآخر بكتابة أندلسية تشير إلى تأسيس أبي الحسن للضريح؛ حيث يرقد جثمانه، هذا نصها: "البقاء لله أمر بهذه القبة المباركة مولانا السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد أمير المسلمين وناصر الدين أبو الحسن ابن مولانا السلطان الأجل العادل المجاهد المقدس المرحوم أمير المسلمين وناصر الدين أبي سعيد بن السلطان الأجل أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق بجوار هذه المقابر المرعية عامله الله بجميل الجزاء أصلحه الله وجاعل...نفع الله مولانا المقاصد المهمة..." [٢٨].

وبداخل الضريح يوجد شاهد مرمري أبيض مكسور، طوله ٢,١٦٥ متر، وعرضه عند القاعدة ٠,٣٥ متر، أما ارتفاعه فهو ٠,٢٧٥ متر، ويبلغ عرض قطاع النقيشة الكتابية في كل واجهة من واجهات القبر ٠,١٠ متر، أما بالنسبة للكتابة، فهناك سطر واحد في كل من واجهتي القبر بالخط الأندلسي. وهذا نص النقيشة[٢٩]:

السطر الأول: **هذا قبر مولانا السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في**

السطر الثاني: **سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق قدس الله روحه**

السطر الثالث: ونوَّر ضريحه **توفي رضي الله عنه وأرضاه بجبل هـ[نتا]تة في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين لشهر ربيع الأول**

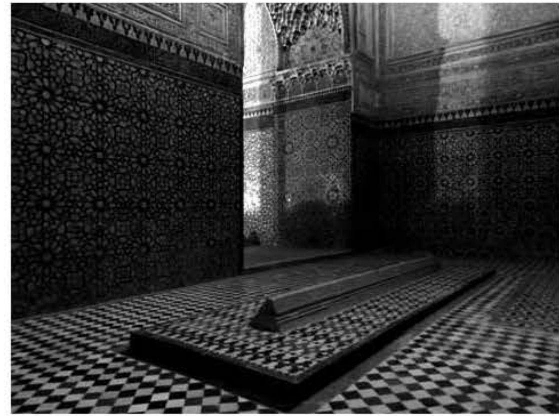
المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وقُبر في قبلة

السطر الرابع: **جامع المنصور من مراكش عمره الله بذكره ثم نقل من هنالك [إلى] هذا الضريح المبارك المقدس من شالة ألحفه الله رضوانه وبوأه جنانه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم**(٣٠).

تكشف هذه المقابرية المرينية عن تاريخ وفاة السلطان أبي الحسن، واضعة بذلك حدًا للخلاف القائم بين المؤرخين حول تاريخ وفاته(٣١)، فهناك طائفة تذكر أواخر ربيع الأول(٣٢)، وثانية ترى أنه توفي يوم ٢٣ ربيع الثاني(٣٣)، بينما ترى طائفة ثالثة وهي المُحِقة، أنه توفي بتاريخ ٢٧ ربيع الأول(٣٤). كما أنها تكشف عن موضع دفن السلطان أبي الحسن في مدينة مراكش لمّا نُقل جُثمانه من الأطلس الكبير إليها، قبل نقله مجددًا إلى مدفنه الأخير بضريح أبي الحسن في شالة، فالكتابة الجنائزية المنقوشة تصف المكان كالتالي "قبلة جامع المنصور من مراكش"، وكما هو معلوم فإن جامع المنصور المذكور هنا هو جامع القصبة الموحدي(٣٥) الملاصق لمقبرة الأشراف السعديين من جهة جدار قبلته، لكن النص المنقوش لا يُعيننا على الحسم في قضية وجود أو عدم وجود مقبرة بموضع دفن السلطان أبي الحسن، الذي لا نعلم إن كان أول من دفن بهذا الموضع، كما أننا نجهل السبب الذي دفع بالسلطان أبي عنان لاختيار هذا الموضع دون غيره لدفن والده، فهل استُخدِم كمقبرة في العهد المريني؟ أم أنه كان ببساطة ملائمًا دون غيره لدفن السلطان مؤقتًا دون أن يكون في الأصل مقبرة؟

تكمن المفاجأة في استمرار وجود شاهد قبر رمزي للسلطان أبي الحسن المريني في مقبرة الأشراف السعديين في مراكش رغم نقل جثمانه إلى ضريحه بشالة، ويوجد هذا الشاهد المرمري داخل القاعة ذات المشاكي الثلاث، وهو يقدم صيغة مختلفة شيئًا ما عن الصياغة الواردة في الشاهد الموجود في ضريح أبي الحسن بشالة. طول الشاهد ٢,١٧ متر، وعرضه عند القاعدة ٠,٢٧ متر، أما ارتفاعه فهو ٠,١٧ متر، ويبلغ عرض قطاع النقيشة الكتابية في كل واجهة من واجهات القبر ٠,٠٤ متر، أما طوله فهو ٢,٠٥ متر، أما بالنسبة للكتابة، فهناك سطر واحد في كل من واجهتي القبر. وهذا نص النقيشة:

> **"الحمد لله هذا أول ضريح دفن به مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن بن مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد بن مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وكانت وفاته رحمه الله في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول من عام اثنين وخمسين وسبعمائة ودفن بهذا الضريح المبارك عصر يوم الأربعاء التالي لليوم المذكور ونقل إلى تربة أسلافه الكرام رحمهم الله بشالة في اليوم السادس عشر من جمادى الأولى من العام المذكور"**(٣٦).



صورة شاهد قبر أبي الحسن المريني بمقبرة الأشراف السعديين بمراكش

أثار شاهد القبر هذا، نقاشًا بين مجموعة من الباحثين حول الآمر بإنجازه وزمن هذا الإنجاز، فكان الكولونيل هنري دوكاستري ممن أرجعه إلى العهد السعدي نافيًا بذلك إنجازه في العهد المريني(٣٧)، لكنه لم يُقم الدليل على صحة قوله، وهو ما نفاه غاستون دوفردان، الذي لم ير أي مبرر ليقوم السلطان السعدي أحمد المنصور بإنجاز قبر رمزي لهذا السلطان المريني داخل ضريح سعدي بامتياز(٣٨).

من جهة أخرى، لاحظ بعض الباحثين أن الشاهد من النوع الكلاسيكي، ولا وجود لأي عنصر شبه بينه وبين بقية الشواهد السعدية على مستوى شكل الكتابة وشكل الشاهد والنواتئ الزخرفية(٣٩)، فأرجع البعض تاريخ انجازه إلى فترة نقل جثمان أبي الحسن إلى شالة أو مباشرة بعد ذلك(٤٠)، في حين مال البعض إلى تأريخه بالمرحلة الأخيرة من عمر الدولة المرينية(٤١)\.

من جهة أخرى، علّق هنري باسي وليفي بروفنسال على هذا الشاهد، باستفسارهما عن السبب الداعي لنقش كتابة جنائزية على شاهد قبر فارغ ! فافترضا أن السبب الكامن وراء هذا الفعل هو الرغبة في حفظ ذكرى أمير مريني كان سلطانًا ووليًا من أولياء الله في الآن نفسه، دعته الخاصة بأبي الحسنات، وأطلقت عليه العامة لقب السلطان الأكحل، ونسجت حوله الأساطير، وقُدِّر له في الأخير أن يُدفن بداية في هذا الموضع قرابة شهرين، قبل نقله إلى مثواه الأخير بضريح شالة الذي شيده لنفسه قبل وفاته. كما استفسر الباحثان عن هوية الآمر بإنجاز شاهد قبر أبي الحسن، ولعدم توفر أية وثيقة قد ترشدهما للإجابة، شَدَّدَا على ضرورة المُعاينة الأركيولوجية لشاهد القبر، للحسم في هذه القضية(٤٢).

إذا كان الشاهدان الموجودان بضريح شالة ومقبرة الأشراف السعديين في مراكش، قد صَحَّحا مجموعة من المعطيات المتداولة خطأ حول وفاة ودفن ونقل جثمان السلطان أبي الحسن، فإنهما لم يُشيرا بشكل صريح إلى وجود مقبرة في الموقع الذي دُفن فيه أبو الحسن. كما أننا نجهل إن كان قبر أبي الحسن قد شيد عليه ضريح أو قبة كتلك القباب التي تعلوا قبور الأشراف السعديين، فاستخدام لفظ الضريح بدل لفظ القبر في الشاهد، لا يمكن أن يقوم دليلاً على وجود ضريح متميز معماريًا(٤٣) فوق قبر السلطان؛ لأن الكتابات العربية المنقوشة فوق شواهد القبور المرينية في شالة والسعدية والعلوية في مراكش لا تميز إطلاقًا بين اللفظين فتستعملهما للدلالة على شيء واحد.

المقبرة خلال مرحلة حكم أمراء هنتاتة

تعتبر المرحلة المتميزة بتصاعد نفوذ أمراء هنتاتة

تاريخ مقابر الأشراف السعديين بمدينة مراكش من العهد الموحدي إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م

في مدينة مراكش ونواحيها، من أكثر الفترات التاريخية غموضًا، فعدا بعض الكتب الإخبارية المغربية التي نقلت لنا نُتفًا من أخبار قبيلة هنتاتة وبعض المُنتسبين إليها من الشيوخ والأمراء، لا نكاد نجد خبرًا لهم إلا في بعض الشهادات الإسبانية والبرتغالية المعاصرة، فهذا مارمول كربخال على سبيل المثال، يذكر أن السلطة في مراكش وأحوازها زمن احتلال البرتغاليين لآسفي سنة ١٥٠٨، كانت في يد أحد البرابر المنتسبين إلى قبيلة هنتاتة، سمّاه بمولاي الناصر بوشنتوف "Mulei Nacer Buxentif" أو مولاي الناصر بوشنتوف الهنتاتي"Mulei Nazar Bugentuf Elanteta"(٤٤). فمن هم هؤلاء الهنتاتيون؟ وكيف تمكنوا من بسط نفوذهم على مدينة مراكش ونواحيها؟ وما هي صِلتهم بمقبرة الأشراف السعديين؟ تعود بدايات ظهور قبيلة هنتاتة المصمودية(٤٥) على الساحة السياسية إلى العهد الموحدي، فقد كانت من بين القبائل السباقة إلى مبايعة المهدي بن تومرت، "فلما سمعوا عنه وبأخباره اجتمعوا [...] فتذاكروا خبر الإمام المهدي رضي الله عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ فأرادوا تحقيق ذلك، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر ليسبر أمره [...] وتطلع ورأى، وعمل جميع ما أوصوه به، واجتمع بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه، ثم انصرف إلى تيفنوت، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي [...] من رفع المظالم والمناكر والمغارم، وقال لهم باللسان الغربي: النور النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة يا هِنتِة"(٤٦).

كان هذا السبق في مُبايعة المهدي بن تومرت والانضمام إلى حركة الموحدين، وراء وَسْمِ قبيلة هنتاتة من بين قبائل أخرى، في بعض الرسائل الديوانية الموحدية بـ "المُوحدين الأُوَل"(٤٧)، إلى جانب حضورهم الوازن ضمن منظومة الطبقات الموحدية، خاصة منها طبقة الأشياخ المكونة من أهل العشرة وأهل الخمسين وأهل السبعين(٤٨). وقد نجح الهنتاتيون بعد سقوط الدولة الموحدية، في الحفاظ على منزلتهم لدى السلطة المرينية، فكان لهم دور بارز في جهة مراكش خلال القرن ١٤م، بعدما تكونت لديهم سلطة محلية قارة ومستديمة ومتجذرة بالمجال(٤٩). من أبرز تجلياتها، تدخلهم في الصراع الذي نشأ بين أبي الحسن وابنه أبي عنان؛ حيث التجأ الأول كما هو معلوم إلى جبل هنتاتة، ومعه كبير الهنتاتيين عبد العزيز بن محمد بن علي، الذي عُيّن سنة ١٣٥٣م قائدًا على كافة القبائل المصمودية، "فنزل عليه، وأجاره، واجتمع إليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف إليهم من المصامدة، وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت."(٥٠).

مثّل مقتل الوصي على العرش المريني الوزير الوطاسي يوسف أبو زكرياء سنة ١٤٤٨م، علامة على نهاية الوجود المريني في الجنوب المغربي(٥١)، فقد كان آخر سلاطين الدولة المرينية عبد الحق بن أبي سعيد عثمان، منشغلاً عن أمور الدولة باللهو والملذات، كما تزايدت خلال هذه الفترة الضغوط الداخلية والخارجية(٥٢)، وهو ما استغله الهنتاتيون لاسترجاع السيطرة على مراكش وبسط نفوذهم على المنطقة الواقعة

بين جبال الأطلس الكبير جنوبًا ونهر أم الربيع شمالاً[٥٣]. فما علاقة الأسرة الهنتاتية الحاكِمة بمقبرة الأشراف السعديين؟

كشفت هذه المقبرة في مطلع القرن العشرين، بعد دراسة شواهد قبورها، عن وجود قبرين في المقبرة الخارجية، خاصين بأميرين من أمراء هنتاتة هما: أبو العباس أحمد بن أبي ثابت عامر ابن أبي الحسن علي ابن عبد العزيز الهنتاتي، وأبو علي الناصر بن يوسف ابن علي بن عبد المومن بن عبد العزيز الهنتاتي.

يتخذ شاهد قبر الأول منهما، شكل لوحة رخامية محاطة بإطار خشبي، يبلغ طولها ٠,٥٦ متر وعرضها ٠,٤٠ متر، أما قطاع الكتابة العربية المنقوشة فتبلغ أبعاده ٠,٣٦×٠,٤٨ متر. أما بالنسبة للكتابة، فهناك أربعة عشر سطرًا محاطة بقوس كامل العقد، تزينه من اليمين واليسار أشرطة زخرفية مكونة من أشكال زهرية متشابكة. وهذا نص الكتابة المنقوشة:

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا قبر الشاب المكرم الأمير الأسعد الحامل لكتاب الله أبي العباس أحمد ابن الشيخ المعظم المرتفع الأفضل الأكمل أبي ثابت عامر بن الشيخ الجليل الماجد الأصيل المرحوم أبي الحسن علي بن عبد العزيز الهنتاتي رحمة الله عليه توفي عفا الله عنه يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الآخر تسع وخمسين وثمانمية عرفنا الله خيره[٥٤]. "

صورة شاهد قبر الأمير أحمد الهنتاتي



توفي هذا الأمير الهنتاتي حسب الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م، ويتضح من خلال الكتابة حسب بيير دوسينيفال، أنه حمل لقب الأمير في حين اقتصر والده على لقب الشيخ، وهو مؤشر اعتمده هذا الباحث إلى جانب رمزية الدفن في المقبرة المتاخمة لجامع المنصور بالقصبة، للقول بأن أبا العباس أحمد الهنتاتي كان أول فرد من أفراد الأسرة الهنتاتية يعلن استقلاله عن السلطة المركزية المرينية في عهد آخر سلطان مريني، وهو عبد الحق (١٤٢١-١٤٦٥)[٥٥].

أما بالنسبة للأمير الثاني، وهو الناصر الهنتاتي، فيتخذ قبره شكل لوحة رخامية محاطة بإطار خشبي، يبلغ طولها ٠,٦٠ متر وعرضها ٠,٥٢ متر، أما قطاع الكتابة العربية المنقوشة فتبلغ أبعاده ٠,٤٤×٠,٦٠ متر. ونجد في نص

له، وفكّر في عقد اتفاق مع الملك البرتغالي إيمانويل الأول، وهو ما استغله هذا الأخير لفرض شروطه على الناصر، ومن بينها السماح له بإنشاء حصن برتغالي في مراكش ودفع إتاوة سنوية له، الشيء الذي رفضه الناصر جملة وتفصيلاً؛ لتتوقف بذلك المفاوضات بين الطرفين.

مباشرة بعد ذلك، بدأت مراكش تتعرض لمضايقات من طرف الجيش البرتغالي، ففي شهر أكتوبر من سنة ١٥١٤م، وصل بعض فرسان القبطان البرتغالي دييغو لوبش Diego Lopes إلى مراكش، فقاموا بالدق على بعض أبوابها بأسِنَّة رِمَاحهم وقتلوا بعض السكان، ثم انسحبوا بعدها. وقبل ٢٢ يناير ١٥١٥م، وصل عدد من فرسان قبطان آسفي نونوش فرنننديش دو أتايد Nuni Fernandes de Ataide إلى حدود أبواب مراكش من جديد.

أمام عجز الناصر وعدم قدرته على صد البرتغاليين المتجاسرين على مدينة مراكش، نظم نونوش فرنننديش دو أتايد، حملة عسكرية جديدة ضد مدينة مراكش خلال شهر أبريل ١٥١٥م، شارك فيها برتغاليو أزمور وآسفي وحلفاؤهم الدكاليون، لكنها واجهت مقاومة شديدة من جيش الناصر الهنتاتي، جعلت القبطان البرتغالي يتراجع بعدما أخفق في احتلال مراكش[٥٩].

ووعيا من الناصر بضُعفه، استنجد بالشرفاء السعديين، وتخلى لهم عن مهمة الجهاد[٦٠]. ليموت بعدها بخمس سنوات، يوم الاثنين منتصف ذي الحجة سنة ٩٢٦هـ / ٢٦ نونبر ١٥٢٠م، تاركًا خلفًا له ابنه محمد بوشنتوف الذي سيعزله أحمد الأعرج السعدي؛ ليكون بذلك آخر أمير هنتاتي يحكم مدينة مراكش[٦١].

تبقى الإشارة في الأخير، إلى واحدة من المسائل المُحيّرة في تاريخ مراكش، وهي وجود درب في حومة القصور قرب ضريح عبد الله الغزواني، يحمل اسم درب الهنتاتي. فنحن لا نعلم إن كان سبب حمله لهذا الاسم هو المكانة المتميزة التي حضيت بها قبيلة هنتاتة في العهد الموحدي، أم أنه أخذ هذا الاسم في العهد الوطاسي لما استأثر الهنتاتيون بحكم مراكش!

مقبرة الأشراف السعديين في بدايات العهد السعدي

تبيَّن لنا من خلال ما سبق، أن عمليات الدفن في الفضاء الذي سيصبح في القرن ١٦م، مقبرة خاصة بالسلاطين والأمراء ورجال ونساء الدولة السعدية، بدأت منذ القرن ١٤م. ولعل وجود قبر سلطان مريني وأميرين هنتاتيين بالمقبرة كان مما شجع السعديين لاختيار هذه المقبرة دون غيرها. لكن، هل دُفن أوائل سلاطين الدولة السعدية بهذه المقبرة؟ سؤال يكتسي مشروعيته من ملاحظة أساسية، مضمونها إدراج ابن الموقت المراكشي لكل من أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدي وأبي العباس أحمد الأعرج، ضمن الفصل الخاص "بمن اشتهر من صُلحاء وعلماء حومة الشيخ الجزولي وما والاها"، لا في الفصل الخاص "بمن اشتهر من صُلحاء وعلماء القصبة". استغرابنا، دفعنا للبحث والتحقيق في المصادر والدراسات بحثًا عن تفسير تاريخي لهذا الاستثناء.

يخبرنا المؤرخ محمد الصغير الإفراني أن

الإمام أبو عبد الله القائم بقي "بمكانه من أفغل[62] إلى أن توفي به عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة [١٥١٧م]...ولما توفي السلطان أبو عبد الله القائم بالمحل المذكور من بلاد حاحة، دفن هنالك بإزاء ضريح الولي الصالح القطب الواضح شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، أبي عبد الله سيدي محمد ابن سليمان الجزولي، مؤلف دلائل الخيرات، وذلك قبل أن ينقل إلى مراكش. ولما نقل الشيخ الجزولي على يد ولده السلطان أبي العباس أحمد الأعرج، نقل السلطان المذكور أباه المذكور أيضًا، فدفن بإزاء ضريح الشيخ الجزولي؛ حيث هو اليوم من مراكش [...] وكان ذلك في حدود الثلاثين والتسعمائة [١٥٢٤-٢٣م]"[63]، لا سنة ١٥٥٤م كما ذكر جورج مارسي[64]؛ لأن الأعرج كان آنذاك فاقدًا لكل سلطة قد يستخدمها لنقل رفات والده والشيخ الجزولي من أفوغال إلى مدينة مراكش، وذلك على إثر انهزامه أمام أخيه محمد الشيخ في معركة القاهرة بتخوم سكساوة سنة ١٥٤٤م، ولجوئه بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الله بن ساسي قرب مراكش، ثم فراره إلى سجلماسة[65].

لكن، لماذا اختار أحمد الأعرج دفن والده الإمام محمد القائم بأمر الله بجوار ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي؟ ولماذا لم ينقل جُثمانيهما معًا إلى مقبرة القصبة؟

يؤكد المؤرخ لطفي بوشنتوف أن السعديين سيطروا على مدينة مراكش عبر مراحل، ففي نهاية سنة ١٥٢١م، وفي ظروف غامضة، استقر أحمد الأعرج سِلْمِيًّا في المدينة وصاهرَ حاكمها. وفي سنة ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤-٢٣م نقل إليها رفات والده والشيخ الجزولي كما ذكرنا، وعقب ذلك استغل الصّهر محمد بن الناصر بوشنتوف غياب أحمد الأعرج وأخاه عن المدينة ليثور فيها، لكنه لم يقاومهما عند عودتهما إليها سنة ١٥٢٤م، وأخيرًا اغتال الشرفاء هذا الصّهر خلال رحلة صيد سنة ١٥٢٥م، ليُقضى بذلك على الإمارة الهنتاتية بمراكش[66].

يتضح مما سبق، أن أحمد الأعرج لم يستطع دفن الوالد والشيخ في مقبرة القصبة؛ لأن هذه الأخيرة (أي القصبة) كانت ما تزال خاضعة لنفوذ الأسرة الهنتاتية، وإلا فقد كان من المفروض دفنهما بالمقبرة الملكية؛ حيث دُفن أميران من أمراء هذه الأسرة[67].

أما بالنسبة لشاهد قبر محمد القائم بأمر الله، فقد أكّد مجموعة من الباحثين العثور عليه داخل قبة صغيرة تابعة لضريح سيدي بن سليمان الجزولي [قرب حومة رياض العروس].

تبلغ أبعاد هذا الشاهد الرخامي حسب غاستون دوفردان ٢٤٦×٢٣×٢٦ سنتيمتر، وهو يشتمل على كتابة عربية منقوشة تتضمن آية الكرسي، دون الإشارة إلى اسم "محمد القائم بأمر الله" أو تاريخ وفاته، وهو ما قد يدفع للاعتقاد أن شاهد القبر أنجز على عجل بعد نقل جثمان الفقيد من أفوغال إلى مراكش، أو ربما يكون شاهد قبر أُعِدَّ مُسْبَقًا ليُغطي قبر أحدهم دون أن يكون المقصود منه في البداية القائم بأمر الله. وهذا نص الكتابة العربية المنقوشة كما وقفنا عليها سنة ٢٠١٥م[68]:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾[٦٩].

صورة شاهد القبر المنسوب لمحمد القائم بأمر الله



كل هذا لا يجب أن يُنسينا ضرورة الاحتراز وعدم التسرع في نسبة القبر للقائم بأمر الله، ما دام الشاهد فارغًا من كل إشارة تؤكد النِّسبة المذكورة، وإن كانت النصوص تؤكد دفن القائم بأمر الله بـإزاء ضريح الشيخ الجزولي[٧٠]، بالمقبرة التي تسمى بقبور الأشراف"[٧١]. ولعل هذا ما جعل غاستون دوفردان يُعرِضُ عن ذكر هذا القبر في كتابه المُكرَّس للكتابات العربية المنقوشة بمدينة مراكش، ويُبين بشكل غير مباشر عن تردده في قبول هذه النِّسْبَة[٧٢]. من جهتنا نقترح تكثيف البحث داخل المقبرة الواقعة غرب ضريح سيدي بن سليمان الجزولي، بحثًا عن قبر محمد القائم بأمر الله، فهذه المقبرة تحيط بالقبة المذكورة، وتحتوي على عدد كبير من القبور إلى جانب قبة أخرى يُجهل صاحبها، ولعل القائم بأمر الله دُفن بهذه المقبرة خارج القبة؛ حيث يوجد شاهد القبر الموصوف أعلاه.

إلى جانب قبر محمد القائم بأمر الله، يوجد بنفس القبة حسب ابن المؤقت المراكشي[٧٣] والمُؤرِّخَيْن الفرنسيَّين هنري دوكاستري[٧٤] وغاستون دوفـــردان[٧٥]، قبر السلطان أحمد الأعرج. إلا أن الأعرج توفي سنة ١٥٥٧م؛ أي بعد سيطرة السعديين على مراكش وقصبتها، فلما تم دفنه هو الآخر بهذه القبة الصغيرة، البسيطة والمتوارية خلف بعض أروقة ضريح سيدي بن سليمان الجزولي، عِلمًا أنه كان بالإمكان دفنه بمقبرة القصبة؟

يخبرنا الإفراني أن محمد الشيخ تغلب على أخيه أبي العباس أحمد الأعرج، "فقبض عليه وسجنه هو وأولاده بمراكش...وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة. فلم يزل أبو العباس في حكم الثقاف، إلى أن قتلت الأتراك بالسوس الأقصى أخاه محمدًا الشيخ [...] في أواخر ذي الحجة من عام أربعة وستين وتسعمائة [١٥٥٧م]، فبلغ خبر مقتله لخليفته بمراكش القائد علي بن أبي بكر أزيكي، فأسرع بقتل أبي العباس وأولاده ذكورًا وإناثًا وصبية جميعًا[٧٦]، خشية أن يخرجه أهل مراكش من السجن فيبايعوه [...] فلما قتل أبو العباس وأولاده لم يتجاسر أحد على دفنهم،

حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الأندلسي المراكشي، بمقربة من ضريح الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وهي القبة القريبة من ضريح الإمام المذكور، وتسمى بقبور الأشراف(٧٧)."

نجد نفس الخبر في بعض المدونات التاريخية اليهودية المغربية، فحسب كتاب التواريخ كان القائد علي بن أبي بكر أزيكي سنة ٥٣١٨ حسب التقويم العبري/ ١٥٥٦م "في مراكش وُخضاها من الترك، وساعة إن وُصْلُو الخبار أن السلطان [محمد الشيخ] توفى ذْبَحْ أخوه [أحمد الأعرج] وحداش نفس من ولادهو وحفادهو وخرجوهم في العشية. وبرح في بلاد مراكش الله ينصر مولاي عبد الله؛ ويرحم مولاي محمد الشيخ"(٧٨). إلا أن الإخباري الزياني جاء برواية مُخالفة، فقد ذكر أن محمد الشيخ كان من أمَرَ قبل مقتله بقطع رأس أحمد الأعرج وابنه زيدان، فلما جيء برؤوسهم كان محمد الشيخ قد لفظ أنفاسه بعد اغتياله على يد حرسه التركي سنة ٩٦٤هـ(٧٩).

يتضح من خلال نص الخبر كما رواه الإفراني وأحبار عائلة ابن دنان، أن الظرفية السياسية المتميزة باغتيال السلطان محمد الشيخ من قبل حرسه الأتراك في قرية أكلاكل قرب تارودانت، ثم اغتيال أحمد الأعرج على يد القائد علي بن أبي بكر أزيكي خليفة محمد الشيخ بمدينة مراكش، كانت وراء عدم دفن الأعرج بمقبرة القصبة، بل ربما كان ليُترك دون دَفن، لولا مُبادرة الشيخ القسطلي.

تمكن هنري دوكاستري ثم غاستون دوفردان من بعده خلال فترة الحماية، من مُعاينة ووصف شاهد قبر السلطان السعدي أحمد الأعرج داخل القبة المُسماة "قبور الأشراف" أو كما سمّاها دوفردان "قبة السعديين"، لكنه اختفى للأسف في ظروف غامضة في خمسينيات القرن العشرين، بعدما تمت مُعاينته لآخر مرة من طرف دوفردان سنة ١٩٤٦م، وهو عبارة عن لوح من الرخام الأسود، نقشت عليه الكتابة الجنائزية بطريقة التجويف، وهذا نص الكتابة العربية المنقوشة كما قام برفعها دوكاستري ودوفردان(٨٠):

> **"بسملة - تصلية - هذا قبر الأمير المنعم السعيد مولانا أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه وقد استقر - ترضية في موضع الشهداء وانتقل إلى سرير السعد ولم تزل محاسنه رحمه الله في حياته في التحبيسات وفمد الصدقات متداولة شفعًا ووترًا وأحاديثه واحتسابه بذلك وجه الله الكريم لآخر الدهر تتلى وتقرا وقد عاش في آخر عمره عابدا سعيدا ومات رحمه الله مومنا شهيدا توفي - ترضية - ضحوة يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ذي)الـ(حجة متم عام أربع وستين وتسعمائة دفن في هذه القبة المكرمة التي نشأتها عليه الحرة المصونة المرضية الميمونة ابنته عائشة وأنفقت عليها من مالها تقبل الله عملها ترضية - تصلية."**

تطرح هذه الكتابة العربية المنقوشة مجموعة من القضايا للنقاش، فهي تحدد تاريخ مقتل أحمد الأعرج في اليوم السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٧م، عِلمًا أن الأعرج

قُتِل بعد وصول خبر مقتل أخيه محمد الشيخ في اليوم السابع والعشرين[81] أو التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٧م[82]، وهو ما يجعل مقتل الأعرج مُتزامنًا أو سابقًا لمقتل محمد الشيخ، وهو أمر غير مقبول إذا ما تتبعنا منطوق النصوص التاريخية. ويدفعنا بالتالي إما لتأخير تاريخ مقتل الأعرج كما اقترح دوفردان إلى أوائل شهر محرم سنة ٩٦٥هـ[83]، أو تصديق التاريخ المُقدم في شاهد قبر الأعرج، والتشكيك في ضبط الإفراني لتاريخ مقتل محمد الشيخ، الذي سيكون في هذه الحالة قبل السابع والعشرين من شهر ذي الحجة[84]، وهو ما يتنافى مع المنصوص عليه في اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش.

إلى جانب ما تقدم، تؤكد الكتابة العربية المنقوشة، إنشاء السيدة عائشة بنت أحمد الأعرج للقبة التي تأوي قبر والدها والقبر المُختلف حوله لجدّها محمد القائم بأمر الله، وهو ما ينفي صحة الخبر الذي ساقه الإفراني حول قتل جميع بنات أحمد الأعرج[85]، إلا إن وُجدت هذه البنت خارج مدينة مراكش أثناء حدوث عملية الاغتيال، ومع ذلك سيكون الإفراني في كلتا الحالتين مخطأ في تعميمه.

نستنتج من خلال ما سبق، أن أول مقبرة خاصة بالسلاطين والأمراء السعديين في مراكش كانت بضريح سيدي بن سليمان الجزولي؛ حيث جرى دفن محمد القائم بأمر الله وأحمد الأعرج، لهذا السبب سُميت القبة التي أمرت بإنشائها السيدة عائشة بنت أحمد الأعرج، بقبور الأشراف لضمها رفات أوائل الأشراف السعديين أو على الأقل لرفات الأعرج وأبنائه[86].

تحتل هذه القبة المسماة قبة السعديين أو قبور الأشراف المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد قبة سيدي بن سليمان الجزولي. ويتم الولوج إليها عبر بوابة توجد في الزاوية الجنوبية الغربية للصحن، يتبعها فضاء صغير مفتوح على السماء.

لا يظهر من القبة السعدية، للناظر من الخارج إلا نِصْفُ البناية، وقد غطتها الأتربة الناتجة عن عمليات الدفن المتعاقبة حاليًا في المقبرة. وهي ذات تصميم متعدد الزوايا ذو أضلاع ثمانية، كما أنها مجردة على المستوى الخارجي من أي زخرف، بل إن باب الدخول إلى القبة بسيط هو الآخر وخال من أي زخرفة. ويبدو أن الأجزاء العلوية من القبة السعدية كانت مزينة في ما مضى من السنين بزخارف جمعت بين ما هو أندلسي وما هو مغربي. كما نجد نقوشًا جبسية سعدية مُكونة من زخارف نباتية وكتابات عربية مثل "العز لله" و"العافية" تضررت أجزاء كبيرة منها بفعل الصباغة والطلاء الجبسي الحديثين، الذين كادا يحجبانها عن الأنظار. أما الأرضية فهي بسيطة ومتدهورة بشكل كبير[87]، نتيجة انعدام الاهتمام والصيانة، واستمرار عمليات الدفن داخل القبة، فعلى سبيل المثال تمت بعض عمليات الدفن الأخيرة سنوات ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ و٢٠٠٧ و٢٠١٢ و٢٠١٣.

أما شاهد القبر المنسوب لمحمد القائم بأمر الله فقد تضرر بدوره من الإهمال المتواصل، فهو مغطى في أجزاء كثيرة منه بكتل إسمنتية تُركت فوقه أثناء عمليات تجهيز القبور الحديثة داخل القبة، كما أن قراءة الكتابة العربية المنقوشة

تاريخ مقابر الأشراف السعديين بمدينة مراكش من العهد الموحدي إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م

صارت صعبة بسبب اتساخ شاهد القبر وتراكم متلاشيات ضريح سيدي بن سليمان الجزولي فوقه، حتى صار من الصعب الوصول إلى شاهد القبر نفسه، وبالإمكان القول أن القبة السعدية تحولت في المرحلة الراهنة من ضريح للأشراف السعديين إلى مستودع لمتلاشيات ضريح سيدي ابن سليمان الجزولي.

إذا تركنا جانبًا كُلاً من محمد القائم بأمر الله وأحمد الأعرج الذين جرى دفنهما بجوار ضريح سيدي بن سليمان الجزولي في ظروف تاريخية خاصة، فسنجد أن محمد الشيخ (١٥٥٧- ١٥١٧م) كان أول من دُفن من السعديين بمقبرة الأشراف السعديين في قصبة مراكش. فقد تحين صالح الكاهية ومُرافقوه من الأتراك الفرصة لاغتيال السلطان محمد الشيخ، فلما كان هذا الأخير في حركته بالأطلس الكبير بموضع يقال له أكلاكل (أو أجلجل)[٨٨]، "دخلوا عليه خباءه على حين غفلة من العسس، فضربوا رأسه بشاقور ضربة واحدة أبانوه بها، واحتملوه في مخلاة، وذهبوا به يخوضون في أحشاء الظلمة [...] وهرب بعضهم بالرأس إلى أن أبلغوه للسلطان بالقسطنطينية. فلم يزل مُعلقًا بها إلى أن تلاشى [...] وكان قتل السلطان أبي عبد الله رحمه الله تعالى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة عام أربعة وستين وتسعمائة. وحمل إلى مراكش، فدفن قبلة جامع المنصور في قبور الأشراف هنالك، وقبره مشهور[٨٩]."

يُؤكد النص خنثَ نقل جثمان السلطان السعدي محمد الشيخ من أكلاكل؛ حيث دُفن بدايةً بعد اغتياله، إلى قبور الأشراف السعديين بالقصبة، ولعل الإفراني نقل بعض تفاصيل هذا الخبر من الكتابة العربية المنقوشة على لوحة رخامية تذكارية [يبلغ طولها ١،٤٣ متر وعرضها ٠،٧٥ متر] وُضِعت بقاعة الاثني عشر عمودًا في ضريح الأشراف السعديين، وهذا نصُّها:

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا هذا ضريح مولانا الإمام كهف الأنام ناصر الإسلام مذل عبدة الأصنام الضارب في ذات الله بالسنان والحسام أبي الأملاك وواسطة الأسلاك وقمر الأحلاك وارث الخلافة وجذم الإمامة ومهدي الأمة الواضح العلامة ذخيرة الوجود وسر النبأ المقصود مولانا الإمام الأعظم وطود الهداية الأعصم أبي عبد الله محمد الشيخ الذي اختاره الله لإرشد الأمة واعتامه وارتضاه لتجديد شريعة جده عليه السلام فأقامه على حين ما انهدت أعلام الدين وأركانه وزلزل عرش الإسلام وإيوانه والكفر قد طغى طوفانه وبغى على حزب الله بحزبه شيطانه وسيف الشريعة مفلول وصارم الباطل على الحق مسلول وإمام الحق عند الخلق مجهول وربوع الخلافة في أقطار الأرضين بلاقع وطلول فقام رضي الله عنه وقد أرهف سيف اجتهده واستوى على جودي جهده فصدع بأمر الله الذي جعله لوقاية الإسلام عصاما ولشمل الأمة نظاما ولحماية السنة إلى يوم الدين ملاكا

وقواما وصابر رضي الله عنه الأهوال واحتسب النفس الزكية في تطهير الأرض من الضلال وحسم داء الشرك للعضال فجاهد وغزى واستأصل بسيف الحق من مرق من الدين وانتزى وانتمى إلى غير الحنيفية البيضاء واغتزى حتى أزاح عن الدين العلة وأعاد كمالها الفائت على الملة ملأ الأرض عدلاً وطهرها من أدناس الجور والآثام حزنًا وسهلاً وسارة الهداية في الدنيا مسير الشمس واستقر الإسلام على قواعده الخمس ولما استنار به المسلك والجادة واستضاء بأنوار هدايته من قدرت له من الأمم السعادة تشوق إلى لقاء ربه واسترده إليه سبحانه من باب الشهادة وأعد له المغفرة والرحمى قراه وزاده وأتاح له من صنعه الجميل بدار النعيم الحسنى والزيادة وكان مولده رضي الله عنه في عام ستة وتسعين وثمانمائة وبويع البيعة العامة من بعد التئام كلمة الإسلام وتطهير الأرضين من أدران الحيف والآثام عام ستة وخمسين وتسعمائة بفاس المحروسة دار الملك المريني ومجمع أولي الحل والعقد حينئذ بالقطر المغربي وقضى رضي الله عنه شهيدًا بفسطاطه الكريم وملحده الأول بأجلجال لزوال يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي حجة الحرام خاتم أربعة وستين ثم نقل من مدفنه المقدس إلى لحده المكرم بالروضة المشرفة قبلة المسجد الجامع من قصبتهم المحروسة بالحضرة العلية يوم الخميس الحادي وعشرين من يوم استشهاده تاسع عشر المحرم الحرام فاتح خمسة وستين وتسعمائة فسبحان الله الملك الحق المبين وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين"[٩٠].

صورة اللوحة التذكارية الرخامية لمحمد الشيخ



لقد أثبت أحمد بن محمد المقري (القرن ١٧م) في كتابه "روضة الآس" نصَّ هذه الكتابة العربية المنقوشة باختلافات بسيطة، وذكر أنها كُتبت على مرمر بالذهب تجاه قبر أمير المؤمنين المهدي بالله[٩١]، كما انفرد بذِكْرِ كاتب هذه السُّطُور المنقوشة على اللوحة الرخامية، وهو وزير القلم الأعلى أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي (توفي سنة ١٠٣١ هـ) صاحب كتاب "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا".

تؤكد هذه الكتابة العربية المنقوشة، أن السلطان محمد الشيخ توفي ودُفن بأكلاكل/أجلجال يوم

الأربعاء [؟] ٢٧ من شهر ذي الحجة سنة ٩٦٤ هـ وبقي مدفونا هناك، حتى تم الإعداد لنقل جثمانه إلى "الرَّوْضَة المُشرَّفة" الملاصقة لجدار قبلة جامع المنصور بقصبة مراكش، يوم الخميس ١٩ محرم سنة ٩٦٥ هـ. لكن لماذا تأخر نقل جثمان محمد الشيخ إلى مراكش؟

نعتقد أن النقل الجنائزي لجثمان محمد الشيخ إلى مراكش، لم يكن مُمكنًا قبل ضمان السلطان الجديد "عبد الله الغالب بالله" مُبايعة أهل فاس ومراكش وبقية أقاليم المغرب له، وإلا فكيف له أن يقوم بنقل جثمان والدِه إلى مدينة لم يقبل أهل الحل والعقد فيها مُبايعته! يؤكد الإفراني أن الغالب بالله بُويع بيعة تامة في شهر مُحرم من سنة ٩٦٥ هـ[٩٢]، ونكاد نجزم هنا أنها تمت قبل اليوم التاسع عشر من شهر محرم، لا بعده. أما بالنسبة لتاريخ نقل جثمان محمد الشيخ إلى مراكش [يوم الخميس ١٩ محرم سنة ٩٦٥ هـ]، فنحن لا نعلم إن كان تاريخ بدء عملية نقل الجثمان إلى مراكش، أو تاريخ وصوله إلى مقبرة الأشراف السعديين بمراكش.

تجدر الإشارة في الأخير إلى أن قبر محمد الشيخ، لا يوجد بقاعة الاثني عشر عمودًا؛ حيث توجد اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة به، فقد جرى دفنه في موضع، سَتُشَيَّدُ فوقه في عهد السلطان عبد الله الغالب بن محمد الشيخ قاعة للدفن[٩٣] يسميها الباحثون قبة لالة مسعودة، والسبب في ذلك هو أن قاعة الاثني عشر عمودًا لم تكن قد شيدت بعد لمَّا نُقل جثمان محمد الشيخ إلى مراكش[٩٤]، أما اللوحة الرخامية التذكارية، فقد وقع إنجازها في عهد السلطان أحمد المنصور (١٥٧٨-١٦٠٣م) حسب المؤرخ غاستون دوفردان، انطلاقًا من ملاحظته التشابه الفني الواضح بينها وبين اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بلالة مسعودة أم السلطان أحمد المنصور[٩٥]. ومما يدعم ذلك شهادة أحمد بن القاضي، الذي أكد تَعَهُّدَ السلطان أحمد المنصور "القبر والده كل جمعة [...] وقيامه بضريحه المُكرّم وإجراؤه عليه الصدقات والأموال الطائلة عليه ليلاً ونهارًا، لا يُمسكون عن ذلك، ومن لجأ إليه من خائف أو غيره أمن من خوفه، ما لم يكن في حقه الله عز وجل، ومن قيامه بضريحه، اقتراحه على كاتبه الأبيات التي تقدم ذكرها، التي تنقش على قبريته[٩٦]."

أما بالنسبة للكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره في قبة لالة مسعودة[٩٧]، فقد أنشأ نَصّها أيضًا أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي بطلب من السلطان أحمد المنصور. فقد ذكر المقري في روضته، أن الفشتالي "أنشده قطعة اخترعها لتكتب على قبر أمير المؤمنين المهدي بالله رضي الله عنه"[٩٨]، وتختلف القصيدة التي نقل نصّها كل من المقري[٩٩] وابن القاضي[١٠٠] والإفراني[١٠١] عن تلك المنقوشة على شاهد القبر، فهذه الأخيرة ينقصها بيت شعري واحد يوجد قبل البيتين الأخيرين، رُبّما حذفه الحِرَفي النَّقاش المُكلف بِنَقش الأبيات على شاهد القبر الرخامي، لمّا اكتشف أن المجال المُخَصّص لنقش الأبيات الشعرية لا يتسع لها كَكُل. وفيما يأتي نص القصيدة كما وُجد منقوشًا على شاهد قبر السلطان محمد الشيخ:

حي ضريحا تغمَّدَته رَحمات

وظَلَّلَت لحده منها غمامات

استنشقن نفحة التقديس منه فقد
هبّت من الخُلد منها نُسَيْمات
دلحد به كوّرَت شمس الهُدى فكست
من أجلها السبعة الأرضين ظلمات
يا مهجة غالها غول الرّدى قنصا
وأثبتت سهمها فيها المنيات
دُكّت لموتك أطواد العُلا صعقا
وارتج من نعيك السبع السماوات
وشيعت نعشك المزجى إلى عدن
من الملائك ألحان وأصوات
يا رحمة الله عاطيه سُلاف رضى
تدور منها عليه الدهر كَاسَاتُ
قضى فوافق والتاريخ منه جلا
دارُ إمام الهدى المَهْدِيِّ جَنّاتُ

تجدر الإشارة هاهنا، أن عبد العزيز بن محمد الفشتالي ارتكب خطأً في قصيدته لما أشار لتاريخ وفاة محمد الشيخ باستعمال حِساب الجُمّل[١٠٢]، فقد أشار في البيت الأخير إلى تاريخ وفاته، عندما قال: "قضى فوافق في[١٠٣] التاريخ منه جلا"، غير أن هذه الإشارة غير موافقة لتاريخ وفاته، فالقاعدة أنه يُعَدُّ ما بعد لفظ "التاريخ" أو ما يؤدي معناه، وهنا إذا قمنا بحساب ما بعد قوله "التاريخ"، سنجد سنة ١٠٧٩ هـ، فتكون فيه ١١٥ سنة زائدة، وإن أهملنا لفظة "منه"، سنجد سنة ٩٨٤ هـ، بزيادة ٢٠ سنة[١٠٤].

نستنتج من خلال ما سبق أن أول عملية دفن معروفة بمقابر الأشراف السعديين هي تلك التي جرت سنة ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١م، تلتها عمليات دفن زمن حكم أمراء هنتاتة لمدينة مراكش وأحوازها. وانطلاقًا من سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م، ستبدأ عمليات دفن السلاطين والأمراء والأميرات ورجالات ونساء الدولة السعدية بهذه المقبرة المُلاصقة لجدار قبلة جامع المنصور بقصبة مراكش.

الحواشي

1- **Tombeaux Saadiens à Marrakech, iconographie historique**, document dactylographié dans les Archives du Maroc à Rabat.

2- Rousseau, G., **Le mausolée des princes saadiens de Marrakech**, Textes arabes et traduction des inscriptions par Arin, F., Paris, Paul Geuthner, 1925.

3- Bekkhoucha, M., **Épitaphes des sultans saadiens**, Revue France-Maroc, Septième Année, N°80, juillet, 1923, pp.127-128.

4- Deverdun, G., **Inscriptions arabes de Marrakech**, publications de l'institut des Hautes études Marocaines, Tome LX. 1956.

5- De Cenival, P., **Marrakush**, in Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, E.J. Brill – Paris, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., 1991, tome VI, p.582.

6- Marçais, G., **L'Architecture Musulmane d'Occident**, Paris, Arts et Métiers graphiques, 1954, p.393.

أورد عثمان عثمان إسماعيل نفس الفرضية نقلاً عن جورج مارسي، ذاكرًا أن بعض الإشارات توحي بأن مقبرة الأشراف السعديين كانت مكانًا سابقًا للدفن منذ عصر الموحدين. انظر: عثمان إسماعيل عثمان، **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**، الرباط،

الهلال العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1993م. الجزء الخامس، ص. 80.

٧- ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (قسم الموحدين)، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر بالرباط، بيروت، دار الغرب الإسلامي - الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص. ١٧٤.

٨- رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين: جوانب من تاريخ المجال والإنسان**، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٨م، الجزء الأول، صص. ١٠١-١٠٠؛ وكاظم المباح مشتاق، **مراكش خلال عصر الموحدين: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، دمشق، دار صفحات للنشر والتوزيع – بغداد، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤ م. ص. ١٨٥.

٩- ابن عبد الملك، محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، سلسلة المكتبة الأندلسية: ١١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م، ص. ٣٦٩

١٠- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، "وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ورد لدى المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٠، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م، ص. ٥٦٢.

١١- رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين...**، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ١١٤.

١٢- التعارجي، عباس بن ابراهيم، **إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال**، دراسة وتحقيق إدريس الشرواطي، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٣م، الجزء الثاني، ص. ٧٦٣.

١٣- رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين...**، المرجع السابق، الجزء الأول، صص. ١١٨-٦٧.

١٤- ابن عبد الملك، محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الثامن، القسم الأول، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤ م، ص. ٢٢١.

١٥- ابن عبد الملك، محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر السادس، حققه وعلق عليه إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، سلسلة التراجم الأندلسية: ٩، تونس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م. ص. ٩٨.

١٦- بونشيش إبراهيم القادري، "**معمار مراكش في عصري المرابطين والموحدين من خلال النصوص الأثرية الواردة في المصادر المكتوبة**"، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦. ص. ١٢٤.

١٧- رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين...**، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. ٦٧.

١٨- ابن الموقت، محمد بن محمد المسفيوي المراكشي، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تقديم وتحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء الأول، ص. ١٧٧. أزيلت هذه المقبرة منذ سنوات، وأقيمت محلها حديقة عمومية.

١٩- كانت هنتاتة اسمًا لواحدة من أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، والتي كانت تقطن الجبال الواقعة جنوب مراكش. أما بالنسبة لجبل هنتاتة، فقد وصفه الحسن بن محمد الوزان في بداية القرن ١٦م بقوله: "لم تر عيني قط أعلى من هذا الجبل الذي يبتدئ غربًا من تخوم كدميوة، ويمتد على مسافة نحو خمسة وأربعين ميلاً إلى جبل أديمي. يسكن هذا الجبل رجال شجعان أغنياء يملكون كثيرًا من الخيل. وهناك حصن يحكمه أمير من أقرباء حاكم مراكش... قمة جبل هنتاتة مغطاة دائما بالثلوج، حسبتها يوم رأيتها لأول مرة سحابا لشدة علو هذا الجبل. وحدوره جرداء لا شجر فيها ولا نبات،

وفيه أماكن عديدة يمكن أن يستخرج منها مرمر شديد البياض والصفاء". انظر: الوزان الحسن ابن محمد، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م. الجزء الأول، ص. ١٤٢. وقد اختفى حاليًا اسم القبيلة واسم الجبل من الذاكرة الجماعية لساكنة الأطلس الكبير.

٢٠- ابن خلدون عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، المجلد السابع، ص. ٢٨٧. توجد نفس الرواية بنفس الأسلوب لدى الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، سلسلة من تراثنا الإسلامي، رقم ٢، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، ص. ٩٠.

٢١- ابن الخطيب لسان الدين، **رقم الحلل في نظم الدول**، تونس، المطبعة العمومية، ١٣١٦. صص. ٩٧-٩٦.

٢٢- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م. ص. ١٧٩.

٢٣- ابن الأحمر إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م. ص. ٣٥. أما تاريخ الوفاة الذي قدمه هذا المؤلف فهو: ليلة الثلاثاء السابع والعشرين لشهر ربيع الأول من عام اثنين وخمسين وسبعمائة.

٢٤- تلقب السلطان أبو الحسن المريني بلقب "**المنصور بالله**". انظر: ابن الأحمر إسماعيل، **المصدر السابق**، ص. ٣٥.

٢٥- الوزان الحسن بن محمد، **المصدر السابق**، الجزء الأول، ص. ٢٠٣. أنظر كذلك: الزرهوني الكفيف، **ملعبة الكفيف الزرهوني**، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بن شريفة، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٨٧م، (مُقدمة المُحقق)، ص. ١٢.

٢٦- الناصري أحمد بن خالد، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، الرباط، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١م، الجزء الرابع، القسم الأول، ص. ١٦٣.

٢٧- وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، **شالة**، الرباط، ١٩٧٧م. صص. 26-27.

28- Basset, H., Lévi-Provençal, E., **Chella ; une nécropole mérinide**, Paris, Emile Larose éditeur, 1923,

٢٩- يوجد شاهد القبر هذا حاليا، بمستودع مُحافظة موقع شالة الأثري والأوداية، ويحمل رقم SAL-2103-1م.

30- Basset, H., Lévi-Provençal, E., **Chella…**, op.cit., p.36. ; Lintz, Y., Déléry, C., Leonetti, B. T., (sous la direction), **Le Maroc médiéval, Un empire de l'Afrique à l'Espagne**, Paris, Louvre édition, Hazan, 2014, p.512.

٣١- عثمان إسماعيل عثمان، **دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى**، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٧م. ص. ٢٣٥.

٣٢- يمثل هذه الطائفة ابن سماك العاملي، انظر: مجهول، **الحلل الموشية...**، المصدر السابق، ص. ١٧٩.

٣٣- يمثل هذه الطائفة: ابن الخطيب لسان الدين، **رقم الحلل...**، المصدر السابق، ص. ٩٦. ابن خلدون عبد الرحمن، **المصدر السابق**، المجلد السابع، ص. ٢٨٧. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين...**، المصدر السابق، ص. ٩٠. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م. الجزء الأول، ص. ٢٥٦.

٣٤- يمثل هذه الطائفة: ابن الأحمر إسماعيل، **روضة**

النسرين...، المصدر السابق، ص. ٣٥. الناصري أحمد بن خالد، **كتاب الاستقصا...**، المصدر السابق، الجزء الرابع، القسم الأول، ص. ١٦٣.

٣٥- التريكي حامد، "**المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين**"، ضمن أعمال ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي (أشغال الملتقى الأول لمركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، ١٩٨٨م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، ومركز الدراسات والأبحاث حول مراكش وجمعية الأطلس الكبير، مراكش، الطبعة الأولى، ١٩٨٩. ص. ١٦٢. منفكر أحمد، **مساجد مراكش من التأسيس إلى العهد العلوي**، سلسلة مراكشيات، مراكش، منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، الطبعة الثالثة، 2010. ص. 84.

36- Basset, H., Lévi-Provençal, E., **Chella...**, op.cit., pp.191-192.; Deverdun, G., **Inscriptions arabes de Marrakech**, Publication de l'Université Mohammed V-Agdal, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat; et l'université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Marrakech, série Les Trésors de la Bibliothèque, N° 10, 1[er] édition, 2011 (Réédition du texte publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines en 1956). 81[e] inscription, p.75.

37- De Castries, H., "**Le cimetière de Djama el-Mansour**", in Hespéris, tome VII, 3[e] trim., 1927, p.362.

38- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., p.76.

39- **Ibidem**.; Basset, H., Lévi-Provençal, E., **Chella...**, op.cit., p.193.

40- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., p.76.

41- Basset, H., Lévi-Provençal, E., **Chella...**, op.cit., p.193.

42- **Ibid**., pp.192-193.

٤٣- حول مصطلح الضريح، انظر: بيلول جمال، **المصطلحات المعمارية المدنية**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م. ص. ١٧٩.

٤٤- كربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، الجزء الأول، ص. ٤٥٥.

De Cénival, P., **Les émirs des Hintata – rois de Marrakech** –, in Hespéris, t. XXIV, 4[e] trimestre, 1937, p.245.

٤٥- تكونت قبيلة هنتاتة في العصر الموحدي من تسعة أفخاذ هي: آيت تلوه رُيت وآيت تاكرتنت وآيت تومسيدين وآيت ألمزدور وإيغيغاين وآيت مزال وآيت واوزكيت وآيتي بيغز وآيت تكلاوه تين. انظر: البيدق أبو بكر بن علي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م، ص.٤٤.

٤٦- المراكشي ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دَرَسَه وقدَّم له وحَقَّقه الدكتور محمود علي مكي، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١١م. صص. ١٣٥-١٣٤.

٤٧- عزاوي أحمد (تحقيق ودراسة)، **رسائل موحدية؛ مجموعة جديدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم ٢، ١٩٩٥، الجزء الأول، ص. ٩٣.

٤٨- المراكشي ابن القطان، **المصدر السابق**، صص. ٨٤-٨٢، البيدق أبو بكر بن علي، **المصدر السابق**، ص. ٣٣. ابن خلدون عبد الرحمن، **المصدر السابق**، المجلد السادس، ص. ٢٢٨، أسكان الحسين، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ٥١٨-٦٦٨هـ/ ١١٢٥-١٢٧٠م**، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الدراسات والأطروحات، رقم: ٤، ٢٠١٠م. صص. ١١٣-

٤٩٩، القبلي محمد (إشراف وتقديم)، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، الرباط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ٢٠١١م، ص. ١٧٤.

Brunschvig, R., **La Berbérie orientale sous les Hafsides: des origines à la fin du XVe siècle**, publications de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger, VIII, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien-Maisonneuve, 1940, tome I, p.14.

De Cénival, P., **Les émirs des Hintata...**, op.cit., pp.246-248.

49- De Cénival, P., **op.cit.**, p.249.

٥٠- ابن خلدون عبد الرحمن، **المصدر السابق**، المجلد السابع، ص. ٢٨٧.

٥١- De Cénival, P., **op.cit.**, p.251.

٥٢- كور أوغست، **دولة بني وطّاس (١٤٢٠-١٥٥٤)**، ترجمة محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم ١٢، ٢٠١٠م، ص. ٤١. بوشرب أحمد، **دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور (قبل ٢٨ غشت ١٤٨١ – أكتوبر ١٥٤١)**، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م، صص. ١٦٤-١٦١.

53- Cour, A., **l'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger 1509-1830**, Paris, Ernest Leroux, éditeur, 1904, p.43.; Massignon, L., **Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle; Tableau géographique d'après Léon l'Africain**, Mémoires de la Société Historique Algérienne, I, Alger, Typographie Adolphe Jourdan, 1906, p.161.

كور أوغست، **دولة بني وطّاس...**، المرجع السابق، ص. 60.

تدل القرائن التاريخية على أن نفوذ الهنتاتيين لم يتجاوز في الحقيقة حدود مدينة مراكش وباديتها القريبة، نظرا لعجزهم عن الحفاظ على المناطق التابعة لهم. فلما باشر البرتغاليون مشروع إقامة مركز تجاري م في آسفي قبل شهر غشت ١٤٨١م، لم يكن من الضروري بالنسبة لهم طلب موافقة ملك مراكش، فقد أمست كل مدينة وكل قبيلة جنوب أم الربيع مستقلة بنفسها. انظر: بوشرب أحمد، **دكالة والإستعمار...**، المرجع السابق، ص. ١٧٣. De Cénival, P., **op.cit.**, p.٢٥٢.

54- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., inscription n°112, p.115.

55- De Cénival, P., **op.cit.**, p.251.

56- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., inscription n°113, p.116.

57- De Cénival, P., **op.cit.**, p.253.

٥٨- بوشرب أحمد، **دكالة والإستعمار...**، المرجع السابق، صص. ٣٨٠-٢١٨.

٥٩- بوشرب أحمد، **المرجع السابق**، ص. ٢٣٢.

De Góis, D., **Les portugais au Maroc de 1495 à 1521, extraits de la «Chronique du roi D. Manuel de Portugal»**, traduction française avec introduction et commentaires par Robert Ricard, publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Tome XXXI, Editions Félix Moncho, Rabat, 1937, pp.143-147.

Deverdun, G., **Marrakech des origines à 1912**. Rabat, Editions Techniques Nord-africaines, 1959, tome 1, pp.328-330.

٦٠- بوشرب أحمد، **دكالة والاستعمار...**، المرجع السابق، ص. ٣٨٨.

61- De Cénival, P., **op.cit.**, p.254.

٦٢- كان موضع أفوغال في العهد السعدي محدودًا من تراب حاحا، وصار اليوم جزءا من تراب الشياظمة في أرض فرقة أيت دْرَامنهم وذلك على مقربة من قرية تانكرت المعروفة على مسافة خمسة وثلاثين كلم من مدينة الصويرة. انظر: التوفيق أحمد، **"أفوغال"**، معلمة المغرب، الرباط، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، الجزء الثاني، ص. ٥٦٦.

٦٣- الإفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار**

ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م. صص. ٥٣-٥١.

64- Marçais, G., **L'Architecture Musulmane...**, op.cit., p.386.

٦٥-محمد القبلي (إشراف وتقديم)، **كرونولوجيا تاريخ المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين**، الرباط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ٢٠١٢م. ص. ٧٩.

٦٦-بوشنتوف لطفي، **العلم والسلطان؛ دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية: العهد السعدي الأول**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الحسن الثاني عين الشق – الدار البيضاء، سلسلة أطروحات ورسائل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م. ص.١٣١، الإحالة رقم ٢. ملين محمد نبيل، **السلطان الشريف؛ الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب**، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، ٢٠١٣م. ص. ٢٧.

٦٧-بوشنتوف لطفي، **المرجع السابق**، ص.١٣١، الإحالة رقم ٢.

Deverdun, G., **Marrakech des origines...**, op.cit., tome I, p.351.

68- Aït Oumghar, S., **Notice sur Qobour el-Achrâf (Les tombeaux des chérifs) dans le complexe de Sidi ben Soliman el-Jazouli à Marrakech**, publication de la Maison de la photographie de Marrakech, Série les éditions limitées, 2015, p.6.

٦٩-**سورة البقرة**، الآية ٢٥٥.

٧٠-الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، ص. ٥٢.

٧١-ابن المؤقت، محمد بن محمد المسفيوي المراكشي، **المصدر السابق**، الجزء الثاني، ص. 333.

72- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., p.68.

٧٣-ابن المؤقت، محمد بن محمد المسفيوي المراكشي، **المصدر السابق**، الجزء الثاني، ص. ٣٣٤.

74- De Castries, H., **Les sept patrons de Marrakech**, in Hespéris, 1924, T. IV, 3e trimestre, pp.295-296.

75- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., p.68.

٧٦-أبناء السلطان السعدي أحمد الأعرج، من الذكور هم: زيدان، الناصر، بوحسون، أحمد، سعيد، باحماد. انظر:

Rabino, H.-L., **Contribution à l'histoire des Saadiens**, in Archives Berbères, volume 4, fascicule 1-2, 1919-1920, p.12.

ذكر بيير دوسينيفال أن زيدان ابن أحمد الأعرج، توفي رفقة أخيه الناصر سنة ١٥٥٤م، بأمر من عمهما محمد الشيخ. أما الإفراني فقد نقل عن كتاب "زهرة الشماريخ في علم التاريخ" لعبد الرحمن الفاسي، خبر وفاة زيدان سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م. وكلا التاريخين يؤكدان أن بعض أبناء أحمد الأعرج قضوا قبل مقتل والدهم سنة ١٥٥٧م. انظر: الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، ص.٦١

De Castries, H., **Généalogie des princes de la dynastie Saadienne**, in Sources inédites d e l'histoire du Maroc, première série: Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques de France, Bibliographie et index général, publication de la Section Historique du Maroc, Paris, Paul Geuthner, 1926. (Pl. III, Hors texte)

٧٧- الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، صص. ٦٠-٥٩.

٧٨- أخبار من عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية، **كتاب التواريخ**، ترجمة عن العبرية عبد العزيز شهبر، تطوان، منشورات جمعية تطاون أسمير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م. ص.١١.

79- Le Tourneau, R., **Histoire de la dynastie sa'dide. Extrait de al-Turguman al-mu'rib 'an duwal al-Masriq wal Magrib d'Abû al**

Qâsim ben Ahmad ben 'Ali ben Ibrahim al-Zayyânî. Texte, traduction et notes présentés par L.Mougin et H.Hamburger, in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°23, 1977, p.18.

80- De Castries, H., **Les sept patrons...,** op.cit., p.295. ; Deverdun, G., **Inscriptions arabes...,** op.cit., inscription n°77, pp.68-69.

٨١-هذا هو التاريخ الذي تقدمه اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش. انظر:

Deverdun, G., **Inscriptions arabes...,** op.cit., inscription n°85, p.83. ; Rousseau, G., Arin, F., **Le mausolée des Princes Sa'diens à Marrakech,** Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1925, inscription n°26, pp.32-33.

٨٢-الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، ص.٩٥. محمد القبلي (إشراف وتقديم)، **كرونولوجيا تاريخ المغرب...**، المرجع السابق، ص.٨١.

83- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...,** op.cit., p.70.

نسجل هاهنا، تعارضًا بين الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر أحمد الأعرج، والكتابة العربية المنقوشة على اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش، فالأولى تذكر أن يوم السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة أربعة وستين وتسعمائة كان يوم خميس، في حين تذكر الثانية أنه كان يوم أربعاء.

٨٤-قدّم المؤرخ المجهول تاريخا مُخالفا لمقتل محمد الشيخ، فقد ذكر أنه قتل "عام ثلاثة وستين وتسعمائة بحال تقريب"، وهو تاريخ بعيد جدا عن تاريخ مقتل أحمد الأعرج، ولهذا السبب نستبعده. انظر: مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، منشورات عيون المقالات، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. ص.٣٣.

٨٥- الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، ص.٦٠.

٨٦-أخطأ المؤرخ ابراهيم حركات في تحديد مكان دفن الأعرج وأبنائه، فقد ذكر أنهم دفنوا جميعًا في ضريح السعديين بمراكش. انظر: حركات ابراهيم، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٨٧م. ص.٥٦.

87- Rhanaoui, M., **Les zawiyas de Marrakech, recherches historiques et archéologiques,** Thèse de Doctorat, Université Paris I-Panthéon-Sorbonne, U.F.R Art et Archéologie, 1999, volume I, pp.173-177. (Inédite.)

٨٨- المكناسي أحمد ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣، القسم الأول، ص.٢١٢. الكنساني أحمد بزيد، **تاريخ تارودانت في العصر الحديث، عهد الدولة السعدية**، -٢-، تارودانت، منشورات منتدى الأدب، رقم ٢، ٢٠٠٦، ص.٥٥. و"أكلاكل" حصن من حُصُون حاحا، حدَّد بيير دوسينيفال موقعه بمنطقة تمسيرة، على الطريق الرابطة بين مراكش وتارودانت. انظر: بوشرب أحمد، "**أكلاكل**"، معلمة المغرب، الرباط، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م. الجزء الثاني، ص.٦١٧.

٨٩- الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، صص.٩٥-٩٤. أنظر كذلك حول هذه الواقعة: دي طوريس دييغو، **تاريخ الشرفاء**، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، ١٩٨٨م. صص.٢٢١-٢٢٠.

90- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...,** op.cit., inscription n°85, p.83.; Rousseau, G., Arin, F., **Le mausolée des Princes...,** op.cit., inscription n°26, pp.32-33.

٩١-المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م. ص.١٥١.

٩٢-الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، ص.٩٨.
أما المؤرخ المجهول، فقد أرّخ البيعة التامة لعبد الله الغالب بالله بسنة ٩٥٣ هـ (قبل وفاة محمد الشيخ)، وهو خطأ بيّن، ولما أراد المُحقق عبد الرحيم بنحادة تصويب السنة المذكورة في النص، قال أن سنة البيعة هي ٩٦٣ هـ، متناسيًا بدوره تاريخ وفاة محمد الشيخ، وهو سنة ٩٦٤ هـ، واستحالة عقد البيعة لعبد الله الغالب قبل وفاة والده؛ لأن النصوص التاريخية لم تتحدث عن شيء كهذا. انظر: مجهول، **تاريخ الدولة...**، المصدر السابق، ص.٣٥ والإحالة رقم ٥٠ بنفس الصفحة.

93- Deverdun, G., **Marrakech des origines...**, op.cit., tome I, p.404.

94- Ibid., tome I, pp.404-405.

95- Deverdun, G., **Inscriptions arabes...**, op.cit., p.86.

٩٦-ابن القاضي أحمد، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق محمد رزوق، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، الجزء الأول، صص.٥٢٠-٥١٩.

97- Deverdun G., Inscriptions arabes..., op.cit., inscription n°123, pp.125-126. ; Rousseau, G., Arin, F., Le mausolée , des Princes..., op.cit., inscription n°41, p.53.

٩٨-المقري أحمد بن محمد، **روضة الآس...**، المصدر السابق، ص.١٥٠.

٩٩-المصدر نفسه، ص.١٥٠.

١٠٠- ابن القاضي أحمد، **المنتقى المقصور...**، المصدر السابق، الجزء الأول، صص.٣٩٠-٣٨٩.

١٠١- الإفراني محمد الصغير، **المصدر السابق**، صص.٩٦-٩٥.

102- Deverdun, G., Inscriptions arabes..., op.cit., p.127.

١٠٣- وردت في المصادر الإخبارية هكذا، لا على شكل "والتاريخ".

١٠٤- المريني نجاة (جمع وتحقيق ودراسة)، **شعر عبد العزيز الفشتالي**، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص.٢٩٦، الإحالة رقم ٩.

المصــادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

- "**أفوغال**"، التوفيق أحمد، معلمة المغرب، الرباط، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، الجزء الثاني، ص.٥٦٦.
- "**أكلاكل**"، بوشرب أحمد، معلمة المغرب، الرباط، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، الجزء الثاني، ص.٦١٧.
- "**المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين**"، التريكي حامد، ضمن أعمال ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي (أشغال الملتقى الأول لمركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، ١٩٨٨م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، ومركز الدراسات والأبحاث حول مراكش وجمعية الأطلس الكبير، مراكش، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، صص.١٦٩-١٥٥.
- "**معمار مراكش في عصري المرابطين والموحدين من خلال النصوص الأثرية الواردة في المصادر المكتوبة**"، بوتشيش إبراهيم القادري، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص.١٢٤-١١٦.
- "**وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من مسلك الأبصار في ممالك الأمصار**"، العمري أحمد بن يحيى بن فضل الله، ورد لدى المنوني محمد، **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٠، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص.٥٦٩-٥٤١.
- **إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال**، التعارجي عباس بن ابراهيم، دراسة وتحقيق إدريس الشرواطي، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٣م.
- **إفريقيا**، كربخال مارمول، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، منشورات الجمعية المغربية

للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (قسم الموحدين)، ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد ابن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة،منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر بالرباط، بيروت، دار الغرب الإسلامي - الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، مجهول، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، منشورات عيون المقالات، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تحقيق وتعليق محمد ماضور، سلسلة من تراثنا الإسلامي، رقم ٢، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م.
- **تاريخ الشرفاء**، دي طوريس دييغو، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس، ١٩٨٨م.
- **تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**، عثمان إسماعيل عثمان، الرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، القبلي محمد (إشراف وتقديم)، الرباط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. ٢٠١١م.
- **تاريخ تارودانت في العصر الحديث، عهد الدولة السعدية**، -٢-، الكنساني أحمد بزيد، تارودانت، منشورات منتدى الأدب، رقم ٢، ٢٠٠٦م.
- **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، المكناسي أحمد ابن القاضي الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣م.
- **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، المشرفي محمد بن محمد ابن مصطفى، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مجهول، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- **دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى**، عثمان إسماعيل عثمان، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٧م.
- **دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور (قبل ٢٨ غشت ١٤٨١ – أكتوبر ١٥٤١)**، بوشرب أحمد، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م.
- **دولة بني وطّاس (١٤٢٠-١٥٥٤)**، كور أوغست، ترجمة محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم ١٢، ٢٠١٠م.
- **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ٥١٨-٦٦٨هـ/ ١١٢٥-١٢٧٠م**، أسكان الحسين، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الدراسات والأطروحات، رقم: ٤، ٢٠١٠م.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، سلسلة المكتبة الأندلسية: ١١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، السفر الثامن، القسم الأول، تقديم وتحقيق وتعليق محمد ابن شريفة، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري المراكشي، السفر السادس، حققه وعلق عليه إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، سلسلة التراجم الأندلسية: ٩، تونس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- **رسائل موحدية؛ مجموعة جديدة**، عزاوي أحمد (تحقيق ودراسة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم ٢، ١٩٩٥م.
- **رقم الحلل في نظم الدول**، ابن الخطيب لسان الدين، تونس، المطبعة العمومية، ١٣١٦.

تاريخ مقابر الأشراف السعديين بمدينة مراكش من العهد الموحدي إلى سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧م

- **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، المقري أحمد ابن محمد، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- **روضة النسرين في دولة بني مرين**، ابن الأحمر إسماعيل، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م، ص. ٣٥.
- **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، ابن الموقت محمد بن محمد المسفيوي المراكشي، تقديم وتحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- **السلطان الشريف؛ الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب**، ملين محمد نبيل، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، ٢٠١٣م.
- **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، حركات ابراهيم، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٨٧م.
- **شالة**، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ١٩٧٧م.
- **شعر عبد العزيز الفشتالي**، المريني نجاة (جمع وتحقيق ودراسة)، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- **العالم والسلطان؛ دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية: العهد السعدي الأول**، بوشنتوف لطفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الحسن الثاني عين الشق – الدار البيضاء، سلسلة أطروحات ورسائل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الناصري أحمد بن خالد، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، الرباط، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١م.
- **كتاب التواريخ**، أخبار من عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية، ترجمه عن العبرية عبد العزيز شهبر، تطوان، منشورات جمعية تطاون أسمير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ابن خلدون عبد الرحمن، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- **كرونولوجيا تاريخ المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين**، محمد القبلي (إشراف وتقديم)، الرباط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ٢٠١٢م.
- **مراكش خلال عصر الموحدين: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية**، كاظم المباح مشتاق، دمشق، دار صفحات للنشر والتوزيع – بغداد، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.
- **مراكش زمن حكم الموحدين: جوانب من تاريخ المجال والإنسان**، رابطة الدين محمد، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٨م.
- **مساجد مراكش من التأسيس إلى العهد العلوي**، متفكر أحمد، سلسلة مراكشيات، مراكش، منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
- **المصطلحات المعمارية المدنية**، بيلول جمال، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م.
- **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، البيدق أبو بكر بن علي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م.
- **ملعبة الكفيف الزرهوني**، الزرهوني الكفيف، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بن شريفة، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٨٧م.
- **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، ابن القاضي أحمد، دراسة وتحقيق محمد رزوق، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٦.
- **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، الإفراني محمد الصغير، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، المراكشي ابن القطان، دَرَسَه وقدَّم له وحَقَّقه الدكتور

محمود علي مكي، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١١م.
- **وصف إفريقيا**، الوزان الحسن بن محمد، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية

- **Chella ; une nécropole mérinide**, Basset, H., Lévi-Provençal, E., Paris, Emile Larose éditeur, 1923.
- **Contribution à l'histoire des Saadiens**, Rabino, H.-L., in Archives Berbères, volume 4, fascicule 1-2, 1919-1920, pp.1-26.
- **Généalogie des princes de la dynastie Saadienne**, De Castries, H., in Sources inédites de l'histoire du Maroc, première série : Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques de France, Bibliographie et index général, publication de la Section Historique du Maroc, Paris, Paul Geuthner, 1926. (Pl. III, Hors texte)
- **Histoire de la dynastie sa'dide. Extrait de al-Turguman al-mu'rib 'an duwal al-Masriq wal Magrib d'Abû al Qâsim ben Ahmad ben 'Ali ben Ibrahim al-Zayyânî. Texte, traduction et notes présentés par L.Mougin et H.Hamburger**, Le Tourneau, R., in Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°23, 1977, pp.7-109.
- **Inscriptions arabes de Marrakech**, Deverdun, G., Publication de l'Université Mohammed V- Agdal, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat ; et l'université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Marrakech, série Les Trésors de la Bibliothèque, N° 10, 1re édition, 2011 (Réédition du texte publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines en 1956).
- **L'Architecture Musulmane d'Occident**, Marçais, G., Paris, Arts et Métiers graphiques, 1954.
- **l'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger 1509-1830**, Cour, A., Paris, Ernest Leroux, éditeur, 1904.
- **La Berbérie orientale sous les Hafsides: des origines à la fin du XVe siècle**, Brunschvig, R., publications de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger, VIII, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien-Maisonneuve, 1940.
- **Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle ;Tableau géographique d'après Léon l'Africain**, Massignon, L., Mémoires de la Société Historique Algérienne, I, Alger, Typographie Adolphe Jourdan, 1906.
- **Le Maroc médiéval, Un empire de l'Afrique à l'Espagne**, Lintz, Y., Déléry, C., Leonetti, B. T., (sous la direction), Paris, Louvre édition, Hazan, 2014.
- **Le mausolée des Princes Sa'diens à Marrakech**, Rousseau, G., Arin, F., Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1925.
- **Les émirs des Hintata - rois de Marrakech** -, De Cénival, P., in Hespéris, t. XXIV, 4e trimestre, 1937, pp.245-257.
- **Les portugais au Maroc de 1495 à 1521, extraits de la «Chronique du roi D. Manuel de Portugal»**, De Góis, D., traduction française avec introduction et commentaires par Robert Ricard, publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Tome XXXI, Editions Félix Moncho, Rabat, 1937.
- **Les sept patrons de Marrakech**, De Castries, H., in Hespéris, 1924, T. IV, 3e trimestre, pp.245-304.
- **Les zawiyas de Marrakech, recherches historiques et archéologiques**, Rhanaoui, M., Thèse de Doctorat, Université Paris I-Panthéon-Sorbonne, U.F.R Art et Archéologie, 1999, (Inédite.)
- **Marrakech des origines à 1912**. Deverdun, G., Rabat, Editions Techniques Nord-africaines, 1959.
- **Marrakush**, De Cenival, P., in Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, E.J. Brill – Paris, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., 1991, tome VI, pp.573-582.
- **Notice sur Qobour el-Achrâf (Les tombeaux des chérifs) dans le complexe de Sidi ben Soliman el-Jazouli à Marrakech**, Aït Oumghar, S., publication de la Maison de la photographie de Marrakech, Série les éditions limitées, 2015.

أبو القاسم الزهراوي
(٣٢٥هـ=٩٣٦م / ٤٠٤هـ=١٠١٣م)
أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

د. شريف الأنصاري
مكتبة الإسكندرية - مصر

اسمه:

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، ولد سنة ٣٢٥هـ=٩٣٦م في الزَّهراء[١]، وإليها يرجع نسبه، طبيب جرائحي، عالم بالأدوية وتراكيبها؛ أي عالم بالأدوية المفردة والمركبة منها، نشأ في قرطبة ودرس الطب على علمائها، وبرع فيه حتى أصبح طبيب الحكم الثاني، الذي كان عصره يزدهي بألق حضاري يشع من جامعة قرطبة ومن مكتبتها التي ازدانت بنحو (٤٠٠) ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون والآداب، توفي- رحمه الله- بالأندلس سنة ٤٠٤هـ=١٠١٣م.

منجزاته وإبداعاته في مجال الطب والصيدلة:

للزهراوي العديد من الإنجازات المهمة التي تثبت مدى تفوقه على جميع من سبقوه، وبخاصة في مجال الجراحة، نذكر منها- على سبيل المثال لا الحصر- أنه يعدُّ مؤسس علم الجراحة عند العرب والمسلمين، ويعدُّ كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف بمثابة موسوعةٍ علمية في ذلك.

ومن مؤلفاته:

التصريف لمن عجز عن التأليف.

مقالة في العمل باليد[٢].

كتاب الفلاحة.

والمؤلَّف الأخير هو موضوع بحثنا هنا.

وصف نسخة المخطوط:

نسخة جيدة، كُتِبَتْ بخط مغربي مقروء وواضح، ضمن مجموع، ورد بأولها فهرس لمخطوطات المجموع، وقد عنونه الناسخ: كتاب ما يعرف به الأرض الجيدة، كُتِبَتْ العناوين والفواصل بمداد مختلف، بأولها تملك باسم الشيخ الفقون الحسن بن محمد، تقع النسخة في ستة وعشرين ورقة من الحجم المتوسط

(الورقة صفحتان)، تحتوى كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطرًا، ويحتوي كلُّ سطر على اثنتي عشرة كلمة تقريبًا، إلا أن هذه النسخة تنقص الورقة الرابعة والعشرين. وقد وردت بعض العناوين في الهامش الجانبي، كما أنَّ بها آثار رطوبة، كما أورد الناسخ اسم المؤلف وعنوان المخطوطة في نهايتها بقوله:

(كمل كتاب الفلاحة للشيخ أبي القاسم بن عباس الزهراوي، عفا الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وصحبه).

أهمية نسخة المخطوط:

(١) تكشف المخطوطة عن جانب مهم من جوانب علم أبي القاسم الزهراوي؛ فعلى الرغم من كونه طبيبًا بارعًا، وعالمًا مشهورًا، إلا أنه لم تكتب عنه كلمة واحدة على أنه عالم في مجال الزراعة حتى جاءت هذه المخطوطة لتكشف اللثام عن هذا الجانب المخفي عنَّا.

(٢) تعدُّ المخطوطة بمثابة نسخة وحيدة فريدة في العالم- على حد علم الباحث- اللهم إلا بعض الإشارات عن مختصر في الفلاحة في المكتبة الوطنية الفرنسية، وبمراسلة المكتبة لم تفد بوجود هذا العنوان ولا رقم المخطوط ضمن مقتنيات المكتبة، وقد تم التأكد من ذلك بمراجعة فهرس المكتبة، ومن ثم تأكد لدينا بأن هذه النسخة هي نسخة وحيدة فريدة في العالم، ما لم يتم الكشف عن نسخ أخرى في مكتبات أخرى.

(٣) أمدتنا مخطوطة كتاب الفلاحة للزهراوي بالكثير من المعلومات عن مؤلفات في علم الزراعة وأسماء أصحابها، تلك المؤلفات التي لم تصل إلينا ولم نعلم عنها شيئًا ولا عن مؤلفيها، ومن هذه المؤلفات:

(أ) كتاب الفلاحة لمؤلفه انطليوس، وهو أحد علماء الإغريق.

(ب) كتاب نوع الماء لمؤلفه فليون الفريطي.

(ج) شرح كتاب نوع الماء، لفليون الفريطي، لشارحه يعقوب بن إسحاق الكندي.

(د) كتاب فراسة الحمام وتخيرها لمؤلفه أقليمون.

(٤) تعدُّ مخطوطة كتاب الفلاحة بمثابة موسوعة علمية كاملة في علم الفلاحة والزراعة؛ فنجد الزهراوي لم يترك شيئًا يخص الفلاحة وعلم النبات إلا وتحدث عنه؛ مثل اختيار نوع الأرض، والبذور، ووقت الزراعة، وكيفية تهيئة الأرض للزراعة، وكذلك نوع الأسمدة، والمياه، وكيفية حفظ الزروع، والأندرة وكيفية بنائها، والبساتين إلى غير ذلك مما يخص علم الفلاحة والنبات.

ويظهر ذلك واضحًا جليًا من خلال العناوين التي أوردها المؤلف في مخطوطة كتاب الفلاحة:

العناوين الواردة في المخطوطة[٣]:

١) كتاب ما يعرف به الأرض الجيدة.

٢) ما يعرف به قرب الماء من بعيده وحلوه من مره.

٣) معرفة الموضع المتخير للبناء.

٤) [أفضل مواضع البناء].

٥) تخيُّر الأكرة.

٦) تخيُّر الزبول.

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

٧) تخيُّر البذر.

٨) معرفة ما ينفع الزرع ويكثره ويدفع عنه الآفات.

٩) تخيُّر الوقت للزراعة وقلب الأرض.

١٠) زراعة العدس، الحمص، الباقِلاء، الترمس.

١١) الحصاد.

١٢) الأنادر[٤].

١٣) بيوت الأهراء[٥].

١٤) ما يحفظ الطعام من الفساد.

١٥) صنعة الخمير بلا خمر.

١٦) تخيُّر المواضع لنصب الكروم.

١٧) تخيُّر الزرجون[٦] للغرس.

١٨) كيفية الغرس.

١٩) العرائش.

٢٠) في الكساح.

٢١) [تحلية الكروم] .

٢٢) طرد الدود والهوام من الكروم والشجر.

٢٣) لطرد الدود، الجراد.

٢٤) الجفان[٧] التي تهيئ ثمرها.

٢٥) تركيب الدَّوالي[٨].

٢٦) التطعيم.

٢٧) الحيلة في أن يكون في عناقيد الجفنة أسود وأبيض وأحمر.

٢٨) الحيلة في أن يكون في العنقود بين كل حبتين ورقة.

٢٩) الحيلة في أن تكون عناقيد الدالية عنب وأسفلها حب ريحان.

٣٠) تركيب العنب في التفاح.

٣١) من أحب عنبًا بلا نواة.

٣٢) صفة جفنة يكون عنبها ترياقيًّا.

٣٣) وإن أردت أن يكون ريح العنب ريح الآس.

٣٤) كيف تطعم الدالية سريعًا.

٣٥) تزبيل[٩] الكروم.

٣٦) ما يحفظ للعنب ويبقّيه طريًّا.

٣٧) صنعة الزبيب، صنعة زبيب لا ييبس، صنعت زبيب أزرق.

٣٨) أفضل الأماكن لنشر الزبيب.

٣٩) معرفة ما يغرس من نواه وبزره.

٤٠) ما يغرس من قضبانه.

٤١) اتخاذ البساتين.

٤٢) تحويل الشجر.

٤٣) غرس التين، نشر التين.

٤٤) كيف يخرج الشجر أسود وأبيض.

٤٥) غرس التفاح، الرمان.

٤٦) نصب اللوز، الجوز، البندق، الصنوبر، الشاه بلوط الفستق، الكمثرى، الأُترج، السفرجل، الخوخ، الإجاص، النخل، التوت، القراصيا، العناب.

٤٧) معرفة أنشاب الشجر وهو التطعيم، ويسمى التركيب أيضًا.

٤٨) التين، التفاح، الكمثرى، السفرجل،

الإجاص، الأترج، اللوز، الخوخ.

٤٩) حفظ جميع الفواكه؛ الأترج، اللوز، التين، الرُّمان.

٥٠) ما يصلح جميع الشجر من كل ما يضر به.

٥١) علاج الشجر من الدود.

٥٢) الحيلة في أن يبقى العصير حلوًا.

٥٣) إخراج الماء من الشراب.

٥٤) تصفية النبيذ سريعًا.

٥٥) تحصين الكروم والبساتين.

٥٦) إصلاح الخل، صفة خل، ومما يحفظ الخل فلا يفسد ولا ينتن.

٥٧) [كيفية معرفة الخل الممزوج] .

٥٨) [ما يذهب حموضة الخل].

٥٩) نصب الزيتون، لقط الزيتون.

٦٠) تصفية الزيت العكر، إصلاح الزيت حتى يصير مثل الأنفاق، إصلاح الزيتون للأكل.

٦١) زيتون مخلل.

٦٢) إصلاح الأرض للبقول.

٦٣) أنفع الزبول للبقول.

٦٤) الكرنب، الخشاش، الخس، السلق، الفجل واللفت، البصل، الكراث، الثوم، الشُّذاب[١٠]، الكرفس.

٦٥) غرس الرياحين والأحباق[١١]؛ السَّوْسَن[١٢]، الورد، القثاء والقرع، القصب.

٦٦) قطع العليق وجميع الشوك.

٦٧) ما ينبغي أن يصنع في كلِّ شهر ولا يؤخر إلى غيره؛ فبراير وهو سباط، مارس وهو آدار، أبريل وهو نيسان، مايه، يونيه وهو حزيران، يوليه وهو تموز، أغشت هو آب، شتنبر هو أيلول، أكتوبر هو تشرين الأول، نونبر هو تشرين الآخر، دجنبر هو كانون الأول.

٦٨) [علاج النحل والحمام والدجاج والطواويس وما شابهها] .

٦٩) النحل، [مادة صنع الخلايا]، [نقل خلايا النحل]، [لزيادة عمل النحل]، الحمام.

٧٠) وقال أقليمون في كتابه في فراسة الحمام وتخيرها.

٧١) [علاج القمل]، [علاج انقطاع البيض]، [للإكثار من فراخ الحمام].

٧٢) الدجاج، [حفظ البيض من الفساد]، الأوز، الطواويس، الحجل، الكراكي، [قتل الطير]، [نتف ريش الطير]، قتل السباع، [قتل الخنازير].

٧٣) طرد الفأر وقتله.

٧٤) لطرد الحيات، لطرد العقارب، البراغيث، النمل، البق، الذباب، البعوض.

والمدقق النظر في العناوين السابقة يتبين منهجية العرض في ما ذكره الزهراوي من معلومات وآراء علمية، وسوف نشمله بشيء من التوضيح فيما يأتي:

منهجية العرض:

١) تحدّث الزهراوي أولًا عن نوعية الأرض وكيفية اختبارها.

٢) ثم شرع في التحدث عن الماء، إذ لا حياة لإنسان أو حيوان أو نبات بدونه.

٣) ثم تحدّث بعد ذلك عن الموضع المتخير للبناء، مبتدأً بالوقت الذي يشرع الفلّاح في بناء مسكنه، وقد قرن بين الوقت الذي يبدأ في وضع أساس البناء فيه وأوجه القمر، ثم تحدّث عن مكان البناء ووضع مميزات وشروط اختيار المكان؛ حتى يكون صحيًّا قدر الإمكان.

٤) تحدث الزهراوي بعد ذلك عن اختيار الأكرة[١٣]، وذكر مواصفات هؤلاء الأشخاص، وعلل سبب ذلك الاختيار.

٥) ثم يتحدث الزهراوي عن اختيار الزبول؛ وهي فضلات إخراج الطيور وغيرها مما شابه ذلك ويستخدم في تسميد الأراضي الزراعية.

٦) ثم يتحدث عن البذور واختيار أجودها.

٧) ويمضي الزهراوي في ذكر باقي العناوين؛ فيذكر بعد ذلك معرفة ما ينفع الزرع، ويكثره، ويدفع عنه الآفات إلى غير ذلك من المعلومات والآراء العلمية التي تذخر بها مخطوطته.

النصائح والآراء العلمية التي أوردها المؤلف في المخطوط:

أولا: مسألة بناء المنازل في القرى:

ذكر الزهراوي أنّ أفضل مواضع البناء ما يأتي:

١) مواضع البناء المشرف من الأرض كالتل ونحوه. وذكر سبب ذلك معللا؛ لِئَلا يقلعها المياه، ولا يظهر في الندى، وليشرف سكانها منها على أراضي القرية وزروعها وبساتينها.

٢) وليكن -إن أمكن- على شاطئ نهر مستقبل ريح الصبا والمشرق؛ حتى تدخلها الشمس من أبوابها.

٣) وذكر أيضًا أن الكواء التي فيها رياح المشرق أصح من رياح المغرب؛ وعلل سبب ذلك، لسخانة الشمس وحرارتها تنفي عن أهلها الأسقام من الهواء، وغلظه، ويبوسته، والثقل الذي يصيب الناس في أبدانهم.

٤) ولا تجعل البيوت ضيقة ولا قصيرة السُمك مغمومة، ولكن طويلة الأبواب؛ لتخرقها الرياح؛ فإنّ ذلك أخف للأبدان وأنقى للأسقام.

ثانيًا: تخير الأكرة:

وضع الزهراوي شرطًا لاختيار الأكرة، وذكر سبب ذلك الاختيار فيما يأتي:

ينبغي أن يُختار من الفلاحين الشباب؛ وعلل سبب ذلك:

١) أنّ الشباب أقوى على إحناء الظهر والأكتاف.

٢) المداومة على العمل من ذوي الأسقان.

٣) الشباب أطوع، وأصح أبدانًا، وأدوم نشاطًا، وأصبر على العمل في الحر والبرد، وأحدُّ أبصارًا وأثبت نظرًا، مما يكل عنه أبصار الشيوخ من معالم حدود الأرضين وما درس منها.

كما وضح الزهراوي أهمية تقسيم الفلاحين أثناء العمل:

إذا كان الفلاحون كثيرين ينبغي ألا يعملوا جميعًا في موضع واحد؛ لأنه إذا اجتمعوا كَثُرَ

حديثهم وأشار بعضهم على بعض بالمكر والخبث في العمل.

وليكونوا على نحوٍ من ستة إلى عشرة لا زيادة ولا نقصان، وليكن عليهم بالسوية.

أما من يعملون بالفؤوس فقسمهم الزهراوي اثنين اثنين؛ وذكر سبب تقسيمهم على هذا النحو؛ ليعمل الكسلان منهم على عمل النشيط الراتب، وليستخن بعضهم بعضًا.

ووضع على كلِّ مجموعة رئيسًا وجعل له عطاءً زائدًا على اعتبار أنه مكلف بمراقبة هؤلاء العمال الآخرين فيذكر : "ووكل بعضهم ببعض ممن تثق به، واجعل له على ذلك شيئًا"[14].

ووضع صفاتٍ جسدية لبعض الأعمال التي تتطلب القوة وعظيم الجهد؛ مثل الذي يحفر بالمرنقير[15] فلا بد أن يكون شخصًا طويلًا، عريضًا، قويًّا جسيمًا؛ وعلل سبب ذلك بقوله:

(١) إنَّ الطويل يتحامل على المرنقير فيصيبه في الأرض.

(٢) وهو أجود ظرفًا به.

(٣) العامل القصير لا يقدر على ذلك.

ثالثًا: أفضل أنواع الزبول:

ذكر الزهراوي أنَّ أفضل الزبول زبل الحمام، وكلُّ سرجين الطير جيد ما عدا طير الماء كالبط والأوز؛ وأوضح سبب ذلك بأنها رديئة تحرق الأرض وتهلك النبات.

وذكر أنَّ أجود الأرواث: روث الخيل، والبغال، والحمير، ثم زبل الضأن، والماعز، ثم أرواث البقر، وإذا كان الزبل مخلوطًا كان أحسن. كما حذر الزهراوي من زبل الخنازير بقوله: "وإياك وزبل الخنازير؛ فإنه يهلك كل ما دنا منه"[16].

وذكر الزهراوي طريقة تعتيق الزبول، بقوله:

"ينبغي أن يحفر حفرة عظيمة، ويطرح فيها من كل أنواع الزبول، ويجعل معه رماد التنانير، ويصب عليه الماء العذب وأبوال الناس ويعتَّق ويقلَّب مرارًا"[17].

ثم يذكر فائدة ذلك الزبل: أنه جيد للزيتون والثمار. وأورد إمكانية تخليط هذا الزبل بالتراب، بقوله: "وإن طرح على كل وقر من هذا الزبل ثلاثة أوقار من التراب وضرب صار الجميع زبلًا جيدًا، ويلقى منه على زبل الحمام لكل كيل عشرين كيلًا من التراب"[18]؛ ويترك هذا الزبل حولًا فيصير كله زبلًا طيبًا لحرث الأرض.

وحذر الزهراوي من استخدام الزبل الذي لم يأت عليه غير عام، وبيَّن سبب ذلك، بقوله: " ولا ينبغي أن تزبل الأرض بزبل لم يأت عليه غير عام واحد؛ فإنه لا ينفع كبير نفع، ولكنه يضر ويتولد منه دواب كثيرة"[19].

وأما زبل ثلاث سنين أو أربعة فذكر أنه: كثير الصلاح، والمنفعة، وكلما عُتِّق الزبل احترق كل شيء فيه، ولانت حرارته وشدته وحَسُن.

وذكر عواقب عدم تزبيل الأرض بقوله: "واعلم أنَّ الأرض إذا لم تزبل بردت"، وكذلك هناك مضرة على الأرض من كثرة الزبول بقوله: "وإن كثر زبلها فوق ما تحتاج إليه احترقت".

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

رابعًا: إصلاح الأرض للبقول:

يورد الزهراوي مجموعة من النصائح لإصلاح الأرض لزراعة البقول تبدأ بالتجريب؛ أي تجريب الأرض لاختبارها لزراعة البقول، ثم يذكر:

١) ينبغي للأرض التي تتخذ مبقلة[٢٠] أو مقثاة[٢١] أن تحمى وتقلب مرارًا.

٢) أن تنقّى من جميع النبت، والصخر صغيره وكبيره.

٣) أن تكون قريبة من الماء فتجنبه من القذر، وعن حيض النساء.

٤) ينبغي أن تكون السواقي أسفل من الأرض إلى أقصاها.

خامسًا: نصائح علمية عامة في علم الفلاحة:

أورد الزهراوي كثيرًا من النصائح العلمية الدالة على مقدرته الفذّة في علم الفلاحة، سواء كانت عمّن سبقوه من العلماء أو من فيض علمه هو، فيذكر:

"وقالوا: اهرب كل الهرب عن الأرض المنتنة والمالحة، والماء المالح والرمل المالح، وقالوا: إذا كان في الأرض حجار عظام فذلك رديء لها؛ لأنها تسخن في القيظ وتحرق بحرارتها أصول الشجر والبقول.

وفي الشتاء تبرد فتفسد النبات إذا كان قريبًا منها والصغار من الحجار أقل ضررًا، فانقل الحجارة من أرضك"[٢٢].

وفي أثناء حديثه عن اختيار الأكرة يورد الزهراوي كلامًا أشبه ما يكون ببحث في طبيعة النفس البشرية عن الأكرة؛ فيذكر:

"ينبغي أن يُختار من الفلاحين الشباب؛ فإن الشباب أقوى على إحناء الظهر والأكتاف والمداومة على العمل من ذوي الأسقان[٢٣]، والشبان أطوع، وأصح أبدانًا، وأدوم نشاطًا، وأصبر على العمل في الحر والبرد، وأحد أبصارًا وأثبت نظرًا، مما يكل عنه أبصار الشيوخ من معالم حدود الأرضين وما درس منها، وإذا كان الفلاحون كثيرين ينبغي ألا يعملوا جميعًا في موضع واحد؛ لأنه إذا اجتمعوا كَثُرَ حديثهم وأشار بعضهم على بعض بالمكر والخبث في العمل.

وليكونوا على نحو كثرة القوام عليهم، واقسمهم من عشرة إلى ستة لا زيادة ولا نقصان، وليكن عليهم بالسوية، والذين يعملون بالفوس اجعلهم اثنين اثنين ليعمل الكسلان منهم على عمل النشيط الراتب؛ وليستحن بعضهم بعضًا، ووكل بعضهم ببعض ممن تثق به واجعل له على ذلك شيئًا[٢٤]، وليكن الذي يحفر بالمرنقير طويلًا عريضًا قويًّا جسيمًا؛ لأن الطويل يتحامل على المرنقير فيصيبه في الأرض، وهو أجود ظرفًا به، والقصير لا يقدر على ذلك"[٢٥].

كما يذكر الزهراوي نصيحة في نهاية حديثه عن الزبول؛ فيقول:

" واعلم أنَّ الأرض إذا لم تزبل بردت، وإن كثر زبلها فوق ما تحتاج إليه احترقت، وتبن الفول والقمح والشعير إذ بدد أحدها في الأرض نفعها، وهو يصلح الأرض المالحة ويجليها ،ثم ترمي الزبل بعد ذلك فيها فتحسن الأرض"[٢٦].

ويختتم الزهراوي نصائحه بمجموعة من

النصائح المهمة تحت العنوان الآتي:

"ما ينبغي أن يصنع في كل شهر ولا يؤخر إلى غيره:

[١] يناير هو كانون الآخر:

فيه ينبغي أن يبدأ بكسح الكروم والدوالي؛ وذلك بعد ثلاث ساعات تخلو من النهار إلى ثلاث ساعات تبقى من آخره، ومن أراد أن يُطَعِّم شيئًا من الشجر في البلدان الحارة فليبدأ به في هذا الشهر، وليكن ذلك في البندق، والخوخ، واللوز، والخروب، وتغرس فيه أصناف الشجر كلها، ولا يقطع شيئًا منها إلا في يوم صاح لا تهب فيه ريح الدبور ولا الشمال، بمناجل حديد.

وفيه ينبغي أن يشمر أصول الشجر المثمر، ولا يلصق بأصولها. وفيه ينبغي أن يقطع خشب البناء حتى يكون القمر في غيبوبة الشمس؛ لأن الشجر في ذلك الوقت جاف قد أذهبت عنه الشمس ماءه، وإذا كان القمر تام الضوء فإنه يرخي الخشب؛ ولذلك يسرع السوس فيما قطع في ذلك الحين.

[٢] فبراير وهو سباط:

ينبغي أن ينقل فيه الغرس الذي أتى له سنتان، ولا ينقل غرسًا له سنة؛ لأنَّ أصولها رقيقة ضعيفة لا تعلق، وفيه ينبغي أن يغرس من أغصان الشجر من التفاح والآس، ويغرس فيه الكروم، والشجر كله والورد، والياسمين، والسوسن.

[٣] مارس وهو أدار:

فيه ينبغي أن يغرس من الشجر ما أضيف بعضه إلى بعض، ومن أراد أن ينصب في أرض باردة من مطعم الشجر وغيرها فلينصبه فيه قبل خروج ورقها، وإذا سقي فيه اللوز المر بأبوال الناس حلا. واقطع فيه فضول قضبان الكرم الذي أتى على غرسه سنتان أو ثلاثة باليد لا بالحديد؛ لأن الحديد يورثها وهنًا، ويُحلى فيه الكرم، وتحرث وتقلب ما يكون تحت الشجر وتنقي أصولها.

[٤] أبريل وهو نيسان:

يغرس فيه الزيتون، والرمان، والآس، وتكسح فيه سوق الزيتون.

[٥] مايه[٢٧]:

تنصب فيه سوق الزيتون، وينبغي أن يتعاهد فيه جميع أنواع التركيب بأن ينضح عليها الماء بالعشي، ويجب أن يسقى فيه الكرم سقيتين، وعند قطافه سقية.

[٦] يونيه وهو حزيران:

تقطف فيه فضول قضبان الغرس الذي أتى له سنة باليد لا بالحديد؛ لأنه يقوي أصله، وفيه يسقى الشجر ويقلل فيه سقي شجر التين دون غيره. وأنكس[٢٨] ما حول الصفصاف والقضبان فيه مرتين، وزرع النيل فيه موافق، وفيه تيبس الفاكهة.

[٧] يوليه وهو تموز:

كل أرض تشقق فاضمر شقوقها؛ لِئَلا يصل الحر إلى أصول الجفان والشجر. وفيه ينصب العليق في البساتين، تمشق فيه أصول الكرم مشقًا خفيفًا في أطراف النهار ساعتين من أوله، وساعتين من آخره، وغبار المشق ذلك الحين نافع للعنب يعظم منه حبه ويسرع إدراكه.

[٨] أغشت[٢٩] هو آب:

تمشق فيه أصول الزيتون، فإن غبار المشق

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

ذلك الحين يسرع بإدراكها، ويكون أجود لدهنها، وما غُرِس منه على قارعة الطريق فهو أحسن وأخلص مما نئى عليها؛ لما يصيبه من الغبار، وكل شجرة مثمرة قبل اسفنجة بماء واحملها على موضع التطعيم عند مغيب الشمس، وما لم ينضج من العنب فيه فاسقه بالغدوات؛ فإنه يسرع نضجه.

[٩] شتنبر[٣٠] هو أيلول:

فيه ينبغي أن يلقط الجوز؛ فإنه أطيب له، وينبغي أن يعلم كل جفنة ليست بمثمرة، وتعلم ما ترغب عرشه من جميع أنواع الشجر.

[١٠] أكتوبر هو تشرين الأول:

فينبغي أن تغطى فيه أصول الأترج في البلد البارد بورق القرع ورماده، وفيه يعمل زيت الأنفاق، وينصب الزيتون، والجوز، واللوز، والدردار، وما عصر في آخره من العنب فهو أحلى وأطيب مما عصر في أوله ووسطه.

[١١] نونبر[٣١] هو تشرين الآخر:

انصب فيه الكروم في الأرض الحارة، وليكن ذلك في أول الشهر إلى ثلاثة عشر ليلة تمضي من كانون الآخر، واحرث فيه الكروم وزبّلها، والكسح فيه يغلظ الزرجون[٣٢]، ويكثر فروع الجفان. والكساح في ما بعد ذلك أكثر، وألق زبل البقر عند أصول الشجر القليل الثمر.

[١٢] دجنبر[٣٣] هو كانون الأول:

انصب فيه الكروم في الأرض الباردة الرطبة إلى سباط واصنع فيه كل ما تصنع في نونبر، وتقطع فيه وفي نونبر خشب البناء عند استتارة القمر"[٣٤].

سادسًا: نصائح لزراعة البقول ونقلها بعد الحصاد:

١) إن خلط ببزر البقول حين تزرع شيء من نانخواه[٣٥]؛ سلمت تلك البقول من الدود والطير.

٢) متى أنقعت بزر البقل في ماء الكبر أو ماء الحنظل سلم بذلك من كل آفة وطائر، وإن خلطت ببزر البقول والكرسنة[٣٦] هلك براغيثها.

٣) إن أردت أن لا يؤذيها طائر ولا نمل، فاعصر حي العالم[٣٧] ولت بمائه ما أردت زرعه، أو أعصر أصل قثاء الحمار[٣٨] وتلت بمائه ما أردت زرعه؛ فإنــه إذا نبت لم يضر به شيء.

٤) ازرع جميع البقول بعد أربعة أيام تمض من الشهر إلى خمسة عشر يومًا، فإذا أخذ القمر في النقصان فلا تزرع منها شيئًا، وأفضل الشهور لزرعها تموز وآب، وما زرع بعدهما فهو متأخر، وتابع السقي عليها، وإذا أردت أن تثبت فقصر السقي عليها.

٥) ينبغي أن تنقل جميع البقول لثلاث ساعات بقين من آخر النهار ليستقبل بها رواح الليل؛ فلا تذبل.

٤) المنهـج فـي علـم الفلاحـة ومـدى تطبيق الزهراوي له في مخطوطته:

المنهج هو الطريق الذي يسلكه العالم أو الباحث في بحثه حتى يصل إلى النتائج المطلوبة، وقد استند العلماء العرب في دراساتهم لعلم الفلاحة إلى دقّة الملاحظة والمعاينة واستمرار المتابعة، هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على المنهج التجريبي. ولكن هل التزم الزهراوي بذلك المنهج

في مخطوطته كتاب الفلاحة أم انصرف عنه إلى غيره من المناهج؟

اعتمد الزهراوي في مخطوطته هذه على نفس المنهج الذي اعتمد عليه العلماء العرب في علم الفلاحة وهو المنهج التجريبي؛ ولتأكيد ذلك نورد نص كلام الزهراوي في العديد من المواضع من كتاب الفلاحة؛ فنجده يعول عليه في معرفة نوع التربة، فلقد ذكر الطرق التي كان يعول عليها الأقدمون في معرفة نوع التربة؛ فيقول:

" وكان الأولون يحفرون في الأرض قدر عمق ذراع ثم يأخذون من أسفل تلك الحفرة ترابًا ويجعلونه في إناء زجاج ويصبون عليه ماء المطر أو ماءً عذبًا صبب الريح، ويخضخضون ذلك التراب حسنًا، ثم يتركونه ويجفونه ويشمونه فإن كان منتن الريح فالأرض رديئة، وإن كان طيب الريح فالأرض طيبة، وإن كان مالح الطعم فالأرض مالحة، وإن كان عذبًا فالأرض عذبة جيدة، وعلى قدر الذوق والطعم شرف الأرض"[39].

وذكر الزهراوي في موضع آخر- معتمدًا على التجريب- معرفة نوع التربة وجيدها من رديئها؛ فيذكر:

"احفر حفرة قدر شبر في شبر واخرج ترابها وفتته واردد ذلك التراب في موضعه الذي حفرته فإن فضل[40] التراب عن الحفرة فالأرض جيدة، وإن امتلت الحفرة بترابها لم يزد ولم ينقص فالأرض وسط، وإن نقص التراب ولم تَمْتَلِ الحفرة فالأرض رقيقة رديئة"[41].

كما اعتمد الزهراوي على التأكيد على صحة آرائه العلمية بالتجريب؛ فيذكر في مسألة علاج الجفان التي تدمع:

"الجفان التي تدمع هي بمنزلة الإنسان الذي لا تطبخ معدته الطعام، خذ منجلًا حادًا فحز به من أسفلها، فإن لم ينفع ذلك فانظر إلى أغلظ عروق يكون فيها فاقطعه، وخذ ماء الزيتون واطبخه حتى يذهب نصفه واطل به موضع القطع، وانظر إلى العين التي في أصلها فاطلها بزرق العصافير فإنه مجرب"[42].

كذلك علاج تأخر كسح[43] الكرم بسبب الجليد؛ يقول:

"كل كرم يسرع إليه الجليد من قبل موضعه وتربيته ورياحه يؤخر كساحها لكيما يتأخر إخراجها فتخلص من الجليد، وازرع فيه الفول فيدفع عنها الجليد، ورماد الطرفاء ينثر فإنه مجرب"[44].

كذلك علاج الكرم من اليرقان[45]؛ يقول:

"إذا نزل اليرقان في كرم فخذ قرن ثور حي الناحية اليسرى وزبل بقرة فألقهما في نار ودخن به فإنه يذهب به كل جفنة تفسد، وتلقي ثمرها، ويبيض ورقها، وييبس ويتجفف ويصير مجففًا، اعجن له رمادًا بخل واطل به تلك الجفنة، وانضح ما حولها به، وجميع الجفان فإنه نافع مجرب"[46].

كما يورد الزهراوي- معتمدًا على التجريب- طريقة لمعرفة ما إذا كانت الأرض تصلح لزراعة البقول أم لا؛ فيقول:

"وإن أردت أن تجرب أرض البقل فخذ ترابها فانقعه في الماء ثم حركه فإن رأيت أعلاه ينسج عليه كالعكر فهي تصلح، وإن عجنته بيدك فلصق طينها بيدك كالشمع فهي تصلح"[47].

ولم يكتف الزهراوي بالاعتماد على التجريب في صحة ما ذهب إليه من آراء علمية، بل تعدى ذلك في إيراده لبعض التجارب لغيره من العلماء؛

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

فيذكر في مسألة نوع الماء الموجود في باطن الأرض وكميته واستدل على كلامه بتجربة أوردها فيلون؛ فيقول:

" فإن أردت أن تعلم طعم ماء ذلك المكان الذي وجدت فيه هذه الأعشاب أو أحدها، فاصنع نصف كرة جوف من نحاس أو رصاص أو خزف أي ذلك تهيأ لك، غير أنها إذا كانت من خزف فتطلي داخلها من الشمع المذاب أو الزفت وليكن تسعة عشر أرطال ماء. فإن كانت أكثر فهي أحسن ثم خذ شيئًا من صوف أبيض مغسول نقي منفوش فاربطه بخيط والصق طرف ذلك الخيط في أسفل الإناء بشمع أو زفت لكي لا يسقط من الإناء؛ لأنه يُراد منه أن يكب على وجهه ولا يصل الصوف إلى الأرض.

ثم تحفر في الأرض التي فيها إمارات الماء حفرة عمقها ثلاثة أذرع أو نحوها وتنظفها من ترابها ثم تقلب ذلك الإناء على وجهه في أسفل الحفرة، وتضع حوله ورق قصب رطب أو عشبة آخر النية، ويغطى بها إلا قدر ارتفاع ذراع واحد، ونغطي بقية الحفرة بالتراب وافعل ذلك عند غروب الشمس.

فإذا كان عند الصباح قبل طلوع الشمس ارفع التراب والعشب رفعًا رفيقًا، واقلب الإناء وانظر إلى داخله فإن كان في باطن تلك الأرض ماء غزير فستجد الصوفة مملوءة بماء والإناء كذلك، فذق ذلك الماء الذي في الصوفة فمنه تعلم صنف الماء المحتقن في الأرض. فإن كان الماء الموجود في الصوفة عذبًا فالماء عذب؛ لأن الصوفة إنما تقبل الماء من البخار الصاعد وهو ألطف الماء وأعذبه، وبقدر ما تجد في الصوفة ماء فاعلم قدر الماء في ذلك المكان، وفي هذا كفاية وهو من قول فليون"[٤٨].

(٥) إبداع الزهراوي في الهندسة الوراثية في كتاب الفلاحة:

يذكر الزهراوي بعض الآراء تجعله من أوائل من تحدثوا عن الهندسة الوراثية في علم الفلاحة؛ فيذكر:

"إن نقعت[٤٩] في أي طيب كان أدت ثمرته ريح غير كالطيب، وإذا قُطعّ القثاء رطبًا وأُنقع في ماء وملح بقي السنة كله غضًا، وإن أُنقع بزر أحدهما في ماء السقمونيا[٥٠] أو شبهها من المسهلات كان القرع والقثاء مسهلين"[٥١].

كما يذكر الزهراوي بعض الآراء في الهندسة الوراثية تحت عنوان حيلة؛ فيذكر:

"الحيلة في أن يكون في عناقيد الجفنة أسود وأبيض وأحمر:

انظر عند الكساح إن كان عند الجفنة البيضاء جفنة حمراء أو سوداء، فخذ من أجود زرجونهما أو زرجون الثلاثة قضيبًا من كل واحد فضم بعضها إلى بعض واقطع أطرافها حتى تكون مستوية، وتكون العيون بعضها إلى بعض وأوثقها ربطًا، وطيّن عليها، وبعد ثلاثة أيام انضح عليها من ماء النهر، وبعد سنتين اقطع من تلك القضبان زرجونة وانصبها فإن عناقيدها تكون مختلفة الحب.

وإن أخذت ثلاثة قضبان مختلفة الألوان، وشققت كل قضيب منها برفق ولطف؛ لئلا تفسد كعوبها ولا لفالها، ثم ضممت كلّ قضيب إلى خلافه في اللون، وابن على سوقها لا تنزعه، وتوخ في أول الأمر أن يكون قياس كعوب الثلاثة قضبان، لكن إذا سقيتهم وصممتهم التفت كعوبهم وصار كعبًا واحدًا. فإذا صارت قضيبًا واحدًا في رأي العين فشدها بسعفة من بردي أو سعفة

عزف، واطلها باخثاء[٥٢] بقر ثم طينها بطين حر واغرسها في حفرة يكون عمقها ذراعًا واحدًا، وفوق الأرض منها( )[٥٣] لا غير، واسقها كل ثلاثة أيام حتى تستمسك فإنها تصير قضيبًا واحدًا وتصير ثمرته مختلفة.

وبعد عامين تقلعه من موضعه وتغرسه في غيره إن أحببت لتعمق له فوق هذا المقدار؛ لأن ما كان من هذا الغرس للتحويل فلا يعمّق له أزيد من ذراع؛ لأن الشمس تدخل سخانتها إليه فتصير له عروقًا، ويكون أهون عليك في قلعه، وما لم ترد تحويله فعمّق له على حسب ما تقدم ذكره.

وإن أردت أن تجعل في الأرض الواحدة ألوانًا من العنب فاقطع من كل صنف من الكرم قضيبًا واجمعها، وافتل بعضها ببعض فتلاً دقيقًا مستويًا، وخذ عظم ساق بعير أو عظم ساق ثور أوسع ما تجد واربط القضبان عند رؤوسها وأطرافها ووسطها ربطًا لطيفًا حتى يلصق بعضها ببعض، وادخل القضبان في العظم، واخرج أسافل الزرجون من الساق وأضمره في الأرض الطيبة المزبلة، واسقه كل ستة أيام ماءً عذبًا فإنه إذا ثبت التف وصار شجرة واحدة وفيها أصناف مختلفة.

الحيلة في أن يكون في العنقود بين كل حبتين ورقة:

انظر إلى دالية براتية فخذ منها من الزرجون ما أحببت، ومن دالية مطعمة على عدة ما أخذت من الزرجونة، ثم اجمع الكل في ساق على ما وصفت لك، فإذا ثبتت فاقلعها ثم انصبها فإنك ترى منها عجبًا.

الحيلة في أن تكون عناقيد الدالية عنب وأسفلها حب ريحان:

خذ زرجونة دالية فطعم بها شجرة ريحان ودبر أمورها على ما وصفنا لك، فإذا استمسكت وكانت بنت سنتين فاقطع القضيب وانصبه، وإن شئت فدعه واقطع ما حوله من زرجون الريحان فإنه يكون كذلك إن شاء الله تعالى.

تركيب[٥٤] العنب في التفاح:

إذا أحببت شجر التفاح كرمًا فاعمد إلى شجر التفاح وانقب فيها ثقبة فوق الأرض، واعمد إلى قضيب الدالية فاخرج طرفها من الثقبة وأخرجه من الجانب الآخر، واترك القضيب على تلك الحالة حتى يورق ويشتد ويركب طرفه فيعلق ذلك القضيب الشجرة، وينبغي لك أن تقطع أطراف شجرة التفاح لتروح القوة إلى القضيب.

من أحب عنبًا بلا نواة:

فليعمد إلى قضيب الغرس ويشق ما يدخل منه تحت الأرض بنصفين، ويخرج لبابه من جوفه، ويشد القضيب بلحاء بردي، ويطليه بإخثاء البقر الرطب، ويغرسه فإنه يكون بلا نواة.

صفة جفنة يكون عنبها ترياقيًا[٥٥]:

خذ الزرجونة فشق من أسفلها ما يدفن تحت الأرض، ونق ما شققته من لبابه واحشه بترياق طيب أطيب ما تقدر عليه، وضم الشق وشده بسعفة خلاف أو بردي واغرسه على ما أعلمتك محرفًا، واسقه كل ثمانية أيام ماء قد أنيب فيه شيء من ترياق حتى يعلق، فإنه يكون عنبها وزبيبها وزرجونها وخمرها وخلها بمنزلة الترياق، وكذلك إن جعلت فيها دواءً مسهلًا ودبرته على ما وصفت لك لم يؤكل من ذلك الأصل عنب، ولا زبيب، ولا عصير، ولا خل إلا أسهل، وورقه يفعل ذلك، وكذلك تفعل في عنب الطيب اجعل في شق القضيب ما شئت من أنواع الطيب عوض لبابه فيودي طعم ذلك

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

الطيب من المسك، والعنبر، والكافور، وجميع الطيب إذا دبرته فيها على ما وصفته لك في طعمه ورائحته.

وإن أردت أن يكون ريح العنب ريح الآس[٥٦]:

فلف بقضيب الدالية حين تغرسه قضيب الآس فإنه يكون من أظرف العنب.

كيف تُطْعِم الدالية سريعًا:

خذ النطرون وانثره في الماء واسحقه بالماء حتى يصير بمنزلة العسل، فإذا كسحت فاطل بها العيون التي بقيت في العرائش كل ثمانية أيام مرة حتى تطلع العيون إن شاء الله تعالى.

واعمد إلى الكرم الذي لم يجز له أن يطعم فاقطع ورقه، فإن ذلك يكثر ثمره ويسرع سواده ونضجه، والكرم الحديث الكثير الثمرة خذ من ورقه وجففه من جوانبه منها قبل القطاف بأيام ليكون الريح إليها نفاذًا ويخرق ويسخن العنب وينضج، ولا تكشف العناقيد للشمس فتضربها، وإن أخذت من العنب الأبيض حصرمًا- يعني نواء الحب- وحلوته، وألقيت عند أصل العنب الأسود منه كفًا كفًا عند أصل كل جفنة جاد وطاب لذلك عنبه وعصيره، وكذلك ألق من حصرم الأسود عند أصل الأبيض بعد قلوه"[٥٧].

وقد ذكر نفس الطريقة التي يمكن من خلالها الحصول على ألوان شتى في ثمار التين، فيقول:

وإن أردت أن يكمل شجر التين ذات ألوان شتى فخذ من كل لون قضيبًا واجمعها في ساق واحد على ما وصفت لك في العنب.

صنعت زبيب أزرق:

خذ العنب الأبيض فاغل له رمادًا وقشر رمان وانقع العناقيد فيه وانشرها برفق فإنه أزرق.

كيف يخرج الشجر أسود وأبيض:

خذ حبًا من تينة أسود وأبيض فاضمره، ثم اسقه وزبّله فإذا بقت وصار ابن سنتين فاعهده فإنه يكون حبًا أبيضًا وأسودًا.

وفي أثناء حديثه عن الحصول على رمان بلا عجم يذكر:

وإن أردته بلا عجم[٥٨] فشق من أصل القضيب قدر أربعة أصابع واخرج لبابه، ولف عليه شيئًا واغرسه فإنه يلتحم ويستمسك ولا يكون لحبه عجم.

"ومتى أنقعت نواه أو نوا اللوز في الماء ثلاثة أيام حتى تلين، ثم فلقته برفق، وكتبت على قشر الدالية بحديدة رقيقة ما أحببت كتابة رقيقة لا يؤثر في القشر ثم جففتها في ورق كراث وأطبقت عليها صفحتي النواة ثم زرعتها، فإنك تجد ما كتبت في ثمر تلك الشجرة، وقد يفعل بالمشمش مثل ذلك.

ومتى كشفت عن أصل شجر الخوخ وثقبت فيها ثقبة واستخرجت لبابها ثم ضربت فيها وتدًا غرب قلّ لذلك نواها"[٥٩].

القراصيا:

يغرس بأصله في يناير وتوافقه الأرض الباردة، وإن أردت أن يكون حبه أسود فطعمه بدالية سوداء فإنه يصير أسود.

ومن الحيلة أن تكشف عروق الشجرة أو الإجاص وتنقش فيه بحديدة ما شئت من النقش فإن الثمر الذي يخرج في ذلك الغصن يكون مكتوبًا بذلك الكتاب.

معرفة أنشاب الشجر وهو التطعيم، ويسمى التركيب أيضًا:

كل شجرة غليظة اللحاء ذات رطوبة فتطعيمها بين اللحاء والساق؛ وذلك أن تتخذ وتدًا صغيرًا من شجرة صلبة، وتوديه بين لحاء الشجرة وعودها برفق لئلا ينشق اللحاء، ثم تسل الوتد وتنشب في موضعه القضيب.

وما كان من الشجر رقيق اللحاء فإنك تشق العود وتضع فيه التطعيم ساعة تشق لا تبطئ، واعجل قبل أن تدخل الشمس العود، ولتكن قبضان التطعيم من شجر فتية كغلظ الخنصر، ولتنحت كما تنحت الأقلام، وتحفظ باللباب، ولتكن أطرافها المنحوتة بقدر ما يغلق الثقب، وضع على موضع التطعيم طينًا أبيضًا مخلوطًا بزبل بقر وشعر مقطع، وافتل عليه من خارجه خرقة كتان، ويربط عليها، وليكن ذلك في أيام الربيع.

ومن الحيلة أن تكشف عروق الشجرة أو الإجاص وتنقش فيه بحديدة ما شئت من النقش، فإن الثمر الذي يخرج في ذلك الغصن يكون مكتوبًا بذلك الكتاب.

التين:

ينشب في الفرصاد(٦٠) والدلب(٦١) في دمياه، وينشب في التفاح.

التفاح:

يركب في الكمثرى والسفرجل، ويركّب في الرمان فيأتي تفاحه أحمر، وقد ينشب الأترج والتفاح معًا في مغرس واحد فيثمر تفاحًا وأترجًا، وينشب في الفرصاد فيأتي أحمر أيضًا ونشابه في نونبر(٦٢) إلى فبراير، وينشب إياها في الفستق، واللوز، والجلوز، والإجاص.

الكمثرى:

ينشب على ما ينشب [ق١٥ب] التفاح.

السفرجل:

ينشب ويقبل كل ما أنشب فيه.

الإجاص:

ينشب الأصفر في التفاح.

الأترج:

إذا نشب في الفرصاد أو في التفاح إحمر وحسن.

اللوز:

تطعيمه ليس يكون في أعلاه، ولكن في وسطه بين الغصون في الربيع، وقد يركب فيه الورد فيعجل إخراجه.

الخوخ:

يركب في الصفصاف فتثقب في ساقها ثقبًا، وتدخل قضيب الخوخ في ذلك الثقب وتجوزه من الناحية الأخرى، وتطيّن الموضع وتتركها حتى تملأ الثقب ثم تقطع بعد ذلك قضيب الخوخة من ناحية أصلها، فيثمر قضيب الخوخ ثمرًا بلا نوا، وهذا يكون إذا تجاورا، وقد ينشب الخوخ في إجاص أصفر ولوز فيحمر.

وإذا قل حمل الزيتونة فاكشف عن أصلها من ناحية الجنوب، واثقب فيها ثقبًا نافذًا إلى الشمال، ثم خذ قضيبين من شجرة كثيرة الحمل وادخلهما في الثقب متخالفين، واحبل كل قضيب منها إلى الناحية الأخرى حتى يغص ذلك الثقب بهما، ثم اقطع ما ظهر من القضيبين من الجانبين وطينه بطين مخلوط بشعر فيكثر بذلك حملها"(٦٣)

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ = ٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

كتاب ما يعرف به الأرض الجيدة

قال انطيوس في كتابه

في الفلاحة إذا كان

النبات غليظا طويلا

سمينا غض الورق

حسن الخضرة

غليظ العروق

فتلك أرض جيدة

الورقة الأولى من المخطوط

مقالات

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦ م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

الصفحة الأخيرة من المخطوط

الحواشي

(١) الزّهراء: مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس، اختطّها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وهو يومئذ سلطان تلك البلاد في سنة ٣٢٥ هجرية، وأنفق في عمارتها الكثير من الأموال، ومسافة ما بين الزهراء وقرطبة ستة أميال وخمسة أسداس ميل (وقت ذلك).

انظر، معجم البُلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج٣، ص ١٨١ .

(٢) أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية في الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وليبية: زهير حميدان، منشورات وزارة الثقافة، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ١٩٩٦م، المجلد الخامس، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٣) العناوين الواردة بين قوسين هي عناوين موضوعة من قِبَل المحقق.

(٤) الأَنْدَر: الكُدْس من القمح خاصة. (لسان العرب: ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط٣، بيروت – لبنان، ج١٤، مادة ندر، ص٩٠)، ويقصد بها الصوامع في المصطلح الحديث.

(٥) الهُرْيُ: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام البُرّ ليوزعه السلطان، والجمع أهْراء. (المرجع السابق، ج١٥، مادة هرا، ص٨٣).

(٦) الزَّرَجُون: القضيب يغرس من قضبان الكرم. (المرجع السابق، ج ٦، مادة زرج، ص٣٤).

(٧) الجَفْنة: ضرب من العنب، والجَفْنَة: الكَرْم، وقيل الأصل من أصول الكَرْم، وقيل: قضيب من قضبانه، ضرب من العنب معروف في اليمن وعمان، كثير اللحم، مخذ جدا. (انظر، المرجع السابق، ج ٢، مادة جفن، ص ٣١١، كتاب الماء أول معجم طبي لغوي في التاريخ: أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري الأزدي، حققه د. هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١، سلطنة عمان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦ م، ج ١، مادة جفن، ص ٢٦٩).

(٨) الدالية: عنب أسود غير حالك وعناقيده أعظم العناقيد كلها تراها كأنها تيوس معلقة، وعنبه جاف ينكسر في الفم (لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، ج ٤، مادة دلا، ص ٣٩٨).

(٩) زَبَل الأرض والزرع: سمده، زبل الفلاح أرضه: سمدها وأصلحها بروث الحيوانات حتى تجود للزراعة. (المرجع السابق، ج ٦، مادة زبل، ص ١٥).

(١٠) السَّذَاب : من البقول المعروفة. وهو نبت كريه الرائحة، يُسمى الفَيْجَن والفَيْجَل أيضًا. وهو ينفع الفالج وعرق النسا وأوجاع المفاصل شربًا وضمادًا بالعسل. ويذهب رائحة الثوم والبصل ويضمد به مع السويق للصداع المزمن. وعصارته المسخنة مع قشور الرمان تقطر في الأذن فتنقيها، وتسكن الوجع والطنين والدوي، وتقتل الدود. وعصارته تحد البصر مع عصارة الرَّازْيانج والعسل كحلًا وأكلًا.

(كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ٢، مادة سذب، ص ص ٢٤٧، ٢٤٨).

(١١) الحبَق: يسمى بالفارسية الفُوْتَنْج، وأنواعه ثلاثة: بري، ونهري، وجبلي، وهي تخرج الفضول الغليظة من الصدر، وتلين الطبيعة، وتنفع من قلة الشهوة، وضعف المعدة، والمغص، والهيضة، والفواق، واليرقان، والاستسقاء، ونهش الهوام، وتقتل الأجنة والدود، وتدر الطمث شربًا بالعسل. وأي نوع منها زرع في البساتين صار نعناعًا. (المرجع السابق، ج ١، مادة حبق، ص ص٣٠٣، ٣٠٤ بتصرف).

(١٢) السَّوْسَن: اسم نبات، أعجمي معرب، وقد جرى في كلام العرب، وأنواعه كثيرة وأطيبه الأبيض. والأبيض البستاني المعروف بسَوْسَن الأزاد، وهو أفضل الأدوية لحرق الماء الحارّ. (المرجع السابق، ج ٢، مادة سوسن، ص ٣١٠).

(١٣) الأَكَّارُ: الحَرَّاثُ والزراع أراد به احتقاره وانتقاصه. (لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، ج ١، مادة أكر، ص ١٦٩).

(١٤) مخطوط كتاب الفلاحة : أبو القاسم الزهراوي، (ق ٣ ب).

(١٥) المنقار: الذي يُنقر به الخَشَب، ويستخدم في حفر الأرض. (الإفصاح في فقه اللغة: عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، دار الفكر العربي، ط ٢، القاهرة، ج ٢، مادة آلات قطع الخشب، ص ١١٨٨).

(١٦) مخطوط كتاب الفلاحة: أبو القاسم الزهراوي، مصدر سابق، (ق ٣ ب).
(١٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٨) الموضع نفسه.
(١٩) الموضع نفسه.
(٢٠) مبقلة: أي ذات بقْل. (لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، ج ١، مادة بقل، ص٤٦٥).
(٢١) مَقْثَأَةٌ: كثيرة القِثّاء، القِثّاءُ: الخيار. (المرجع السابق، ج ١١، مادة قثأ، ص٣٩).
(٢٢) المصدر السابق، (ق ٢ أ).
(٢٣) الأشْقَانُ: الخواصر الضامرة. (المرجع السابق، ج ٦، مادة سقن، ص٢٩٩).
(٢٤) أي زيادة في أجرته عن من سواه من العمال الآخرين.
(٢٥) المصدر السابق، (ق ق٣ أ، ٣ب).
(٢٦) المصدر السابق، (ق ٤ أ).
(٢٧) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: مايو.
(٢٨) خطأ من الناسخ والأصوب: وأكنس.
(٢٩) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: أغسطس.
(٣٠) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: سبتمبر.
(٣١) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: نوفمبر.
(٣٢) الزَّرَجُون: قضبان الكرم، القضيب يغرس من قضبان الكرم. (المرجع السابق، ج ٦، مادة زرج، ص ص ٣٣، ٣٤).
(٣٣) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: ديسمبر.
(٣٤) المصدر السابق، (ق ٢١ ب، ق ٢٢ ب).
(٣٥) النانخواه: هو اسم فارسي، معناه طالب الخبز، وأكثر ما يستعمل من هذا النبات بزره خاصة، وقوته مجففة مسخنة وفي طعمه مرارة وحرافة، ويصلح إذا شرب بالشراب للمغص وعسر البول ونهش الهوام، وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن وجعه على المكان، إلخ.
(المعتمد في الأدوية المفردة: الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مادة نانخواه، ص ص ٥١٠، ٥١١).
(٣٦) الكِرْسِنَة: اسم عربي لنوع من الجلبان، وهو معروف، وأفضله الحديث الوزين المائل إلى الصفرة. ملين للطبيعة، إلخ.
(كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ٣، مادة كرسن، ص ٢٥٧).
(٣٧) حيّ العالم: سمي بهذا الاسم؛ لأنه لا يطرح ورقه في وقت من الأوقات، وهو نبات عشبي له قضبان لحمية طولها نحو من ذراع وأكثر، في غلظ الإبهام، وإذا اعتصر وشرب من مائه عشرون درهمًا، نفع من سدد الكبد، وإذا شرب من مائه خمسة دراهم أطفأ حرارة الصفراء والدم الغالب، وينفع من الصداع إذا خلط بدهن الورد، وطلي على الصدغين. (المعتمد في الأدوية المفردة: الملك المظفر، مرجع سابق، مادة حيّ العالم، ص ص ١١٣، ١١٤).
(٣٨) قثّاء الحمار: القِثّاء البرّيّ، ثمرة أطول من البلوط وأدق قليلا، وإذا أدنيت منها اليد انفقعت بصوت وهي شديدة المرارة، وتسمى عند بعضهم بالعَلْقَم. أجودها الأصفر، تسهل البلغم والدم، وعصارتها تنفع اليرقان والاستسقاء وتدر البول والطمث، وتسكن وجع الأذن تقطيرًا. (كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ٣، مادة قثأ، ص ١٨٦)
(٣٩) المصدر السابق، (ق ٢ أ).
(٤٠) أي زاد وكثر.
(٤١) المصدر السابق، (ق ٢ أ).
(٤٢) المصدر السابق، (ق٨ب).
(٤٣) الكَسْحُ: الكَنْسُ، كَسَحَ البيت والبئر يكسحه كسحا: كنسه. (لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، ج ١٢، مادة كسح، ص ٨٨).
(٤٤) المصدر السابق، (ق ٨ب).
(٤٥) اليَرَقان (الأرقان): من آفات النبات، وهو اصفرار يعتريه حتى كأنما عليه الوَرْس فيُفسد رطبه ويابسه إلا أن يغسله مطر إذا كان خفيفًا، وهو يصيب النخل والزرع والشجر. (الإفصاح في فقه اللغة: عبد الفتاح الصعيدي وآخر، مرجع سابق، ج ٢، مادة آفات الزرع، ص ١٠٨٧).
(٤٦) المصدر السابق، (ق ق ٨ب، ٩أ).
(٤٧) المصدر السابق، (ق ١٩ب).
(٤٨) المصدر السابق، (ق ق ٢ب، ٣أ).
(٤٩) يقصد هنا نبات القثاء.
(٥٠) الشَّمُّوثيا: هي عصارة حشيشة لبلابية تبقى قوتها

أبو القاسم الزهراوي (٣٢٥هـ =٩٣٦م / ٤٠٤هـ = ١٠١٣م) أحد رواد علم الزراعة والهندسة الوراثية

إلى ثلاثين سنة وأكثر من ذلك. وأجودها الزرقاء التي تضرب إلى بياض، وهي سريعة التأثير في النفوس.

وإذا انحلت صبيرته كاللبن. وحرارتها أكثر من يُبسها، وهي تسهل الصفراء بالخاصية والبلغم بالطبع، وتجذب الفضول الرّديئة من أقاصي البدن كالبلغم المالح والبلغم المخالط للصفراء، وتنفع من جميع العلل الصفراوية، وتخرج الدود والحيّات. (كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ١، مادة حمد، ص ٣٥٥، ج ٢، مادة سقم، ص ص ٢٦٨، ٢٦٩).

(٥١) المصدر السابق، (ق ٢١ أ).

(٥٢) اخثاء: الخَثْي، ما يرمي به البقر أو الفيل. (لسان العرب: ابن منظور، مرجع سابق، ج ٤، مادة خثأ، ص ٢٩).

(٥٣) كلمة غير مقروءة.

(٥٤) تركيب هنا بمعنى تطعيم.

(٥٥) التِّرياق: هو الدّرياق اسم يوناني لدواء مُرَكَّب تركيبًا صناعيًا، من شأنه إذا ورد على بدن الإنسان تقوية الروح الحيواني والحرارة الغريزية، وحِفْظ الصِّحَّة، وإزالة المرض والتخلص من السموم الحيوانية والنباتية والمعدنية. (كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ١، مادة ترق، ص ١٩٤ وما بعدها).

(٥٦) الآس: شجر عَطِر الرائحة، الواحدة آسة. ينبت في السهل والجبل وخضرته دائمة، وينمو حتى يكون شجرًا عظيمًا. (الإفصاح في فقه اللغة: عبد الفتاح الصعيدي وآخر، مرجع سابق، ج ٢، مادة الآس، ص ١١٦٢).

(٥٧) مخطوط كتاب الفلاحة: الزهراوي، مصدر سابق، (ق ٩ أ : ق ١٠ ب).

(٥٨) العَجم: النَّوَى، كنوى التَّمر ونحوه. (كتاب الماء: الأزدي، مرجع سابق، ج ٣، مادة عجم، ص ١٢).

(٥٩) المصدر السابق، (ق ١٤ ب ، ق ١٥ أ).

(٦٠) الفِرْصاد: التوت أو حمل التوت، أو شجرة حملها التوت، والتوت الأحمر. (المرجع السابق، مادة فواكه، ج ٢، ص ١١٥٨).

(٦١) الـدُّلْـب: شجر يعظم ويتسع ولا نَـور له ولا ثمر، مُفَرَّض الورق واسعة شبيه بورق الكرم. واحدته: دُلْبة. (المرجع السابق، مادة أشجار الجبال وثمارها، ج ٢، ص ١١١٤).

(٦٢) كتبت الكلمة في النسخة بطريقة المغاربة في كتابة الشهور، والمقصود هنا شهر: نوفمبر.

(٦٣) (ق ١٢ ب : ق ١٦ أ).

المصـــادر والمراجع

أولًا- المصادر (المخطوطات):

(١) مخطوط كتاب الفلاحة: أبو القاسم الزهراوي.

ثانيًا- المراجع والمعاجم:

(١) أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية في الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وليبية: زهير حميدان، منشورات وزارة الثقافة، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ١٩٩٦م، المجلد الخامس.

(٢) الإفصاح في فقه اللغة: عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، دار الفكر العربي، ط ٢، القاهرة، ج ٢.

(٣) كتاب الماء أول معجم طبي لغوي في التاريخ: أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري الأزدي، حققه د. هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١، سلطنة عمان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ج ٢.

(٤) لسان العرب: ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط٣، بيروت – لبنان، مادة زرج، ج٦.

(٥) معتمد في الأدوية المفردة: الملك المظفر، يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.

(٦) معجم البُلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج٣.

مختصر أبي الجيش المغربي الأندلسي في علم العروض

دراسة وتحقيق

د. خضر محمد أبو جحجوح
أستاذ مساعد. الجامعة الإسلامية. غزة

ملخص

حاول هذا البحث تحقيق إحدى مخطوطات تراثنا العربي، ودراستها؛ لتقديم صورة واضحة عن التصنيف في التراث العربي، وما يصحبها من منظومات تسهل عملية التعليم، وهي مخطوطة قيمة؛ حيث قدم مصنفها أبو عبد الله محمد الأنصاري، ستة عشر بيتًا بعدد بحور العروض العربي، بطريقة مميزة تسهل على طلاب العلم الإلمام بالقواعد الأساسية لعلم العروض، وأساسيات العلل التي تصيب أجزاءها الرئيسية، خصوصًا في العروض والضرب، متجنبًا الخوض في زحافات الحشو وعلله، كما قام بحصر البحور، وما نتج عنها من فروع.

حياة المصنف

لم تسعفنا المراجع بإشارات كثيرة عن حياة المؤلف، رغم انتشار مصنفه بين الناسخين وتوافر عدد من الشراح له، كما أشار كارل بروكلمان[1] كل ما أمكن الحصول عليه من خلال مراجعة النسخ المختلفة للمخطوطة أن المصنف ينعت بأبي الجيش الأنصاري، وأنه أندلسي مغربي، كما أجمعت المخطوطات على أن كنيته أبو عبد الله، وأن اسمه محمد، وزاد بعضها اسم أبيه إبراهيم، ليكون اسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي، المغربي النحوي المعروف بأبي الجيش.[2]

وقد أورده بروكلمان باسم مختلف عما توافقت عليه نسخ المخطوطة على النحو الآتي: أبو علي محمد بن حسين أبو الجيش الأندلسي الأنصاري القسطي، توفي سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م[3] وذكره الزركلي في الأعلام: محمد بن عبد الله الأنصاري(٠٠٠ - ٥٤٩هـ) أبو عبد الله المعروف بأبي الجيش: فقيه عروضي أندلسي مغربي، له العروض الأندلسي، رسالة هي غير الرامزة المعروفة بالخزرجية، نسبة إلى مؤلفها عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٦٢٦هـ[4] وهو بتصريحه ينفي إمكانية الالتباس التي

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة ج/٥، ص٣٥٧

(٢) (أ): أبوعبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي المغربي.(ب): أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي (ج): أبوعبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأندلسي الأنصاري. (د) (ح): أبوعبد الله محمد المعروف بابي الجيش الأنصاري الأندلسي (هـ): أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي (و) : أبوعبد الله محمد المعروف بابي الأنصاري الأندلسي. (ز): أبو الجيش محمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسيالنحوي.(ط): محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي المغربي.

(٣) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص٣٥٧ ، وفيما يبدو أن بروكلمان وقع في تحريف كلمة القسطي.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج/٦ دار العلم لملايين ص٢٣٠

وقع فيها البغدادي، الذي خلط بين أبي الجيش الأنصاري، والخزرجي[1]، وفي كشف الظنون ذكره حاجي خليفة بقوله: "وهو: أبو محمد: عبد الله بن محمد الأنصاري، الأندلسي، المعروف: بأبي الجيش الأنصاري، المغربي. المتوفى: سنة ٥٤٩ هـ.[2]

وذكره طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة، حين تكلم عن العروض الأندلسية، معتبرًا إياها من الكتب النافعة في علم العروض قائلاً: "ومن الكتب النافعة المفيدة عروض أبي الجيش الأنصاري، وهو أبو عبد الله محمد" وشرحه داود القيصري المدرس بمدرسة آزنيق من بلاد الروم، وشرحه إلياس بن إبراهيم الرومي سماه: فتح النقوض في شرح العروض[3].

وقد خلط البغدادي في هدية العارفين بين اسم المصنف والخزرجي صاحب الرامزة؛ حيث قال: الخزرجي - عبد الله بن مُحَمَّد الانصاري ضِيَاء الدّين أَبُو مُحَمَّد الخزرجي الأندلسي نزيل الإسكندرية الْمَعْرُوف بِأبي الْجَيْش المالكي توفي قَتِيلاً سنة ٦٢٦ هـ سِتّ وَعشْرين وسِتمِائَة من تصانيفه: الرامزة قصيدة فِي الْعرُوض.[4] والثابت أن صاحب الخزرجية كما مر ليس هو نفسه أبا الجيش الأنصاري، "ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أنَّ الأندلسية والقصيدة المعروفة بالخزرجية لم يكتبها مؤلف واحد بل مؤلفان لم تتصفهما المصادر"[5] أما تاريخ وفاته فهو مختلف فيه وسواء كان عام ٥٤٩هـ كما أشار حاجي خليفة والزركلي، أم ٦٢٦هـ كما ذكر بروكلمان والبغدادي، فهو قطعًا غير صاحب الخزرجية. وفيما يبدو أنه كان ممن زهدت كتب تراجم عصره، في تتبع حياته، والترجمة له، لأسباب عسى الأيام تكشفها بانكشاف وتحقيق، ما لم يحقق بعد من مخطوطات، ولولا أن اسمه ورد في ديباجة المخطوطة، لضاع اسمه كما اندثرت سيرته، ونظرًا لأهمية مصنفه لاقى رواجا يبرهن عليه انتشار نسخ مخطوطة منه في مكتبات العالم، وكثرة شروحه.

موضوع المخطوطة:

تعدُّ المخطوطة من المصنفات المختصرة في علم العروض، فهي في الأساس ستة عشر بيتًا، نظمها المصنف، كل بيت منها يصف بحرًا من بحور الشعر العربي، ويتفرع عن كل بيت عدد آخر من

---

(١) ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي المتوفى سنة (٦٢٦هـ) انظر: رفع حاجب العيون الغامزة عن كنوز الرامزة في علمي العروض والقافية، شمس الدين محمد بن محمد الدلجي العثماني، تحقيق أحمد إسماعيل عبد الكريم، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١م، مقدمة المحقق ص٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١١٣٥.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون بأسامي المعارف والفنون، ج/٢، ١١٣٥

(٣) طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في معرفة العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج/١، ص ٢٠٢

(٤) إسماعيل بن محمد البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت مصورة عن طبعة إستانبول ١٩٥١، ج١، ص٤٦٠

(٥) دافيد تصيمح، على هامش عروض أبي الجيش الأندلسي، مجلة الكرمل، جامعة حيفا، عدد٢، ١٩٨١م، ص٨٦

الأبيات يتفرع عن كل بيت منها بقدر أشكال البحر لتشمل المجزوء والمشطور والمنهوك.

عنوان المخطوطة:

اخترت عنوانًا للمخطوطة سميتها به هو: (مختصر أبي الجيش المغربي الأندلسي في العروض)، وقد آثرت هذا الاسم من بين أسماء كثيرة وردت على غلاف النسخ، وفي إشارات أصحاب التراجم، الذين دأبوا على تسميتها عروض أبي الجيش، أو العروض الأندلسية. أو رسالة في العروض، أو كتاب في علم العروض، أو علل الأعاريض، والسبب في ذلك أن المصنف صرح بأن ما كتبه مختصرٌ؛ حيث قال: " قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض" فهو إذن كما سماه صاحبه في متن كلامه، مختصر في علم العروض، ولم يكن من المناسب اختيار اسم علل الأعاريض؛ لأن الكلام لم يكن مختصًا بالأعاريض التي أصابتها العلل، إلا من باب التغليب، فقد ذكر معها أعاريض سالمة كما هو متبع في عرف أهل هذا الفن، وتحدث أيضًا عن الضروب، كذلك مضمون المصنف يدلل على أنها رسالة مختصرة في علم العروض، والحديث عن الأعاريض والضروب وما يعتريها من تغيرات، هو جزء لا يتجزأ من لبّ العروض ولحْمته، أما عن إضافة لقب المصنِّف فهو من باب الإنصاف لرجل غمر الزمان اسمه، وتجاهل الناس تسليط الضوء عليه؛ لأسبابٍ لم تسعفنا المصادر في الكشف عنها، وتوثيقها، وربما يكشف عنها الزمان، ويفتح الله تعالى للباحثين سبيل بيانها.

منهج المصنف:

حدَّد المصنف منهجه الذي اتبعه في نظم مصنفه المختصر فقال: قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض الأربع والثلاثين، والضروب الثلاثة والستين خاصة، ولا أتعرض لشيء من زحاف الحشو غالبًا، وصنعت فيه ستة عشر بيتًا، أول لفظة من البيت تعطي اللقب، إما اشتقاقًا أو مضارعة تسامحًا(*)، وآخر العروض حرف من حروف أبي جاد يعطي عدد العروض، والعروض آخر جزء من الشطر الأول من البيت، وأول حرف من الشطر الثاني يعطي عدد الضروب، والضرب آخر جزء من الشطر الثاني من البيت. وجعلت روي البيت يعطي عدد الأجزاء".

والمقصود هنا بعلل الأعاريض، التغيرات التي تصيب آخر صدر البيت سواء كانت زحافات أم علل، وتكون لازمة من لوازم الشكل الذي يعتمد صورة من صور البحر وفق عرف الشعراء وأهل الفن؛ حيث جعل نهاية صدر البيت المنظوم حرفًا من حروف الأبجدية يعطي دلالة رقمية تدل على صور عروض البحر، وهي في الطويل عروض واحدة مقبوضة مفاعلن، وللمديد ثلاثة أعاريض: تامة فاعلاتن، ومحذوفة فاعلن، ومحذوفة مخبونة فعلن، والبسيط له ثلاثة أعاريض عروض واحدة تامة، مخبونة، ولها ضربان مخبونة ومقطوعة فعْلن، وللبحر الوافر عروضان، واحدة مقطوفة فعولن، والثانية مجزوءة تامة مفاعلتن. وللكامل ثلاثة أعاريض؛ الأولى: في شكله التام متفاعلن، والثانية حذاء فعلن، والثالثة مجزوءة صحيحة متفاعلن، وللبحر الهزج عروض واحدة، وللرجز أربعة أعاريض

* التسامح: العدول عن الظاهر لظهور المراد(حاشية الناسخ أ)

الأولى صحيحة مستفعلن، والثانية مجزوءة مستفعلن، والثالثة مشطورة "والمشطور ما جاء على ثلاثة أجزاء"[1] والرابعة منهوكة، "والمنهوك ما ذهب ثلثاه"[2] وللرمل عروضان الأولى محذوفة فاعلن، والثانية مجزوءة سالمة فاعلاتن، وللسريع أربع أعاريض، الأولى مطوية مكسوفة فاعلن، والثانية مخبولة مكسوفة، فعلن، والثالثة موقوفة مشطورة، مفعولان، والرابعة مكسوفة مفعولن. وللمنسرح ثلاثة أعاريض، الأولى سالمة مستفعلن، والثانية منهوكة موقوفة، والثالثة مكسوفة منهوكة، وللبحر الخفيف، ثلاثة أعاريض، الأولى سالمة فاعلاتن، والثانية محذوفة فاعلن، والثالثة مجزوءة مستفعلن، وللبحر المضارع عروض واحدة فاعلاتن، وللمقتضب عروض واحدة مطوية مفتعلن، وللمجتث عروض واحدة سالمة فاعلاتن، وللمتقارب عروضان تامة صحيحة فعولن، وعروض مجزوءة محذوفة فعو، وللمتدارك عروضان سالمة تامة، ومجزوءة. [3]

وبوجود بحر المتدارك تبرز إشكالية في عدد الأعاريض؛ حيث يتم عدد الأعاريض الذي ذكره، بخمسة عشر بيتًا إلى بيت بحر المتقارب، ومع وجود بيت بحر المتدارك، يكون عدد الأعاريض خمسة وثلاثين عروضًا، وفق منهجية المؤلف في ذكر الحروف، التي تشير إلى العدد في نهاية العروض، وبداية الصدر، وهما همزة، ومثل ذلك يقال في الزيادة عن الضروب مع وجود بيت المتدارك كما سيتبين بعد قليل. ووفق منهج الأخفش عدد الأعاريض ستة وثلاثون عروضًا.

وزيادة في التسهيل جعل المصنف رقم الحرف الأول من صدر العجز يدل على عدد الضروب، وجعل حروف الروي ابتداء من البيت الفرع الثاني تعطي رقم الضرب ومرتبته، علمًا بأن الضروب التي قال إنه سيتعرض لها هي ثلاثة وستين ضربًا، والجدير بالذكر أنه ذكر العلل التي تصيب الأعاريض من باب التغليب؛ حيث ذكر معها وعد الأعاريض السليمة التي لم تصبها العلل، وكذلك الضروب الصحيحة معتبرة في العدد.

فكان وفق منهج المصنف في ذكر الحروف، للطويل (ج) ثلاثة أضرب، وللمديد (و) ستة أضرب، وللبسيط (و) ستة أضرب، وللوافر (ج) ثلاثة أضرب، وللكامل (ط) تسعة أضرب، وللهزج(ب) ضربان، وللرجز (هـ) خمسة أضرب، وللرمل (و) ستة أضرب، وللسريع (و) ستة أضرب، وللمنسرح (ج) ثلاثة أضرب، وللخفيف، (هـ) خمسة أضرب، (أ) وللبحر المضارع ضرب واحد، وللمقتضب (أ) ضرب واحد، وللمجتث (أ) ضرب واحد، وللمتقارب (و) ستة أضرب، وللمتدارك (إ) ضرب واحد، وبذلك يكون مجموع الضروب أربعة وستين ضربًا، وهو مع ذكر بيت المتدارك، ليس

---

(١) التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ص ١٠٤ ، والمشطور الذي ذهب شطره، انظر الزمخشري، القسطاس، ص٦٨،

(٢) التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق قباوة، ص ١٠٥

(٣) للتوسع في معرفة الأعاريض والضروب، انظر التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، انظر: الزمخشري، القسطاس، ابن جني، كتاب العروض، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٢٨٨-٣١٢، الصاحب ابن عباد، الإقناع في العروض وتخريج القوافي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، بغداد، ١٩٦٠م.

مطابقًا للعدد ثلاثة وستين ضربًا، الذي ذكره المصنف.[1]

أما الأبيات التي وردت في المخطوطات والتي تعبر عن أضرب أخرى للمتدارك، والتي يعدها البعض من زوائد النساخ أو تلاميذ الشيخ، فتزيد الطين بلة؛ حيث يبلغ بها على منهج الأخفش[2] عدد الضروب سبعة وستين ضربًا، وهو عدد يفوق بكثير ما ذكره المصنف.

يقول عبد المحسن القيصري الرومي في شرحه المخطوط موضحًا ذلك: "نقول البحور المعتبرة عندهم خمسة عشر بحرًا على رأي الخليل، واضع هذا العلم، وأعاريضها أربع وثلاثون، وضروبها ثلاثة وستون كما ستقف عليها مفصلة، بعون الله تعالى، ... وستة عشر بحرًا على رأي الأخفش النحوي وأعاريضها ستة وثلاثون وضروبها سبعة وستون"[3] وقوله السابق لا يعد تعليلاً بشكل مباشر للمسألة، وإن كان يفهم منه ضمنيًا؛ لأن المشكلة تبقى قائمة؛ لأن عروض البيت (دارك القوم تطفى غراما وضأ إذ دريرُ الهوى بالمعنّى جَمحْ) تنتهي بحرف الهمزة الذي يشير إلى عروض واحدة للبحر، وأول العجز أيضًا همزة تشير إلى ضرب واحد، كما حدد المصنف في ديباجة مخطوطته، وهذا خلاف مذهب الأخفش الذي يرى أن للمتدارك عروضين، وأربعة أضرب. إضافة إلى ذلك تبرز المشكلة في وجود أبيات إضافية متفرعة عن البيت السابق تشير إلى الأضرب المتبقية تماشيًا مع مذهب الأخفش، هذا الأمر يؤكد أن وجود البيت الأخير مخالف للمنهج الذي رسمه المصنف رحمه الله تعالى. إذ كان ينبغي أن يكون مطلع العجز دالاً لتشير إلى عدد الأضرب الأربعة، حتى لو تجاوزنا المسألة واعتبرنا أن (إذ) التي سبقت درير جاءت تسامحًا لإسناد الوزن، وأن الدال في درير هي التي تشير إلى العدد، فسنكتشف تعارضًا مع منهجية المصنف الذي حصر الأعاريض بأربعة وثلاثين عروضًا، والأضرب بثلاثة وستين، إذ كان ينبغي أن يصرح بأن العدد ستة وثلاثون عروضًا، وسبعة وستون ضربًا.

ولعل الأمر كما أوضحه القيصري نفسه في قوله: "ولا يخفى أنّ المصنف اختار رأي الخليل في ذكر العلل، ورأي الأخفش في ذكر البحور، وسمعت في دمشق الشام عن بعض المغاربة شيئًا وأراه واقعًا، وهو أن المصنف صنع خمسة عشر بيتًا، وقال في الديباجة أيضًا كذلك، ثم بعض الطلاب لحق بها بيت المتدارك فغير قوله خمسة عشر بيتًا إلى قوله ستة عشر بيتا، ثم اشتهر فظُنَّ أنه صنيع المصنف على ما هو مذكور في هذا المختصر إذا عد مع الأعاريض والضروب المذكورة تصير الأعاريض

---

(1) للتوسع في معرفة الأعاريض والضروب، انظر التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، انظر: الزمخشري، القسطاس، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٢٨٨-٣١٢، علمًا بأنّ ابن عبد ربه عد للسريع سبعة أضرب وليس ستة، كباقي المصنفين؛ حيث عدّ ابن عبد ربه للعروض الثانية من السريع، وهي مخبولة مكسوفة، ضربين الأول مثلها مخبول مكسوف، فعلن بتحريك العين، وضرب أصلم (فعْلن) بسكون العين. ص٣٠٥،٣٠٤ فانتبه.

(2) انظر ابن القطاع، كتاب البارع في علم العروض، ص٢٠٧، ٢٠٨

(3) عبد المحسن القيصري ت:٨٧٢هـ، بيان مشكلات المختصر في علم العروض، مصورة جامعة الملك سعود، ١/٣٠٣٠

خمسة وثلاثين والضروب أربعة وستين ونص المصنف آب عن ذلك.[1] وليس في القولين تناقض من الشارح بقدر ما هو محاولة لرسم صورة موضوعية علمية للمسألة، ناتج عن تعارض بين مقولة المصنف في ديباجته، والعدد الفعلي الموجود بذكر بيت المتدارك. ونقل دافيد تصيمح محقق رسالة في علم العروض لقاسم الخاني، خلال حديثه على هامش عروض أبي الجيش، عن ابن الحنبلي رأيه الذي يجزم فيه بأن أبا الجيش صنع خمسة عشر بيتًا وأن بيت المتدارك السادس عشر هو من صنع أحد طلاب الشيخ الذي غير قوله وصنعت خمسة عشر بيتًا إلى وصنعت ستة عشر بيتًا[2]

والأمانة العلمية تقتضي مني أن أثبت ما ورد في المخطوط كما هو سواء أكان بيت المتدارك من صنع أبي الجيش نفسه، أم من صنع تلاميذه فالتلاميذ أقرب الناس للمصنف، وهم أدرى بملابسات المسألة من جمهرة الشراح والمحققين، ولا يفوتني في هذا السياق أن أتخذ من المفضليات مثلا على صحة مذهبي؛ حيث اختلط ما اختاره المفضل الضبي بما اختاره الأصمعي ومع ذلك بقي اسمها المفضليات دون مساس.

وتسهيلاً في الوصول إلى صورة واضحة عن المخطوطة صنعت جدولاً واضحًا يبين آلية توزيع الأعاريض والضروب وحسابها.

جدول يبين عدد أعاريض كل بحر وضروبه كما ورد في المخطوطة

م	البحر	مطلعه	حرف العروض	عدد	حرف الضرب	عدد
١	الطويل	طويل	أ	١	ج	٣
٢	المديد	مدّ	ج	٣	و	٦
٣	البسيط	ابسط	ج	٣	و	٦
٤	الوافر	توافرت	ب	٢	ج	٣
٥	الكامل	وكملت	ج	٣	ط	٩
٦	الهزج	هزجتم	أ	١	د	٢
٧	الرجز	رجُز	د	٤	هـ	٥

(١) عبد المحسن القيصري، شرح العروض للأندلسي، مصورة نسخة عاشر أفندي

(٢) انظر دافيد تصيمح، على هامش عروض أبي الجيش، ص٩٤ وابن الحنبلي هو محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذفي، الحنفي رضي الدين المعروف بابن الحنبلي. ت٩٧١هـ، أو ٩٧٢هـ، وشرحه سماه الحقائق الأنسية في كشف الحقائق الأندلسية، انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، ص١١٣٥.

٨	الرمل	مرملُ	ب	٢	و	٦
٩	السريع	أسرعتُ	د	٤	و	٦
١٠	المنسرح	سرْحْتُ	ج	٣	ج	٣
١١	الخفيف	خفّ	ج	٣	هـ	٥
١٢	المضارع	ضرعنا	أ	١	أ	١
١٣	المقتضب	اقتضبتُ	أ	١	أ	١
١٤	المجتث	أجتثُ	أ	١	أ	١
١٥	المتقارب	تقاربتُ	ب	٢	و	٦
١٦	المتدارك	دارك	أ	١	أ	١
المجموع				٣٥		٦٤

فإذا حذفنا بيت المتدارك لإيجاد تناسقٍ مع العدد الذي ذكره المصنف، بقيت الأعاريض ٣٤ عروضًا والضروب ٦٣ ضربا، كما قال (قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض الأربع والثلاثين، والضروب الثلاثة والستين خاصة)

وصف نسخ المخطوطة:

مصورة جامعة الملك سعود، الموسومة ب رسالة أبي الجيش في العروض والقوافي، ورقمها ... ومقاسها ٢٦،٥×١٨،٥سم، ومسطرتها تقريبا ١٧ سبعة عشر سطرًا. وهي أوضح النسخ وأدقها، وكتب الناسخ حواشي توضيحية مفيدة عليها؛ لذلك اعتمدتها أصلا. ورمزت لها (أ)

مصورة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (٢٤٧) المسماة (الرسالة الأندلسية في علم الأوزان الشعرية) المؤلف: محمد بن عبد الله الأنصاري، أبو الجيش الأندلسي. ورمزت لها (ب)

مصورة مكتبة جامعة الملك سعود، رقم ٦٧٩١، وعنوانها الأندلسية، لمؤلفها الخزرجي عبد الله ابن محمد ت٦٢٦هـ/ مختلفة المسطرة. وتميزت بوضوح الدوائر العروضية. ورمزت لها بالرمز(ج)

مصورة مركز الملك فيصل، الرسالة الأندلسية في علم العروض والأوزان الشعرية، لعبدالله بن محمد الانصاري، أبي الحبيش[1] (ت:٦٢٦: ميكروفلم محفوظة برقم ب /٢/١٢/٠٢/٣٥ رقم التسلسل ٤٠٦ بداية المخطوطه: أحمد الله وأتوكل عليه وأصلي على نبيه وآله أجمعين قال الفقير إلى الله الغني أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الانصاري الأندلسي: فقد قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل

(١) كذا وردت، وهي تصحيف واضح من المفهرس.

الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاثة والستين خاصة. ولا أتعرض لشيء من زحاف الحشو غالبًا...

نهاية المخطوطة: تقاربت اذ شمروا للذهاب وأغلقت بالصبر بات الحرج تقاربت اذ شمروا للذهاب متى ابعد والصب لم يبعد تقاربت اذا شمروا ولبيت داعي الوله، تقاربت اذا شمروا الى ظلهم اوي متدارك اصله فاعلن. ثمان مرات دارك القوم تطفئ غراما وضأ إذ درير الهوى بالمعنى جمح.. تمت ورمزت لها بالرمز (د)

نسخة معهد الثقافة والدراسات الشرقية، في جامعة طوكيو، مختلفة المسطرة، تبتدئ بقوله قال الفقير إلى الله الغني أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الحبيش الانصاري الأندلسي: أحمد الله وأتوكل عليه وأصلي على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد، فقد قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاث والستين خاصة. ولا أتعرض لشيء من زحاف الحشو غالبا .. وتنتهي بقوله، دارك القوم تطفئ غراما وضاء إذ درير الهوى بالمعنّى جمح، .. وعده جانب من عنادي، وعده جانب من لجاجْ. تمت الرسالة الأندلسية. ورمزت لها (هـ)

مصورة جامعة ليبزج (Leipzig)، وهي منسوخة بخط نسخ واضح، وعليها تعليقات، مختلفة المسطرة، كتب على صفحة العنوان كتب عليها هذا كتاب في علم العروض تأليف أبي عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي نفعنا الله به. آمين. وتبتدئ بقوله: قال الفقير إلى الله الغني أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي رحمة الله عليه: أحمد الله وأتوكل عليه، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد، فقد قصدت أن أذكر في هذا المختصر علل الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاثة والستين..

وانتهت بقوله: دارك القوم تطفى غراما وضاء إذ درير الهوى بالمعنّى جمحْ. وقد رمزت لها بالرمز (و)

مصورة ثانية مصورة جامعة ليبزج (Leipzig)، مكتوبة بخط فارسي واضح، مسطرتها مختلفة؛ حيث صفحُتها الأولى والثانية بلغت ثلاثة وعشرين سطرًا، والباقي مختلف، وتبتدئ بقوله: أخبرنا الشيخ الإمام العالم العامل رضي الدين بن أبي بكر بن خليل فتح الله له في مدته دائمًا على كافة

المسلمين في بركته قال: أخبرنا الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الهروي،[1] قال أخبرنا الشيخ الأديب عفيف الدين أبو الجيش محمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي النحوي رحمه الله قال: قصدت في هذا المختصر علل الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاثة والستين.." وهذه النسخة هي الوحيدة التي ذكرت بسند التلقي والنقل عن الشيوخ. ورمزت لها بالرمز (ز)

مصورة نسخة جامعة بلغراد صربيا، المحفوظة برقم ، ٤٣,٧٢٥ ، وهي مكتوبة بخط فارسي، تبدأ بقوله: قال الفقير إلى الله الغني أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي رحمة الله عليه: أحمد الله وأتوكل عليه، وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد، فقد قصدت أن أذكر في هذا المختصر علل الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاثة والستين.. وتنتهي بقوله : دارك القوم تطفى غراما وضاء إذ درير الهوى بالمعنّى جمحْ. تمت الرسالة. ورمزت لها بالرمز(ح)

مصورة جامعة الإمام محمد بن سعود، برقم ٦٩٠، وهي مصورة عن مخطوط في مكتبة عيون السود بالشام برقم /١٧/ وناسخها هو إسماعيل بن مصطفى الشربيني الشهير بابن المصري السقّال، عام ١٢٥٩هـ وهي عشر أوراق بمقاس ٢٣×١٦سم، مختلفة المسطرة. تبتدئ بقوله أحمد الله وأتوكل عليه، وأصلي على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين، قال الفقير إلى الله الغنيّ محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي المغربي، عفا الله عنه وبعد فقد قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض الأربع والثلاثين والضروب الثلاثة والستين خاصة، ولا أتعرض لشيء من زحاف الحشو غالبًا وصنعت ستة عشر بيتًا... وينتهي صلب المخطوطة ببيت دارك القوم تطفئ غراما وضأ إذ درير الهوى بالمعنّى جمح، ويليها زيادات في توضيح ما يصيب التفعيلات من زحافات وعلل، زاد بعدها أبيات منظومة مفاتيح للبحور من نظم الحكيم البيري وختام المخطوطة توثيق الناسخ تم تحريرها قبل طلوع فجر الأحد من شهر محرم الحرام في عشرين منه من سنة تسع وخمسين بعد المائتين والألف. من هجرة نبينا صاحب العز والشرف صلى الله عليه وسلم ورضي عن آله وأصحابه وعنا وعن كل المسلمين وذلك بقلم أفقر عباد الله تعالى وأحوجهم إلى جوده ومغفرته إسماعيل بن مصطفى الشربيني الشهير بابن المصري السقّال، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ لهم الفاتحة وللمسلمين آمين. ورمزت لها بالرمز(ط)

---

(١) لم أعثر على ترجمة دقيقة للاثنين توصلني إلى طبيعة العلاقة بينهما وبين أبي الجيش وطريقة التلقي التي تم بها نقل سند المخطوطة، وإن كان السند يوحي بالتلقي والسماع المباشر. وقد جدت معلومات عن ابن خليل على النحو الآتي: ابْن خَلِيل الْمَكِّيّ مُحَمَّد بن أبي بكر بن خَلِيل بن إِبْرَاهِيم بن يحيى ابْن فَارس الإِمَام رَضِي الدّين الْمَعْرُوف بِابْن خَلِيل الْمَكِّيّ الشَّافِعِي شيخ الْحرم ولد سنة ثَلَاث وَثَلَاثِينَ وروى عَن ابْن الجميزي وَغَيره وَكَانَ فَقِيهًا عَالمًا متفننًا ذَا فَضَائِل ومعارف وَعبادَة وَصَلَاح وَحسن أَخْلَاق سمع مِنْهُ ابْن الْعَطَّار البرزالي وَأَجَازَ للشَّيْخ شمس الدّين مروياته توفّي سنة سِتّ وَتِسْعين وسِتمِائَة) وزمن معاشه ليس بعيدًا عن زمن المصنف إذ يفصله عن وفاة أبي الجيش(٦٢٦) سبعين سنة، انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ج/٨، مكتبة ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٤٣٤، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: د حسن حبشي، ج/١، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١١٤، ويمكن التأكد من هذه المسألة بمعرفة المقصود الحقيقي بشخص شمس الدين محمد بن أحمد الهروي.



صورة الورقة الأولى من المخطوطة(أ)



صورة الورقة الأخيرة من (أ)

النص المحقق

مختصر أبي الجيش المغربي الأندلسي في علم العروض

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقير إلى الله الغني عز وجلّ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي المغربي: أحمد الله، وأتوكل عليه وأصلي على نبيه محمد، وآله وأصحابه أجمعين، (١) وبعد، فقد قصدت في هذا المختصر أن أذكر علل الأعاريض الأربع والثلاثين، والضروب الثلاثة والستين خاصة، ولا أتعرض لشيء من زحاف الحشو غالبًا، وصنعت فيه ستة عشر بيتًا، أول لفظة من البيت تعطي اللقب، إما اشتقاقًا أو مضارعة تسامحًا* ، وآخر العروض حرف من حروف أبي جاد يعطي عدد العروض، والعروض آخر جزء من الشطر الأول من البيت، وأول حرف من الشطر الثاني يعطي عدد الضروب، والضرب آخر جزء من الشطر الثاني من البيت. وجعلت روي البيت يعطي عدد الأجزاء، والحروف المذكورة هي هذه:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط (٢)

وخرجت من كل بيت فروع الأصل، وجعلت روي الفرع(٣) يعطي رتبته من العدد أيضًا. والأجزاء التي يتركب(٤) الشعر منها سبعة: جزآن منها خماسيان، وهما: فعولن وفاعلن، وخمسة منها سباعية وهي: متفاعلن ومفاعلتن ومستفعلن ومفاعيلن وفاعلاتن، وليس منها مفعولاتُ عند الجوهري(٥). وهذه الأجزاء تتركب من سبب ووتد وفاصلة، فالسبب نوعان خفيف، وهو متحرك بعده ساكن، نحو قم، وثقيل وهو متحركان نحو لَكَ، والوتد أيضًا نوعان مجموع وهو متحركان بعدهما ساكن نحو لكم،

(١) في (ح): "قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد المعروف بأبي الجيش الأندلسي الأنصاري رحمه الله، أحمد الله وأتوكل عليه، وأصلي على نبيه محمد المنعوت بالفصاحة والبيان، وعلى آله وأصحابه رؤساء أهل الإيمان أما بعد" وفي (ط): "أحمد الله وأتوكل عليه وأصلي على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ، قال الفقير إلى الله الغني محمد المعروف بأبي الجيش الأنصاري الأندلسي المغربي، عفا الله عنه، وبعد.."

* التسامح: العدول عن الظاهر لظهور المراد(حاشية الناسخ أ)

(٢) يقابل كل حرف من الحروف رقم على النحو التالي

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩

(٣) في و، ط: (حرفا) وهي زيادة من الناسخ؛ لأن مصطلح الروي يدل على ذلك دون حاجة إلى كلمة حرف.

(٤) كذا في (ب)، (ج) أما في (أ) تتركب وهو تصحيف.

(٥) أبو نصر حماد بن إسماعيل الجوهري، صاحب عروض الورقة، وكتاب الصحاح، والمصنف يقصد وأما مفعولات، فليس بجزء صحيح، على ما يقوله الخليل وإنما هو منقول من مستفعلن مفروق الوتد؛ لأنه لو كان جزءا صحيحا لتركب من مفرده بحرٌ، كما تركب من سائر الأجزاء. الجوهري، عروض الورقة، تحقيق محمد العلمي، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٤م ص١١

ومفروق وهو متحركان بينهما ساكن نحو قالَ، والفاصلة أيضًا نوعان: صغرى وهو ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو بلغا، وكبرى وهي أربع متحركات بعدها ساكن نحو بَلَغَكُم، ويجمعها لم أر على رأس جبل سمكتن.[1]

ولابد من ذكر ألقاب العلل وهي: الخبن وهو حذف الثاني الساكن، والإضمار إسكانه إن كان متحركا، والطي وهو حذف الرابع الساكن،[١/ب] والخبل الخبن مع الطي، والقبض حذف الخامس الساكن، والعصب إسكانه إن كان متحركًا، والقصر وهو حذف ساكن السبب ثم إسكان متحركه، والقطع فعل ذلك في الوتد، والكفّ وهو حذف السابع الساكن، والكسف حذفه إن كان متحركًا، والوقف إسكان ما قبله، والكسف والوقف يختصان بمفعولاتُ، والقطف حذف سبب خفيف وإسكان ما قبله، ويختص بمفاعلتن، والحذّ حذف وتد مجموع، والصلم حذف المفروق، والتشعيث وهو حذف متحرك من وتد فاعلاتن، والحذف إسقاط سبب خفيف، والبتر حذف سبب خفيف، وقطع ما بقي، والجَزْءُ حذف جزأين من الشطرين، والشَّطر حذف نصف البيت، والنَّهك حذف ثلثي البيت، والترفيل زيادة سبب خفيف، والإذالة زيادة حرف ساكن في وتد مجموع، والتسبيغ زيادة ساكن في سبب خفيف، والتعرية سلامة جزء من العلة بالزيادة، مع جواز أن لا يسلم.

---

(١) يرى البعض أنّ الفاصلة الصغرى تتكون من سببين ثقيل وخفيف، والفاصلة الكبرى تتكون من سبب ثقيل ووتد مجموع، يقول الزمخشري: وإذا اقترن السببان متقدما الثقيل منهما على الخفيف سُمّي ذلك الفاصلة الصغرى، مثل (متفا) من متفاعلن، وإذا اقترن السبب الثقيل والوتد المجموع متقدمًا سمي ذلك الفاصلة الكبرى، مثل فَعَلَتُنْ. انظر الزمخشري، القسطاس في علم العروض، ص٢٦، ٢٧. أما ابن جني فلم يفصل الأمر على ذلك النحو واكتفى بقوله: "والفاصلة على ضربين صغيرة وكبيرة، فالصغيرة ثلاثة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن، نحو ضَرَبَتْ، دَخَلَتْ، فإذا، والكبيرة أربعة أحرف متحركة بعدها حرف ساكن، نحو: ضَربنا، دخلنا."ابن جني، كتاب العروض، تحقيق أ.د.حسني عبد الجليل يوسف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ط١، ٢٠٠٧م، ص٤١، انظر أيضا ابن القطاع (أبو القاسم علي بن جعفر)، كتاب البارع في علم العروض، تحقيق د: أحمد محمد عبد الدايم، المكتبة الفيصلية، مكة، ط٢، ١٩٨٥، ص٨٦.

ولنبدأ[1] بالأبيات

بحر الطويل

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مرتين

طـويـل عـلـى الـلـيـل إذ بــت كـالـئـا[2]   [3] جـنـوح الـدجـا والليل ينقد للجنح[4]

فـعـولـن مـفـاعـيـلـن فـعـولـن مـفـاعـلـن   فـعـولـن مـفـاعـيـلـن فـعـولـن مـفـاعـيـلـن

طـويـلٌ عـلـىً الـلـيـلَ إذ بــتُّ هائما   جنوح الـدجى والنجم قد حار مذهبا[5]

فـعـولـن مـفـاعـيـلـن فـعـولـن مـفـاعـلـن

وأيـقـنـت أن الـعـذل إفـكٌ مـداجٍ[6]

فـعـولـن مـفـاعـيـلـن فـعـولـن فـعـولـن

المديد عروضه ثلاثة، ضروبه ثلاثة، أجزاؤه ستة

أصله فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن مرتين[٢/أ]

مـدَّ بـاعـا فـي الـتَّـجـنِّـي ولـجـا[7]   [8]وانـثـنـى يـثـنـيـه تـيـه وزهـو[9]

فـاعـلاتـن فـاعـلـن فـاعـلاتـن   فـاعـلاتـن فـاعـلـن فـاعـلاتـن

مـد بـاعـا فـي مـنـاواتِـه   بـعـدمـا أغـلـقـت بـاب الـعـتـاب[10]

[فـاعـلاتـن] فـاعـلـن فـاعـلـن   فـاعـلاتـن فـاعـلـن فـاعـلاتْ

---

(١) كذا في أ، وفي (ب) بداية الأبيات وفي (ج/ز) ولنبدأ بالأبيات، وفي (د) ابتداء الأبيات، وفي (هـ) وابتداء الأبيات. وفي (ز) ابتداء الأبيات، وفي (ط) ولنبدأ بالأبيات بعون الملك الوهاب

(٢) يشير حرف الهمزة في كلتا نهاية الشطر الأول إلى أن للطويل عروضًا واحدة هي مفاعلن.

(٣) تدل الجيم في أول الشطر الثاني إلى أن للطويل ثلاثة أضرب

(٤) الحاء في الضرب وهو الروي، يشير إلى عدد التفعيلات وهي ثماني تفعيلات، . وفق الترتيب الذي أشار إليه المصنف عندما ذكر الحروف الأبجدية أو وفق قوله حروف (أبي جاد)، حيث الهمزة تشير إلى ١ والجيم تشير إلى٣ والحاء تشير إلى ٦.

(٥) يشير حرف الروي الباء إلى الضرب الثاني للطويل وهو مفاعلن.

(٦) يشير روي الجيم هنا إلى مرتبة الضرب الثالث وهو فعولن

(٧) يشير الجيم إلى أن للمديد ثلاث أعاريض؛ صحيحة فاعلاتن، ومحذوفة فاعلن، ومحذوفة مخبونة فعلن،

(٨) للمديد ستة ضروب كما يدل حرف الواو. الأول صحيح كالعروض. والثاني محذوف كعروضه، والثالث مقصور فاعلاتْ، والرابع أبتر فعلن، ومع العروض الثالثة وهي مخبونة محذوفة، ضربان الأول: مخبون محذوف فعلن، والثاني أبتر فعْلن

(٩) المديد سداسي الأجزاء كما تشير الواو ورقمها ٦.

(١٠) الضرب الثاني فاعلاتْ

مـــد بــاعــا فــي مــنــاواتـــه بــعــد مــا أغــلــقــت بـــاب الـــحـــرج[١]

مـــد بــاعــا فــي مــنــاواتــه بــعــد مــا دانــا لإبــعـــدِ[٢]

فـــاعـــلاتـــن فـــاعـــلـــن فـــعْـــلـــن

مـــد بــاعــا فــي تــجــنــبــه هــيــج الــشــكــوى تــجــنُّــبُــهُ[٣]

فـــاعـــلاتـــن فـــاعـــلـــن فَــعِـــلـــن فـــاعـــلاتـــن فـــاعـــلـــن فَــعِـــلـــن

مـــد بــاعــا فــي تــجــنــبــه هــيَّــج الأوصـــاب إذ نـــاوى[٤]

فـــاعـــلاتـــن فـــاعـــلـــن فَـــعْـــلـــن

البسيط

أصله مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مرتين

ابــسـط رجــاءك بـــالأيـام مـبـتـهـجـا[٥] [٦]واغــنـم مـن الأنـس قـبـل الـشـيـب مـا سـنـحـا[٧]

مـسـتـفـعـلـن فـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعـلـن

ابـسـط رجـــاءك بـــالأيـــام مـبـتـهـجـا واغـنـم مـن الأنـس قـبـل الـشَّـيـب مـا شـبَـا[٨]

مـــســـتـــفـــعـــلـــن فـــعْـــلـــن

ابـــســـط رجـــاء لـــوصـــل كُـــذبَـــتْ فـيـه ظـنـون فـتـاهـت فـي لـجـاج[٩]

مـــســـتـــفـــعـــلـــن فـــاعـــلـــن مـــســـتـــفـــعـــلـــن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلـن مـسـتـفـعـلانْ [٢/ب]

ابـــســـط رجـــاء لـــوصـــلٍ كُـــذبَـــتْ فـــيـــهِ ظـــنـــون تُـــرَوي مـن صـــدي[١٠]

مـــســـتـــفـــعـــلـــن فـــاعـــلـــن مـــســـتـــفـــعـــلـــن

ابـــســـط رجـــاء لـــوصـــل كـــذبـــت فـــيـــه ظـــنـــون تـــرد الـــســـاهـــي[١١]

---

(١) الضرب الثالث فاعلن محذوف، كعروضه.

(٢) الضرب الرابع أبتر فعْلن، وعروضه محذوفة فاعلن

(٣) الضرب الخامس محذوف مخبون فعلن

(٤) الضرب السادس أبتر فعْلن.

(٥) يشير الجيم في مبتهجا إلى أنّ للبسيط ثلاث أعاريض، مخبونة (فعلن)، في البسيط التام، ولها ضربان مخبون (فعلن)، ومقطوع فعْلن، أما المجزوء فله عروضان الأولى صحيحة (مستفعلن)، والثانية مقطوعة (مفعولن)

(٦) يشير الواو إلى أن للبسيط ستة ضروب.

(٧) تشير الحاء إلى أنّ البسيط يتكون من ثمانية أجزاء

(٨) روي الباء يشير إلى الضرب الثاني المقطوع فعْلن

(٩) يشير الجيم إلى الضرب الثالث وهو مذال (مستفعلان) بزيادة ساكن على آخر الوتد المجموع

(١٠) يشير الدال إلى الضرب الرابع وهو صحيح (مستفعلن)

(١١) الهاء ترمز إلى الضرب الخامس مع وهو مقطوع (مفعولن)

مستفعلن فاعلن مفعولن

ابسط رجاء مع الأوجال[1]	وارقب نضارة غصن ذاوٍ[2]
مستفعلن فاعلن مفعولن	مستفعلن فعلن مفعولن

الوافر

أصله مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مرتين

توافرت المنى وجنيت رطبا[3]	[4]جنيَ مواصلاتك غير ذاوٍ[5]
مفاعلتن مفاعلتن فعولن	مفاعلتن مفاعلتن فعولن
توافرَ حظ ذي أملٍ	ويسر عطفكم أربا[6]
مفاعلتن مفاعلتن	مفاعلتن مفاعلتن
توافرَ حظ ذي أملٍ	وصار وصالكم هزجا[7]

مفاعلتن مفاعيلن

الكامل أصله متفاعلن متفاعلن متفاعلن مرتين

وكملت لا أحد يفوقك فانتهج[8]	[9]طرق السيادة في علوك واستوي[10]
متفاعلن متفاعلن متفاعلن	متفاعلن متفاعلن متفاعلن

---

(١) في (ب) الأوجالِ وذاوٍ وهي الصواب، وكتبت في (أ) الأوجالي بإشباع الكسرة وكتب الناسخ بجوارها جمع وجل. وكذلك ذاوي كتبت بإشباع الكسرة، وجدير بالذكر أن المصنف أغفل الضرب المخبون بعد القطع الذي يتحول إلى فعولن فيما يسمى بمخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن مرتين. راجع، ابن جني، العروض، تحقيق، أ.د حسني عبد الجليل يوسف، دار السلام القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ ص٥٩، والتبريزي، الوافي في العروض والقوافي، ص، ٦٣

(٢) البيت من مجزوء البسيط، الضرب مقطوع، وهو الضرب السادس من ضروب البسيط.

(٣) التاء تشير إلى أن للوافر عروضين، كما يقول العروضيون الأولى في التام دائما تكون مقطوفة (فعولن) والقطف يعني اجتماع العصب مع الحذف، والثانية في المجزوء صحيحة (مفاعلتن)

(٤) الجيم تعني أن للوافر ثلاثة ضروب.

(٥) تعني الواو أن أجزاء الوافر ستة.

(٦) التاء تدل على الضرب الثاني، في المجزوء وهو صحيح (مفاعلتن)

(٧) الجيم رمز الضرب الثالث وهو معصوب (مفاعيلن.)

(٨) الجيم في تعني أن للكامل ثلاثة أعاريض.

(٩) الطاء تعني أن للكامل تسعة ضروب.

(١٠) كذا في الأصل وهي عادتهم في إثبات الإشباع والصواب تركه، حيث يثبت في الكتابة العروضية والتقطيع. وروي الواو يعني أن الكامل التام يتكون من ستة أجزاء. وفيها الضرب الأول وهو صحيح (متفاعلن)

وكـمـلـت لا أحـد يـفـوقـك فـي عـلأ   وطـلـعـت فـي أفـق الـكـمـلِ شـهـابـا[1]

متفاعلن   متفاعلن   متفاعلن   فـعـلاتـن [٣/أ]

وكـمـلـت لا أحـد يـفـوقـك فـانـتـهـج   طـرق الـعـلا سـبـبـا إلـى الـفـلـجِ[2]

مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـلـن

وكـمـلـت لا أحـد يـفـوقـك فـي   شـرفٍ وغُـوْدَ كـفُّـك الـصـفـدا[3]

مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـلـن   مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـلـن

وكـمـلـت لا أحـد يـفـوقـك فـي   شـرفٍ وتـصـفـد نـيِّـر الـوجـهِ[4]

فـعـلـن متـفـاعـلـن متـفـاعـلـن فـعْـلـن

وكـمـلـت لا أحـد يـفـو   قـك فـاقـمـع الـحـنـق الـمـنـاوي[5]

مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلاتـن

وكـمـلـت لا أحـد يـفـو   قـك فـامـح بـالـحِـكـمِ الـمـجـازْ[6]

مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلان

وكـمـلـت لا أحـد لـه   أمـل لـغـيـرك يـسـنـح[7]

مـتـفـاعـلـن   مـتـفـاعـلـن متفاعلن

وكـمـلـت إذ طـفـحـت كـؤو   س نـداك فـارو وعـاطِ[8]

مـتـفـاعـلـن مـتـفـاعـلـن   مـتـفـاعـلـن فـعـلاتـن

الهــزج

---

(١) الباء تعني الضرب الثاني للكامل التام وهو مقطوع متفاعلْ، حيث حذف ساكن الوتد الأخير وسكن ما قبله وتحول إلى (فعلاتن)

(٢) الجيم تعني الضرب الثالث مع العروض الصحيحة، وهو أحذ محذوف وتده الأخير (مُتَفَا) ويتحول إلى (فعلن)

(٣) الدال تعني الضرب الرابع للكامل، وهو أول ضربٍ تابع للعروض الحذاء، وهو أحذّ (فِعْلُن)

(٤) الهاء تعني الضرب الخامس وهو الثاني التابع للعروض الحذاء، وهو أحذ مضمر (فعْلن)

(٥) الواو تعني الضرب السادس للكامل وهو الأول من المجزوء، مرفل بزيادة سبب خفيف على آخره، (متفعلاتن)

(٦) الزاء تشير إلى الضرب السابع وهو الثاني من المجزوء، مذال بزيادة ساكن على آخره (متفاعلانْ)

(٧) في (أ، ج، ح) يُنْجح ،وفي (ح) :يُنْجَحُ، وفي (ه، و، ز، ط) يَنْجَحُ وفي (ب) يسنحُ، والحاء تشير إلى الضرب الثامن للكامل، وهو الثالث من المجزوء صحيح (متفاعلن)

(٨) الطاء تشير إلى الضرب التاسع للكامل، وهو الرابع من مجزوئه مقطوع بحذف ساكن وتده وتسكين ما قبله متفاعلْ (فعلاتن)

أصله مفاعيلن ست مرات[1]

هـزجـتـم إذ دنـا نـاءٍ[2]	[3]بـرى جثمانه الـوجـدُ[4]
مـفـاعـيـلـن مفاعيلن	مـفـاعـيـلـن مفاعيلن
هـزجـتـم إذ دنـا نـاءٍ	بـرئ مـن عـتـابِ[5]

مـفـاعـيـلـن فـعـولـن [٣/ب]

الرجز

أصله مستفعلن ست مرات

رجَـز فـإن مـالـوا لـنـا عـن مـوعـدٍ[6]	[7]هـاجـت بـلابـيـل الـفـؤاد الـمُـنْـهَـوَي[8]
مـسـتـفـعـلـن مستفعلن مستفعلن	مـسـتـفـعـلـن مستفعلن مستفعلنْ
رجَـز فـإن مـالـوا لـنـا عـن مـوعـدٍ	فـالـخـلـف مـن أحـبـابـنـا مـحـبـوبُ[9]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن مـفـعـولـن

رجَـز فـإن مـالـوا لـنـا	عـن مـوعـد فـلـنـرتـجـي[10]
مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن	مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن

رجَـز فـمـا مـالـوا لـنـا عـن مـوعـد[11]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن

رجز فحسب الواله [12]مستفعلن مستفعلن

---

(١) كذا في (أ)، و (ج) كأنه أراد الاختصار لتشابه التفعيلة، وقد كتب في (ب) البحر الهزج أصله مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مرتين.

(٢) الهمزة تعني أن للهزج عروضا واحدة

(٣) الباء تشير إلى أن للهزج ضربين.

(٤) الدال تعني أن الهزج رباعي الأجزاء. وفيها الضرب الأول وهو صحيح (مفاعيلن)

(٥) الباء تشير إلى الضرب الثاني وهو محذوف (فعولن)

(٦) الدال تعني أن للرجز أربع أعاريض.

(٧) الهاء تعني أن للرجز خمسة ضروب

(٨) الواو تعني أن الرجز سداسي الأجزاء. وفيها الضرب الأول وهو صحيح (مستفعلن)

(٩) الباء تشير إلى الضرب الثاني وهو مقطوع (مفعولن)

(١٠) الجيم تشير إلى الضرب الثالث وهو صحيح (مستفعلن) والبيت مجزوء.

(١١) الدال تشير إلى الضرب الرابع وهو صحيح مستفعلن والبيت مشطور ثلاثي.

(١٢) الهاء تشير إلى الضرب الخامس وهو صحيح (مستفعلن) والبيت منهوك ثنائي

الرمل

أصله فاعلاتن ست مرات

مرمل من وصل غِرٍّ واثبِ[1] [2]وثبة الليث محبٌّ فيه ثاوي[3]

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن

مرمل من وصل غرٍّ واثبٍ وثبة الليث مُروّى بالسَّرابِ[4]

فاعلاتن فعلاتن فاعلاتْ

مرمل من وصل غرٍّ واثبٍ وثبة الليث مروّعٌ بالغنَجْ[5]

فاعلاتن فعلاتن فاعلن

مرمل من وصل غرٍّ[6] يشتكي من طول إبعادِ[7]

فاعلاتن فاعليان [٤/أ]

مرمل من وصل غرٍّ ماله في الحسن شبهْ[8]

فاعلاتن فاعلاتن

مرمل من وصل غرٍّ واصلٍ حبل النَّوى[9]

فاعلاتن فاعلن

---

(١) الياء تعني أن للرمل عروضين.

(٢) الواو تعني أن للرمل ستة ضروب.

(٣) واو الروي تعني أن الرمل سداسي، وفيها الضرب الأول وهو صحيح (فاعلاتن)

(٤) الباء تشير إلى الضرب الثاني وهو مقصور؛ أي محذوف آخر سببه ومسكن ما قبله (فاعلاتْ)

(٥) جيم الروي تشير إلى الضرب الثالث وهو محذوف؛ أي حذف سببه الأخير فصار (فاعلن)

(٦) في (أ) زيادة واثبٍ وهي تخل بوزن مجزوء الرمل. والصواب ما أثبتُّه.

(٧) في نسخة ليبزج يشكي طول إبعاد فعلاتن فاعلّان، وكذلك في (ب) يشكّى طول إبعاد، والدال تشير إلى الضرب الرابع، الأول من مجزوء الرمل، وهو مسبغ بزيادة ساكن على آخره (فاعليّان) أو (فاعلاتان)

(٨) تشير الهاء إلى الضرب الخامس، الثاني من مجزوء الرمل وهو صحيح (فاعلاتن)

(٩) تشير الواو إلى الضرب السادس، الثالث للمجزوء، وهو محذوف (فاعلن)

السريع

أصله مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مرتين

أسـرعـت فـي آثـارهـم جـاهـدا[1]	[2]وآخـيـت صـبـرا يستميل الـمـنـاو[3]
مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلـن	مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلات
أسـرعـت فـي آثـارهـم جـاهـدا	وأخـيـت ذلّ الـصـبـر إذ أوَّبـوا[4]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلـن

أسـرعـت فـي ءاثـارهـم جـاهـدا	واصـلـت إسـنـادا بـإدلاج[5]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعْـلـن

أسـرعـت فـي آثـارهـم ولـهـا	إن أبـعـدوا الـهـيـمـان مـا بـعـدا[6]
مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعـلـن	مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعـلـن

أسـرعـت فـي آثـارهـم وا شـوقـاه[7]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن مـفـعـولاتْ

أسـرعـت فـي ءاثـارهـم ذا شـجـوى[8]

مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن مـفـعـولـن

المنسرح

أصله مستفعلن مفعولات مستفعلن مرتين

سـرحـت طـرفـي فـي حـسـن ذي غـنـجٍ[9]	[10]جُـنَّـت بـه ألـبـاب الـورى وهـوى[11]
مـسـتـفـعـلـن مـفـعـولاتُ مـفـتـعـلـن	مـسـتـفـعـلـن مـفـعـولات مـفـتـعـلـن[٤/ب]

---

(١) الدال تعني أن للسريع أربعة أعاريض.

(٢) الواو تعني أن للسريع ستة ضروب.

(٣) روي الواو يعني أن السريع التام سداسي الأجزاء. وفيها الضرب الأول مطوي موقوف (فاعلاتْ)

(٤) روي الباء يشير إلى الضرب الثاني، وهو مطوي مكسوف، (فاعلن)

(٥) روي الجيم يشير إلى الضرب الثالث، وهو أصلم (فعْلن)

(٦) روي الدال تشير إلى الضرب الرابع، وهو مخبول مكسوف، (فعلن)

(٧) روي الهاء يشير إلى الضرب الخامس، الأول من مشطور السريع، وهو موقوف ساكن السابع (مفعولاتْ)

(٨) روي الواو يشير إلى الضرب السادس وهو مكسوف (مفعولن)

(٩) الجيم تعني أن للمنسرح ثلاثة أعاريض.

(١٠) الجيم في صدر العجز تشير إلى أن للمنسرح ثلاثة أضرب.

(١١) الواو يعني أن المنسرح سداسي الأجزاء. وفيها الضرب الأول وهو مطوي محذوف الرابع (مفتعلن)

سرّح الحبُّ الأحباب[١] مستفعلن مفعولات

سرح لحبّ الدعجا[٢] مستفعلن مفعولن

الخفيف

أصله فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين

خفّ حملي ابعاذ غرٍّ لجوجٍ[٣]	[٤]هاج لا يثني من عنان المناوي[٥]
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن	فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
خفُّ حملي ابعاذ غرٌ لجوجٍ	هاج لا يثني عطفه من نشب[٦]

فاعلاتن مستفعلن فاعلن

خفُّ حملي ابعد غر غدا	يرتمي سهمُ جفنِه في المهج[٧]
فاعلاتن مستفعلن فاعلن	فاعلاتن مفاعلن فاعلن
خف حملي كذُ الهوى	والتذاذى فيه الردى[٨]

فاعلاتن مستفعلن

خف حملي كد الهوى	لم أُروِّعْ بتيهِ[٩]
فاعلاتن مستفعلن	فاعلاتن فعولن

---

(١) الباء تشير إلى الضرب الثاني، وضربه موقوف (مفعولاتْ) وهو العروض نفسه؛ لأن البيت منهوك.

(٢) الجيم يشير إلى الضرب الثالث، مع العروض المنهوكة، وهو مكسوف (مفعولن)

(٣) الجيم تعني أن للخفيف ثلاثة أعاريض.

(٤) الهاء تعني أن للخفيف خمسة أضرب.

(٥) الواو تعني أن الخفيف التام، سداسي الأجزاء. وفيها الضرب الأول وهو صحيح (فاعلاتن)

(٦) الباء تشير إلى الضرب الثاني، وهو محذوف السبب الأخير (فاعلن)

(٧) الجيم تشير إلى الضرب الثالث، مع العروض الثانية المحذوفة، وهو محذوف مثلها (فاعلن)

(٨) ورد هذا البيت في (أ) متأخرًا عن البيت (لم أروع بتيه) وتقديمه كما أثبت هو الصواب تساوقا مع منهج المصنف في دلالة حرف الروي على ترتيب الضرب، والدال تسبق الهاء في الترتيب. الدال تشير إلى الضرب الرابع لمجزوء الخفيف، وعروضه صحيحة (مستفعلن) وكذلك ضربه (مستفعلن).

(٩) تشير الهاء إلى الضرب الخامس، الثاني لمجزوء الخفيف، وهو مشكول، فيه خبن أي حذف الثاني الساكن، وقصر أي حذف السابع، وهو ثاني سبب وإسكان ما قبله فتصير (فعولن)

المضارع

أصله مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن مرتين

ضـرعـنـا لـعـزٍّ نـاءٍ[1] [2]أعـاد الـكـرى سـهـادي [3]

مـفـاعـيـلُ فـاعـلاتـن مـفـاعـيـلُ فـاعـلاتـن

الـمـقـتـضـب

أصله مفعولات مستفعلن مستفعلن مرتين[٥/أ]

اقـتـضـبـت مـن رشـأٍ[4] [5]أن وهـبـتـه خـلـدي[6]

فـاعـلاتُ مـفـتـعـلـن فـاعـلات مـفـتـعـلـن

المجتث أصله مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين

أجـتـث أن لاح ضـوءٌ[7] [8]أجـلـو بـه لـيـل بـعـدي[9]

مـسـتـفـعـلـن فـاعـلاتـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلاتـن

المتقارب

أصله فعولن ثماني مرات

تـقـاربـتُ إذ شـمـروا لـلـذهـابِ[10] [11]وحـبّـي لـهـم مـالـه مـن بـراحِ[12]

فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن

---

(١) الهمزة تعني أن للمضارع عروضا واحدة. وهي صحيحة (فاعلاتن)

(٢) الهمزة في صدر العجز تعني أن للمضارع ضربا واحدا. وهو صحيح (فاعلاتن)

(٣) الدال تعني أن المضارع رباعي الأجزاء

(٤) الهمزة تعني أن للمقتضب عروضًا واحدة، مطوية (مفتعلن)

(٥) الهمزة تعني أن للمقتضب ضربًا واحدًا، وهو مطوي (مفتعلن)

(٦) الدال تعني أن المقتضب رباعي الأجزاء.

(٧) الهمزة في العروض تعني أن للمجتث عروضًا واحدة. وهي (فاعلاتن)

(٨) الهمزة في صدر العجز تعني أن للمجتث ضربًا واحدًا، وهو صحيح (فاعلاتن)

(٩) الدال تعني أن المجتث رباعي الأجزاء.

(١٠) الباء تعني أن للمتقارب عروضين.

(١١) الواو تعني أن للمتقارب ستة أضرب.

(١٢) تدل الحاء على أن المتقارب ثمانيّ الأجزاء. وفيها الضرب الأول وهو صحيح (فعولن)

تـقـاربـت إذ شـمـروا لـلـذهـابِ وحـبّـي لـهـم مـالـه مـن ذهـابْ[1]

فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولْ

تقاربت إذ شمروا للذهابِ

وأغـلـقـت بـالـصـبـر بـاب الـحـرجْ[2] فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعـل

تـقـاربـت إذ شـمـروا لـلـذهـاب مـتـى أبـعـد الـصـب لـم يـبـعـدْ[3]

فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن فـعْ

تقاربت إذ شمروا

ولـبـيـنـت داعـي الـولـه[4] فـعـولـن فـعـولـن فـعـل

فـعـولـن فـعـولـن فـعـل تـقـاربـت إذ شـمـروا

إلـى ظـلـهـم آوي[5] فـعـولـن فـعـولـن فـع [٥/ب]

المتدارك

أصله فاعلن ثماني مرات

دارك الـقـوم تـطـفـى غـرامـا وضـا[6] [7]إذ دريـرُ الـهـوى بـالـمـعـنّـى جَـمـحْ[8]

شـأنـه إنـه مـنـجـزٌ وعـدَه فـارجٌ لـلـكـربْ[9]

---

(١) الباء تدل على الضرب الثاني وهو مقبوض (فعولُ)

(٢) الجيم تدل على الضرب الثالث وهو محذوف (فعل)

(٣) الدال تدل على الضرب الرابع وهو أبتر (فع)، والبعض يكتبها (فل) انظر الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ص١٧١

(٤) الهاء تدل على الضرب الخامس، الأول من المجزوء وهو محذوف (فعلْ)

(٥) الواو تشير إلى الضرب السادس، الثاني من المجزوء، وهو أبتر(فع)

(٦) الهمزة تشير إلى أن للمتدارك عروضا واحدة في شتى صوره، ويجوز فيها الخبن. والقطع، انظر: الجوهري، عروض الورقة، ص٦٨، الكافي: ص ١٧٨

(٧) الهمزة تشير إلى أن للمتدارك ضربا واحدا، وفي هذا تأكيد على الخلل الناجم عن زيادة تلاميذ الشيخ أو النساخ، لأن باقي الأبيات يدلل على زيادة في الحد الذي ذكره أبو الجيش.

(٨) تشير الحاء إلى أن أجزاء المتدارك ثمانية. درير: من در الفرس يدر دريرا ودرة: عدا عدوا شديدا، ومرّ على درئه أي لا يثنيه شيء. ابن منظور، لسان العرب، ج٤ ص ٢٨١

(٩) يشير حرف الباء إلى ترتيب الضرب الثاني، وهو مخبون (فعلن) بتحريك العين.

شأنه إنه منجزٌ وعده جانب من لجاجٌ[1]
شأنه إنه منجزٌ وعده جانب من عنادِ[2]

تمت العروض. [٦/أ][3]

(١) يشير حرف الجيم إلى ترتيب الضرب الثالث، وهو صحيح مذال (فاعلان)

(٢) ورد هذا البيت في(أ) قبل البيت السابق الذي انتهت به المخطوطة (ب) وغيرها. والصواب أن محله في الختام، لأن ترتيب الجيم مقدم على الدال كما علمنا من منهج المصنف، سواء صح أن نظم أبيات المتدارك من نظمه نفسه، أم من نظم تلاميذه. والدال تشير إلى الضرب الرابع وهو سالم مرفل. للمزيد انظر، عبد الرحمن بن عيسى المعمري، الوافي بحل الكافي في علمي العروض والقوافي، ت:أ.د. أحمد عفيفي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،، ط٢، ٢٠١٢، ص٢٢٣، ٢٢٤

(٣) في(أ) كلام منظوم بعد أبيات المتدارك وقبل كلمة تمت العروض واضح أنه من زيادات النساخ وهو على النحو الآتي:

أطل مدتي بسط المدا منك مأمول ... أنل عدتي كف العدى منك مسئول
كملّ توفر حظنا بمكارم ... نطقت بهنَّ غدا تجاهر في العلى
هزجنا رماد أرجوزة فيها ... أغان قد سمعنا عن غوايتها
سرح لضرع مجتث سرع إذا ... ما خف من قضب قل في أرضنا
تقاربته راكضا إذ دعاني ... وراعيت مده إذ دعاني
بحرٌ غريب أصله فاعلاتن ... فاعلاتن مستفعلن مرتين
بحرٌ قريب أصله مفاعيلن ... مفاعيلن فاعلاتن مرتين
بحر مشاكله أصله فاعلاتن ... مفاعيلن مفاعيلن مرتين

مراجع التحقيق

- ابن القطاع، كتاب البارع في علم العروض، تحقيق د. أحمد محمد عبد الدايم، المكتبة الفيصلية، مكة، ط٢، ١٩٨٥م.
- ابن جني، كتاب العروض، تحقيق أ.د حسني عبد الجليل يوسف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة،ط١، ٢٠٠٧م.
- ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: د حسن حبشي، ج/١، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، مصورة عن دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٧م.
- إسماعيل بن محمد البغدادي، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٨٦م.
- الجوهري، عروض الورقة، تحقيق محمد العلمي، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٤م.
- حاجي خليفة، كشف الظنون بأسامي المعارف والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- دافيد تصيمح، على هامش عروض أبي الجيش الأندلسي، مجلة الكرمل، جامعة حيفا، عدد٢، ١٩٨١م.
- شمس الدين محمد بن محمد الدلجي العثماني، رفع حاجب العيون الغامزة عن كنوز الرامزة في علمي العروض والقافية، تحقيق أحمد إسماعيل عبد الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.
- طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في معرفة العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- عبد الحي بن أحمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط مكتبة ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- عبد الرحمن بن عيسى المعمري، الوافي بحل الكافي في علمي العروض والقوافي، ت:أ.د. أجمد عفيفي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٢ م.
- عبد المحسن القيصري ت:٨٧٢هـ بيان مشكلات المختصر في علم العروض، مصورة جامعة الملك سعود، ١/٣٠٣٠.
- عبد المحسن القيصري، شرح العروض للأندلسي، مصورة نسخة عاشر أفندي. (مخطوطة).
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة رمضان عبد التواب، ج/٥، دار المعارف، القاهرة.

«مُـنْـيَـةُ الأَنِـــيـس»

تأليف الحافظ:

شهاب الدين أبي حفص عمر بن أيوب الدمشقي الحنفي

المعروف بابن طُغْرِيل السَّيَّاف

(٦٢٤ - ٦٧٠هـ)

دراسة وتعليق

د. نور الدين بن محمد الحميدي الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

حَصْرُ النظرِ إلى المخطوطِ في كونه وعاءً للمعرفة والعلم فقط يصُدُّ الباحثين عن الإفادةِ من الثراءِ التاريخيِّ والحضاريِّ الذي يَحْفَلُ به المخطوطُ بين دِفَّتَيْه، فلا يزال المخطوطُ منبعًا ثرًّا للتعريفِ بأعلام أهملتهم كتبُ التواريخ أو قصّرت في التعريف بهم، والكشفِ عن معاهدِ العلمِ والتدريسِ في حواضرِ الإسلام، والوقوفِ على وَهَجِ الحراكِ العلميِّ والثقافيِّ في الأقطار المختلفة، وكذا تلمُّسِ تاريخِ نشأةِ دُورِ الكتب والخزائن، هذا وغيرُه تجود به طِباقُ السماعِ في مُفْتَتَحِ المخطوط أو بآخره، وتقييداتُ التملُّكِ والاستعارةِ والقراءةِ والأختام المزبورة على ظهر المخطوط أو في تضاعيف أوراقه، وعدم الالتفات إليها هدر للجانب التأريخي والحضاري في المخطوط.

وهذا المخطوطُ الذي أَحْظَيْتُهُ بالعنايةِ والدراسة، مثالٌ على ما تقدّم التنبيه عليه، فمؤلِّفُهُ ابنُ طُغْرِيلْ - وهو ناسخُهُ -، لم تَجُدْ مصادرُ ترجمته بتفاصيل كبيرة عن حياته، تضمّنها هذا المخطوط منها أن الذهبيَّ جزم بكونه لم يحدِّث[1]، وهذا ما تدفعه طباقُ السماع على المخطوط؛ حيث تضمّنتْ مجموعةً كبيرةً من تلاميذِهِ الآخذين عنه، مما يدلُّ على تصدُّرِ المؤلِّفِ للتحديثِ والإسماع، كما أفادت طباقُ السماع بأسرةٍ علميةٍ بالإسكندريةِ، أصلُها من صعيدِ مصر؛ حيث اشتملتْ على ثلاثة عشر فردٍ من هذه الأسرة، لم تذكر كتبُ التراجمِ سوى واحدٍ منها، على قصورٍ في ترجمته، كما اشتمل المخطوطُ على خطوطٍ لثلاثة أعلام ؛ خطُّ المؤلِّفِ ناسخِ المخطوط وخطُّ عبد الكريم بن عبد الباري، وخطُّ ابْنِهِ محمد [2].

وأما ما اشتمل عليه نصُّ هذا المخطوطِ اللطيفِ من إفاداتٍ علمية، فهو مُقَيَّدٌ بموضوعه، إذ قصد به صاحبُهُ أن يكون تأليفًا في النوادرِ والطُّرَف، فهو من مُلَحِ العلمِ وليس من مَتِينِه، أورد فيه ابنُ طُغْرِيلْ أحاديثَ عالية، وإنشاداتٍ جزْلة، وحكاياتٍ مستغربة، بعضها مما لم أقف عليه عند غيرِهِ، ووَسَمَهُ بعنوانٍ أنيق، ونعتٍ دقيق؛ حيث جعله مُنْيَةَ الأنيس، وبُغيةَ الجليس، يحلو سماعُهُ، وتَعْذُبُ قراءتُهُ، فتُسْتَدْفَعُ بمطالعتِهِ صولةُ الوَحْشة، وتُتَّقَى بمُلَحِهِ ونوادرِهِ وَقْعُ الوحدة، أَسْعف بجَمْعِهِ رغبةَ عالمٍ حبيب،

(١) يُنظر المبحث المتعلِّق بتلاميذ المؤلِّف.

(٢) أوردُ صورةَ المخطوطِ كاملاً مع التنبيه على مواطن خطَّيِ العَلَمين المذكورين.

وحقَّق بتصنيفِهِ رجاءَ مقرئٍ لبيب[1]، فأرجو أن يكون في خدمة هذه الرسالةِ اللطيفةِ ما يُقِرُّ أعين المُحدِّثين وطلَّابَ الأسانيد، ويثلج حفظةَ الأدبِ والأشعار، ويثري جؤنةَ أهلِ التاريخ والسِّيَر، والله المسؤول أن يتجاوز عما يشوب جهدي من نقصٍ وقصورٍ بمنِّهِ وكرمه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

(١) نصصت على أن العَلَمَ الذي ألف ابن طغربك لأجله، هو المقرئ الحافظ عبد الكريم بن عبد الباري.

ترجمة المؤلف[1]:

اسمه ونسبه ونِسْبته وكُنْيته ولقبه:

سيف الدين أبو حفص عمر بن الشيخ الأمين نجم الدين أبي المجد أيوب بن جمال الدين عمر بن أَرَسْلاَنْ بن جَاوِلِي بن يَلْمَشْ التُّرْكُمَانِي، الدِّمِرْدَاشِي، الدِّمَشْقِي، الحنفي[2].

يُكنَّى أبا حفص، ويلقَّب بسيف الدين، واشْتُهِر بنسبةِ ابنِ طُغْرِيلْ الشَّيَّاف.

مولده ونشأته:

المُتَرْجَمُ له يُخْبِرُ عن نفسِهِ بأنَّه لا يَضْبِطُ تاريخَ مولدِهِ على وجْهِ التحديد، إلا أن الرواية عنه اختلفت في ذلك؛ حيث قال عز الدين الحسيني: " ومولده بدمشق في سنة خمس وعشرين وستمائة تخمينًا "[3].

بينما نقل عبد الكريم بن عبد الباري الصَّعِيدِي في آخر طبقة السماع: " سألت المُخَرِّجَ عن مولده، فقال: بالتخمين سنة أربع وعشرين وستمائة، والمُخَرِّجُ المذكور سيف الدين، والحمد لله وحده ".

ولعل هذا الاختلافَ يَرْجِعُ إلى ابنِ طُغْرِيلْ الذي لا يتيقَّن تاريخَ مولده، فكان تارة يخبر بالتاريخ الأول وتارة بالثاني.

وتُنْبِئُ تحليةُ والدِ المؤلِّفِ بـ"الشيخ الأمين" بأنه نشأ في أُسْرةٍ تُعْنَى بالعِلْمِ والتَّحصيل، ومصادر ترجمته على قلتها لا تفيد بكبير شيء عن نشأته، إلا أنها تدل على همة المؤلف العالية في طلب الحديث والرحلة للأخذ عن الشيوخ.

شيوخه:

بيَّن عزُّ الدين الحسينيُّ أن المؤلفَ سمع عن كثيرٍ من الحفَّاظِ والمشايخ، فقال: "سمع الكثير من جماعة كبيرة من شيوخنا"[4]، ثم ذكر أن المؤلفَ صنَّف لنفسه معجمًا يتضمن مشايخه؛ حيث قال: "وخرَّج معجمًا لشيوخه الذين سمع منهم ذكرني فيه"[5]، هذا قصارى ما جادت به المصادر بخصوص

---

(١) مصادر الترجمة: (صلة التكملة لوفيات النقلة، ٦١٥/٢) لعز الدين الحسيني، و(المقتفى، ٢٦٤/١) للبرزالي، و(طبقات الحنفية، ٣٨٧/١) للقرشي.

(٢) النسب سقته بالاعتماد على ما ذكره الحُسيني في (الصلة، ٦١٥/٢)، وعبد الكريم بن عبد الباري الصعيدي -تلميذ المؤلف - في طبقة السماع بآخر نسخة الكتاب (ق٦/أ).

(٣) (الصلة، ٦١٥/٢).

(٤) (الصلة، ٦١٥/٢).

(٥) (الصلة، ٦١٥/٢).

شيوخ المؤلف، سوى إفادةٍ ذَكَرَها الذهبيُّ؛ حيث قال: "وأكثر عن أصحاب البوصيري "[1]، ومع هذا فيبقى الباحثُ مُفْتَقِرًا إلى تعيين مشايخ المُتَرْجَمِ، إلى أن أسْفَرَ هذا الجزءُ النَّفِيسُ - الذي أُحَقِّقُه - عن أعيانهم وجِلَّتِهِم، وهذا مَسْرَدٌ بمشايخِهِ الواردين في هذا الجزء حسب حروف المعجم، وسيظهر أن أغلبهم ممن لم أهتد إلى تراجمهم:

١- أبو إسحاق إبراهيم بن خضر الزرزائي المالكي.

يروي عنه الرواية رقم: (١٥)، لم أقف على ترجمته بعد البحث.

٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي منصور بن كثير الجَرْجي، الموصلي، المعروف بالمَسَلاَّتي.

يروي عنه الرواية: (٦)، لم أقف على ترجمته بعد البحث، وقد حلاَّه بـ"الأستاذ ".

٣- أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن تَامْتِيتٌ اللَّوَاتي، الفاسي المغربي، نزيل القاهرة (تـ: ٦٥٧ هـ) [2].

يروي عنه الرواية رقم: (٨)، حلاَّ بـ"الشيخ الإمام الحافظ الزاهد".

٤- الشريف أبو القاسم عزُّ الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي العلوي، الحسيني، المصري، ويعرف بابن الحلبي (تـ: ٦٩٥ هـ) [3].

٥- عماد الدين أبو محمد الحسن بن أبي البركات علي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الفتح ابن أبي السنان الموصلي، ثم المصري (تـ:٦٦٨هـ) [4]، ويسمى عبد الرحيم أيضًا، ويعرف بابن الحدوس.

يروي عنه الرواية رقم: (٧)، وحلاَّه بـ" الشيخ الفقيه، الإمام العالم ".

٦- عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السُّلَمِي، الدمشقي، الشافعي (تـ: ٦٦٠هـ) [5].

يروي عنه الرواية رقم: (٥)، وقد سمع عليه بالقاهرة، وهو أحد مشاهير الأعلام.

٧- زَكِيُّ الدِّين أبو محمد عبد العظيم بنُ عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد بن أبي محمد اللَّخْمِيُّ، المنذريُّ، المصريُّ، الشافعي (تـ:٦٥٦هـ) [6].

روى عنه الرواية رقم (١) من هذا الجزء، وهو يروي عنه إجازة.

---

(١) (تاريخ الإسلام، ١٥/١٨٥).

(٢) (تاريخ الإسلام، ١٤/٨٥٨).

(٣) (تاريخ الإسلام، ١٥/٨٠٦).

(٤) (تاريخ الإسلام، ١٥/١٥٤).

(٥) (تاريخ الإسلام، ١٤/٩٣٣).

(٦) (تاريخ الإسلام، ١٤/٨٢٦).

٨- فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن يحيى الأنصاري، المصري، يُعرف بابن بنت أبي سعد (تـ: ٧١٧هـ) [١].

يروي عنه الرواية رقم: (١٦).

٩- علي بن أبي الفضل عباس بن أبي المكارم خلف بن بكار بن علي بن كثير بن عياد العثماني.

يروي عنه الرواية رقم: (٤)، لم أهتد إلى ترجمته، وقد حلاَّه بـ"الفقيه".

١٠- السيد الشريف قاسم بن زيد بن جعفر الحُسَيْني

يروي عن الرواية رقم: (٩)، ولم أقف على ترجمته بعد البحث.

١١- أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم بن أحمد الأنصاري، الأرتاحي الأصل، المصري، الحريري، اللبان، الحنبلي (تـ: ٦٥٨ هـ) [٢].

يروي عنه الرواية رقم: (١١).

١٢- أبو محمد وأبو الخير مبارك بن عبد الله الحبشي (تـ: ٦٥٣هـ) [٣]، وهو عتيق أبي الحسن علي ابن منصور ابن الخرَّاط.

يروي عنه الرواية رقم: (١٤).

١٣- أمين الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عطايا.

يروي عنه الرواية رقم: (١٠)، ولم أقف على ترجمته بعد البحث.

١٤- شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المِزَاليُّ، التلمساني، ثم الفاسي (تـ:٦٨٣هـ).[٤]

يروي عنه الرواية رقم: (١)، وهو يروي عنه سماعًا.

١٥- أبو الحجاج يوسف بن جبريل بن رضوان الإخصاصي.

هذا الشيخ روى عنه الرواية رقم: (٣)، ولم أقِفْ على ترجمته بعد البحث، وقد حلاَّه المؤلفُ بـ"الشيخ الصالح "، وهو يُنْسَبُ إلى مكانٍ يُسَمَّى بأُخْصاصِ الحلاَّق، وبه سمع عليه، ولم أهتد إلى تعيين هذا المكان.

تلاميذه:

لم تُذْكَرْ مصادر ترجمة المؤلِّفِ شيئًا عن تلاميذه، بل قال الذهبي: "ولا أعلمه حدث " [٥]، وطِبَاق

---

(١) (الدرر الكامنة، ٢٥٧/٣) لابن حجر.

(٢) (تاريخ الإسلام، ٩٠٨/١٤).

(٣) (صلة التكملة، ٣١٨/١) للحسيني، و(تاريخ الإسلام، ٧٤٨/١٤).

(٤) (تاريخ الإسلام، ٥١٢/١٥).

(٥) (تاريخ الإسلام، ١٨٥/١٥).

السماع المقيَّدة على ظهر هذا الجزء وبآخره، تفيد بأن المؤلفَ كان مقصدًا لطلبة العلم والحديث، وتدل على تصدِّيه على إسماع الحديث وتدريس العلم، وما ألَّف معجمَ شيوخه إلا ليقف تلاميذه على مشايخه وأسانيده، وأغلب هؤلاء الأعلام الذين أخذوا عنه لم أقف على تراجمهم، والذي يوجب النظر أن ثلة منهم من أسرة علمية إسكندرية واحدة، اشتهرت بـ"الصعيدي"؛ لأن أصلها من صعيد مصر، فأورد أسماءهم بداية ثم أثني بأسماء باقي الأعلام:

الأسرة الإسكندرية الصعيدية (آل ابن عبد الباري):

١- أبو محمد عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن عمر بن أبي بكر بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الحميد بن حاتم بن حنظلة بن تميم بن حبيب الداري، الصعيدي، ثم الإسكندري، الشافعي. (١)

وهو أشهر أعلام هذه الأسرة، وكان شيخ القراء بالإسكندرية في زمانه، فقد تولَّى مشيخة عدة مدارس ومعاهد علمية بالإسكندرية، من بينها:

أ. المدرسة الحافظية السِّلَفيَّة ؛ نسبة إلى الحافظ أبي طاهر السِّلَفي (ت:٥٧٦هـ)، تولاها بعد والده، مما يدل على تحدُّره من أسرة علمية.

ب. الجامع الغزي؛ تصدَّرَ للإقراءِ برحابه.

ج. الجامع الجيوشي؛ تصدَّرَ للإقراءِ به أيضًا.

وأخذ علم القراءات عن جملةٍ من شيوخ عصره، أوردهم ابنُ الجزري، كما اعتنى بالتأليف في القراءات، وقف ابنُ الجزري على جملة من تواليفه وعدَّدها.

أثنى عليه الحافظ ابنُ الجزري، فقال: " مقرئ محقق، مؤلِّف مجوِّد،...، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بالإسكندرية، وكان صالحًا، كثير التَّحرِّي، متقيًا متيقظًا، ألَّف في القراءات"(٢).

وحلاَّه ابنُ طغريل بقوله: " الشيخ الفقيه الإمام المقرئ ".

ولم تُذكر سنة وفاته، ولعلها كانت في أواخر القرن السابع الهجري، ومن أجله ألَّف ابنُ طغريل هذا الجزء كما سيأتي ذكره.

٢- محمد بن عبد الباري بن عبد الرحمن، أخو المتقدم من أبيه.

٣- أبو بكر بن عبد الباري بن عبد الرحمن، أخو عبد الكريم من أبيه.

٤- أحمد بن عبد الباري بن عبد الرحمن، أخو عبد الكريم، وهو ممن لم يأخذ عن المؤلف.

٥- عبد المهيمن بن عبد الباري بن عبد الرحمن، أخو عبد الكريم، وهو ممن لم يأخذ عن المؤلف.

---

(١) ترجم له ابنُ الجزري في(غاية النهاية، ٤٠٠/١)، ولم أقف له على ترجمة عند غيره.

(٢) (غاية النهاية، ٤٠٠/١-٤٠١).

٦- محمد بن عبد الكريم بن عبد الباري.

٧- علي بن الفقيه أحمد بن عبد الباري.

٨- أبو الفضل بن الفقيه شرف الدين عبد المهيمن بن عبد الباري.

٩- عبد الرحمن بن الفقيه المقرئ أبي العباس أحمد بن عبد الباري.

والعلم في هذه الأسرة لم يكن محصورًا في الرجال، بل حتى النساء منهم كنّ مُعْتَنِيَاتٍ بالعلم وتحصليه، فمن تلاميذ المقرئ عبد الكريم بن عبد الباري:

١٠- ابنُ أخته وجيهة بنت علي بن يحيى الصعيدي، وهي لم ترو عن ابن طغريل.

وقد حرص عبد الكريم بن عبد الباري على تحصيل الإجازات والأسانيد لأبنائه، فاستجاز لهم من الإمام العز ابن عبد السلام؛ حيث كتب له بالإجازة له ولأبنائه سنة: ٦٥٩هـ كما نصّ عليه هو بخط يده في آخر الجزء، وعدد أبنائه أربعة، تقدم منهم محمد والباقي نساء، هم كالآتي:

١١- زينب بنت عبد الكريم بن عبد الباري.

١٢- عائشة بنت عبد الكريم بن عبد الباري.

١٣- عزية بنت عبد الكريم بن عبد الباري.

فهذا ثلاثة عشر فرد من أفراد هذه الأسرة، أغلبهم لم يذكروا في كتب التراجم والتاريخ، إنما تأتّى التعرف عليهم من خلال هذا الجزء النفيس.

بقية تلاميذ المؤلف:

١- عبد الكافي بن لحاج عبد الرحيم بن أرسلان.

٢- تاج الدين عبد الرزاق بن الإمام مفتي الإسلام كمال الدين أبي محمد عبد العزيز بن موسى بن محمد اللخمي.

٣- الشيخ الصالح يخلف بن سليمان بن يخلف الكتامي.

٤- عثمان بن عبد العزيز بن أبي المحاسن القرشي.

٥- عبد المحسن بن عبد العزيز بن أبي المحاسن القرشي.

٦- أحمد بن منصور بن يوسف الغفاري.

٧- عطية بن أبي عبد الله بن أبي الحسن الضرير.

٨- مخلوف بن أبي بكر بن أبي الحسن الأنصاري.

٩- محمد بن أبي المعافى بن منصور بن صهر الزهيري.

مؤلفاته:

نصّ المؤلف في قيد السماع الذي خطه بيمينه على الجزء على أن له تواليف عدة؛ حيث قال: "وأجزت لهم جميعهم، أن يرووا عني جميع مصنفاتي ".

ونصّ على ذلك عزُّ الدين الحسيني، فقد قال: " وقرأ وكتب، وحصل، وخَرَّجَ وجَمَعَ" [1].

إلا أن الذين ترجموا للمؤلف لم يذكروا من مصنفاته إلا "معجم شيوخه"، وهو في حكم المفقود، وهذا الأثر الذي أحققه، هو ثاني تواليفٍ نعرفه للمؤلف، ولعل بخدمته نكشف عن علم جديد من أعلام الحضارة الإسلامية.

وفاته:

توفي ابنُ طغريل في سنّ الاكتهال، وهو ابن ستة وأربعين سنة، ولعل وفاته في هذا العمر كانت سببًا في عدم شهرته ونبوع صيته؛ حيث وافاه الأجل - رحمه الله ورضي عنه - في ٢٧ من جمادى الأولى سنةَ: ٦٧٠هـ بمصر، ودفن من يومه بسفح المُقَطَّم.

سبب تأليف الكتاب وموضوعه:

نصّ مؤلف الجزء في خاتمته على سبب تأليفه، فقال: " ووسَمْتُهُ بـ"مُنْيَةِ الأَنيس"، إذ كان الداعي إلى تأليفه، إشارةُ مَنْ شَهِدَ له رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه من خير أمته في قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".

وأحمد الله على موافقةِ إشارةِ المذكور،... "

فالمؤلفُ يَنُصُّ على أن هذا الجزء صنَّفه تلبيةً لرغبةِ أحدِ المتصدِّرين للإقراءِ وتعليمِ الناس القرآن، ولا شك أن المقصود هو: أبو محمد عبد الكريم بن عبد الباري الصعيدي، إذ هو أجل تلاميذ المؤلف المتصدرين للإقراء، وهو بمنزلة من تُلَبّى طِلْبَتُه، وتُسْعَفُ رَغبَتُه.

ويندرج هذا الكتاب ضمن الكتبِ المؤلَّفةِ في موضوع النوادر والطرائف التي طَرَقَها جماعة من المحدثين والأعلام بالتصنيف ؛ حيث كان يقصد المحدثُ إلى جمع نُبَذٍ من مُسْتَمْلَحِ الأشعارِ والإنشادات، ومُسْتَجادِ الأقوالِ والحكايات، وعوالي الأحاديث والمرويات، فيَنْظِمُها في جزءٍ مُفْرَدٍ مسند، من بابِ الإحماض والتخفيف عن النفس والمفاكهة، ومن أمثلة تصانيف المحدثين في هذا الضرب:

١- (أخبار وحكايات) [2] لمحمد بن الفيْض الغسّاني (ت: ٣١٥هـ).

٢- (حكايات) [3] لأبي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٢٩هـ).

٣- (الأخبار والحكايات)[4] لمحمد بن القاسم بن معروف (ت: ٣٤٧هـ).

---

(١) (صلة التكملة، ٦١٥/٢).

(٢) صدر عن: دار البشائر، تحقيق: إبراهيم صالح، سنة: ١٩٩٤م.

(٣) له نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع (٢٠) من مجاميع العمرية.

(٤) له نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع (١٧) من مجاميع العمرية.

٤- (المنثور من الحكايات والسؤالات)[1] لأبي الفضل ابن طاهر المقدسي (ت:٥٠٣هـ).

٥- (التذكرة) [2] لأبي عبد الله الحميدي الأندلسي (ت:٤٨٨هـ).

٦- (أحاديث عوال وحكايات وأشعار) [3] لضياء الدين المقدسي (ت: ٦٤٣هـ).

وهناك تواليف غيرها يطول ذكرها، وقد كان لأهل الأدب واللغة يد في هذا الضرب من التأليف أيضًا.

وصف النسخة الخطية:

اعتمدت في تحقيق هذا الجزءِ اللطيفِ على نسخة خطية نفيسة، نسخها المؤلفُ نفسُهُ بخطِّ يده، وجوَّدها وضبَطها غايةَ الضبط وخطه نسخيٌّ واضح، ولم يُثْبِتْ في آخر الجزء تاريخ النسخ، والظاهر أن نَسْخَها كان سنة: ٦٦٠هـ وهو تاريخ إسماعه للجزء، وهي تقع في ست ورقات ضمن مجموع محفوظ بالمكتبة الوطنية ببرلين، وعلى ظهر النسخة قيد قراءة وقيد استعارة، يفيدان أن هذا الجزء تعاورته الأيدي تملكًا واستعارة، إلى أن قيّض الله له من يحمله إلى ألمانيا، ومن فوائد هذه النسخة الأثيلة أنها احتفظت لنا بخطوط ثلاثة من العلماء ؛ خطِّ المؤلف، و خطِّ المقرئ عبد الكريم بن عبد الباري، وخطِّ ابنِه محمد.

كما أنها مثال واضح على منهج العلماء في العناية بضبط النصوص وتحقيقها وتصحيحها، وهذا الذي دفعني إلى إثبات صور ورقات المخطوطة بكاملها مع النصّ المحقَّق، فالناظر في الأصل سيقف على علامات الإهمال والتضبيب والتصحيح المستعملة في ضبط ألفاظ النص، كما يقف على ضبط أسماء الأعلام والوجوه التي تحتملها مثل (بشكوال)؛ حيث ضبطها بضم وكسر الباء معًا، إشارة منه إلى الوجهين، وغير ذلك مما يقف عليه القارئ للأصل الخطي.

منهج التحقيق:

لا يخفى أن تحقيق كتاب على أصلٍ بخطِّ المؤلِّفِ وبتصحيحِهِ ومقروءٍ عليه، يحتاج إلى مزيدِ ضبطٍ وتحرٍّ، حتى يتهيأ للمحقِّقِ أن يؤديَ النصَّ كما هو مُثْبَتٌ بالأصل، إذ مثل هذا الصنف من المخطوطات لا تترك مجالاً للمحقِّق حتى يتصرف في النصّ أو يصححه، فلهذا اجتهدت في تأديةِ نصّ الجزء كما هو، وضبطت كلماتِهِ وأشعارَه وأسماء الأعلام وفقًا لما ضبطه المؤلفُ بخطِّ يده، ودرجت على المتواطإِ عليه في عُرفِ المحقِّقين من خدمةِ النَّصّ بتخريجِ الأحاديثِ وتوثيقِ المروياتِ والأشعار، ووضعِ ترجمة للأعلام حاشا رواة كتب الستة، فإني لا أعرِّج على تراجمهم، فهذا مجمل طريقتي في قراءة النص وضبطه، وأرجو أن أكون وُفِّقتُ فيما اشترطت.

---

(١) صدر عن: دار المنهاج، تحقيق: جمال عزون، سنة: ١٤٣٠م.

(٢) صدر بتحقيقين رديئين، نبهت على مواطن النقص فيها ضمن تحقيقي للكتاب على نسختين خطيتين، والذي سيصدر عن دار الإداوة بالرياض.

(٣) صدر عن: دار البشائر الإسلامية، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، سنة:١٤٣٠هـ، ضمن مجموع لقاء العشر الأواخر.

صورة النسخة الخطية

كتاب منية الأنس

قال الشيخ العبد الفقير إلى الله تعالى عمر بن أبي بكر بن عمر بن أرسلان

ابن جاولي المعروف بابن طغربل السباف الدمشقي الحنفي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الشيخ الامام الحافظ مجد الحفاظ زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد
القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد ابي محمد اللخمي المنذري المصري
الفقيه الشافعي فيما اذن لي فيه واخبرني عنه سيدي وشيخي وقدوتي الى
الله تعالى الشيخ الامام العالم القدوة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن موسى
ابن النعمان المزالي الفاسي بانشاده عليه اخبرنا الشيخ الاجل المسند ابو
حفص عمر بن محمد بن معمر البغدادي بقراءتي عليه بدمشق قال انا ابو
الفتح مفلح بن احمد الدومي قراءة عليه وانا اسمع قال انا الحافظ ابو بكر احمد
ابن علي بن ثابت الخطيب قراءة عليه وانا اسمع قال انا القاضي ابو عمر
القسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال انا ابو علي محمد بن احمد بن عمرو
اللؤلؤي قال انا ابو داود يعني سليمان بن الاشعث السجستاني نا
قال عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي قال نا خلف بن خليفة عن حفص يعني
ابن اخي انس عن انس انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل
يصلي ثم دعا اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع
السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب
واذا سئل به اعطى

وبالاسناد قال ابو داود قال مسدد قال يحيى

عن مالك بن مغول قال عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت
الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
فقال لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب

سمعت الشيخ الصالح أبا الحجاج يوسف بن جبريل بن رضوان الأخصاصي
بها أعني أخصاص الحلاف يقول سمعت الأخ العارف بالله أبا عبد الله محمد محمد
ابن إبراهيم الخبزي الفارسي يقول خرجت لسماع الحديث على شيخ من المشايخ
فسمعت عليه شيئا من الحديث فلما كان الليل توسدت أجزاء الحديث فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا محمد أما وجدت شيئا تتوسده غير
الأحاديث

أنشدنا الفقيه علي بن أبي الفضل عباس بن أبي المكارم خلف
ابن بكار بن علي كتيبة بن عباد العثماني بقراءتي لنفسه بمصر

يا راغبا في نعيم لا انقضاء له ... ما إن ينال سوى من حضرة القدم
لا تقصدن سوى مولاك تخدمه ... رب تفضل بالإيجاد من عدم
بادر لعرفانه والطوع مجتهدا ... لعل تدنيك من فضل ومن كرم

أخبرنا الشيخ الإمام العالم مفتي الشام ومصر عز الدين
أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد مهذب
السلمي الدمشقي الشافعي رحمه الله بقراءتي عليه بالقاهرة المعزية

عن مالك بن مغول قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت
الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
فقال لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب

سمعت الشيخ الصالح أبا الحجاج يوسف بن جبريل بن رضوان الأخصاصي
يعني أعني أخصاص الحلاق يقول سمعت الشيخ العارف بالله أبا عبد الله محمد بن محمد
ابن إبراهيم الخبري الفارسي يقول خرجت لسماع الحديث على شيخ من المشايخ
فسمعت عليه شيئا من الحديث فلما كان الليل نمت وسلت أجزاء الحديث فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا محمد أما وجدت شيئا تتوسد به
الا أحاديثي

أنشدنا الفقيه علي بن أبي الفضل عباس بن أبي المكارم خلف
ابن بكار بن علي بن كثير بن عباد العثماني بقراءتي لنفسه بمصر

يا راغبا في نعيم لا انقضاء له ما إن ينال سوى من حضرة العلم
لا تقصدن سوى مولاك تخدمه رب تفضل بالإيجاد من عدم
بادر لعرفانه والطوع مجتهدا لعل تدنيك من فضل ومن كرم

أخبرنا الشيخ الإمام العالم مفتي الشام ومصر عز الدين
أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم بن الحسن بن محمد بن مهذب
السلمي الدمشقي الشافعي رحمه الله بقراءتي عليه بالقاهرة المعزية

انا الحافظ ابو محمد القسم بن الحافظ ابي القسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي
انا ابو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي انا ابو الحسن
احمد بن عبد الواحد بن محمد بن ابي الحديد السلمي انا جدي ابو بكر محمد بن احمد
ابن عثمن بن ابي الحديد انا ابو الفضل احمد بن عبد الله بن نصر بن هلال
السلمي حدثنا ابو عبد الرحمن المؤمل بن اهاب نا عبد الله بن نافع عن ابي محمد
جعفر بن عمرو العلاء عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صنفان لا تنالهما شفاعتي امام غشوم ظلوم
وكل غال مارق

سمعت الاستاذ ابا العباس احمد بن محمد بن ابي منصور بن كثير
الجوهري الموصلي المعروف بالمستوفي فيما قرأت عليه [illegible] رايت رجلا
كان من الديوية يعرف بالفارس شمعون السميساطي جا الى ان السلطان الملك
الاشرف ابن الكامل لما كان العدو على ثغر دمياط واسلم على يديه وذكر
انه حصل بينه وبين الديوية كلام فخرج عنهم قال فركبت بغلة او بغلا
واخذت حصاني على يدي فتبعوني فخفت منهم وانفلت مني الحصان
فقلت يا محمد بن عبد الله ان رجع حصاني الي آمنت بك فطرد الحصان
حولي شوطا او اثنين ووقف فامسكته وجئت الى السلطان
واسلمت وجاهدت ونوى على الاسلام ببركة النبي وذكر اسمه عليه السلام
انشدنا الشيخ الفقيه الامام العالم عماد الدين ابو محمد الحسن

ابن علي عبد السلام [illegible] ومن عصر وال [illegible] الى الامام المستنصر بالله

ابو جعفر المنصور بن الامام الظاهر ابي نصر محمد بن الامام الناصر ابي العباس

احمد بن الامام المستضيء بامر الله ابي محمد الحسن بن الامام المستنجد

ابي المظفر يوسف امير المومنين لنفسه من نظمه بلفظه

يا ساحرَ الطرفِ أسراري مكتَّمةٌ حتى أراكَ ودمعي فيكَ مبذولُ

أغضُّ طرفي من خوفِ الرقيبِ اذا مرَّتْ بي والمنى رؤياكَ والسُّولُ

وأُوهمُ الناسَ أنّي عنكَ في شُغُلٍ مُلهٍ وما انا الا فيكَ مشغولُ

قلبي من الناسِ خالٍ ما به احدٌ ورَغبةً بكَ دونَ الخلقِ ماهولُ

فلا تكن طامعاً في سلوتي ابداً ملالاً قلبي بحبكَ الشجيّ مملولُ

اخبرنا الشيخ العلامة الحافظ [illegible] ابو العباس احمد بن محمد بن حسن

ابن علي بن [illegible] اللواتي [illegible] رحمه الله اذنا انا الفقيه ابو الحسن بن يحيى

ابن محمد بن علي الانصاري يعرف بابن الصايغ انا الفقيه ابو الفتح خلف بن

عبد الملك بن بشكوال انا الفقيه ابو محمد عبد الرحمن بن محمد عن ابن عمر

الحافظ عن ابن الفرضي قال انا القاضي محمد بن يحيى قال انا ابو موسى عبد الكريم

ابن احمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي انا ابي احمد بن شعيب بن علي

النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن

ابي حازم عن المستورد بن شداد اخي بني فهر قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه

هذه في البيت فلينظر ثم توجع

سمعت السيد الشريف قاسم بن زيد بن جعفر الحسيني
رحمه الله فيما قرأت عليه يقول انكسرت يدي اليسرى وانخلعت يدي
اليمنى قال فبقيت يداي معلقتين في عنقي شهرا كاملا في زمن البرد وكنت
لا استطيع النوم فنمت ليلة فرأيت ثلثه رجال فسألت فقيل منهم فقال انا ابو بكر
وهذا عمر وهذا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم هرعت
اليه ولحقني بكا شديد فقلت يا رسول الله ما ترى حالي فأخذ بيدي
المكسورة وامر يده عليها وقال لي كل الزيت وادهن بالزيت فقلت
يا رسول الله ما ترى ما انا فيه فرفع يده الى السما وقال توسل بي وبآل بيتي
فلما اصبحت نظرت الى يدي وكان عليهما الجبائر فقلعته عنهما فوجدتهما
في عافيه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وادهنت بالزيت امتثالا لامر
النبي صلى الله عليه وسلم

انشدنا امين الدين محمد بن عمر بن محمد بن عطايا لنفسه

اتخشى وقوع الردى بالخطيه وتجزع أن تطوى العمر طي
وماذا اخاف اذا انت متّ واصبحت ضيف كريم وحي
انيجي خطايا بكل خوف الوعيد ورحمته وسعت كل شي

اخبرنا ابو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الارتاحي
رحمه الله كتابة قال انبانا المبارك بن علي بن الحسين بن الطباخ
البغدادي عن القاضي ابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفرا

وابي القسم الشروطي وابن السعود بن المجلي عن الحافظ ابي بكر احمد بن
ثابت الخطيب انا الحسن بن ابي بكر قال انا ابو سهل احمد بن محمد بن عبد الله
ابن زياد القطان قال نا محمد بن غالب بن حرب قال نا بشر بن
عبيد الله الدارسي قال نا محمد بن مسلم عن عطا بن السايب عن عبد الرحمن
ابن يزيد عن ابيه عن حذيفه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من طلب العلم ليباهي به العلما او يماري به السفها او يصرف
به وجوه الناس اليه فله من علمه النار

وبالاسناد الى ابي بكر الخطيب قال انا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد
ابن بشار النيسابوري بالبصرة قال نا ابو بكر محمد بن احمد بن محمويه
العسكري قال نا جعفر بن محمد القلانسي قال نا ادم بن ابي اياس
قال نا شعبه قال نا سعيد الجريري قال قال غنيم بن قيس كنا
نتواعظ في اول الاسلام ابن ادم اعمل في فراغك لشغلك وفي
شبابك لهرمك وفي صحتك لمرضك وفي دنياك لاخرتك
وفي حياتك لموتك

وبه قال ابو بكر حدثت عن محمد بن عبد الله بن اخي ميمي
قال نا جعفر بن محمد بن نصير قال نا احمد بن محمد بن مسروق الطوسي
قال قرات على محمود بن الحسن من قوله
بادر شبابك ان يهرما وصحة جسمك ان تسقما

وايام عيشي قبل الممات فما دهر من عاش ان يتسلما
ووقت فراغك بادر به ليالي شغلك في بعض ما
وقدّم فكل امرئ قادم على بعض ما كان قد قدّما

اخبرنا ابو محمد مبارك بن عبد الله الحبشي قراءةً مني عليه
بمصر رحمه الله انا ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد
ابن صدقة بن كليب الحراني قراءةً عليه وانا اسمع ببغداد قيل له
اخبركم رضي الله عنكم الرئيس ابو القسم علي بن احمد بن بيان الرزاز
فاقر به انا ابو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن ابرهيم بن مخلد البزاز
انا ابو علي اسمعيل بن محمد بن اسمعيل بن صالح الصفار النحوي
الملحي نا ابو علي الحسن بن عرفه بن يزيد العبدي نا يزيد بن
هرون نا حماد بن سلمه عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن
صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة
نودوا ان يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قال فيقولون
ما هو الم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا
الجنة قال فيكشف الحجاب تبارك وتعالى فينظرون اليه
قال فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه
ثم قرا للذين احسنوا الحسنى وزياده ه
منه الى مبارك المنكعم لم يحصل لي منه اجازه ه

سمعت ابا اسحق ابرهيم بن خضر الزرزاري المالكي فيما قرات
عليه يقول سمعت الفقيه برهان الدين ابرهيم بن الطيب المالكي
يقول قال ابن ثوبه وكان زهد بنيه النبي صلى الله عليه وسلم انه اصابه
الجوع فاتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جايع
اني جايع وجلس بالقرب من حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل من
الاشراف فقال له قم فقال الى اين فقال تاكل عندي شيا فمضى معه
الى بيته فقدم اليه جفنه فيها ثريد وعليه لحم ودهن فقال له كل
فاكل حتى شبع واراد الانصراف فقال له كل وازدد فاكل فلما
اراد الانصراف قال له يا اخي الواحد منكم ياتي من البلاد البعيد
ويقطع المفاوز والقفار ويترك الاهل والاوطان ويشق البحار
وياتي الى زيارة هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وتكون همته
ان نطلب منه كسرة خبز يا اخي لو طلبت الجنه او المغفره او الرضا
او مهما طلبت لنلته ببركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هذا او معناه

انشدني الفقيه الامام العالم فخر الدين ابو عمرو عثمن
ابن علي بن يحيى الانصاري المعروف بابن بنت ابي سعد

عرّف الحبّ قلبينا فاتلفنا بين نجد ومنا
ثم يا داني حبيبي خفية لم ترقب حاضرهم بيننا
نحن جسمان لروح واحد فانا انت كما انت انا

«مُنْيَةُ الأَنِيس»

ومما قلته

يظن الناس بنا خير الظنونه واعلم انني شر البريه

لما اسلفت في خطاي وعمدي ذنوبا من فعال جهنميه

وان لم يسمح المولى بعفو فاني اكثر من الفئة الشقية

ولكن ارتجي من لطف ربي تجاوزه بغفران الخطية

فرحمته العميمة كل شيء تسلمني بنقلبي المشية

وبعد فهذا ما تيسر في اخراجه وجمعه وتاليفه

في هذه الاوراق ووضعه وسميته بغنية الانيس اذ كان الداعي

الى تاليفه اشارة من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه

من خير امته في قوله خيركم من تعلم القران وعلمه والحمد لله على موافقة

اشارة المذكور والله المسؤول ان ينفع بذلك كل من قراه او سمعه

ويجعل ذلك خالصا لوجهه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كتبه مؤلفه عبد الكريم بن ...

خطُّ عبد الكريم بن عبد الباري، وفي الحاشية اليمنى خطُّ ابنِهِ محمد

خطُّ المقرئ عبد الكريم بن عبد الباري

النصّ المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - أخبرنا الشيخُ الإمامُ الحافظ حجّةُ الحفّاظ؛ زَكِيُّ الدّين أبو محمد عبد العظيم بنُ عبد القوي ابن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد بن أبي محمد اللّخْمِيُّ المنذريُّ المصريُّ الفقيه الشافعي[١] - رحمه الله - فيما أَذِنَ لي فيه، وأخبرني عنه سيِّدِي وشيْخِي وقُدْوتي إلى الله تعالى الشيخُ الإمامُ العالمُ القدوة ؛ شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المِزَاليُّ الفاسي، باسْتِملائِهِ عليه، أخبرنا الشيخُ الأجلُّ المسندُ أبو حفص عمر بن محمد بن مُعمَّر البغدادي[٢]، بقراءتي عليه بدمشق، قال: أنا أبو الفتح مفلح بن أحمد الدُّومي[٣] قراءةً عليه وأنا أسمع، قال: أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب[٤]، قراءةً عليه وأنا أسمع، قال: أنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي[٥]، قال: ثنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللّؤْلُؤِي[٦]، قال: ثنا أبو داود - يعني سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني – قال: ثنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، قال: ثنا خَلَفُ بنُ خَلِيفة، عن حفص - يعني ابن أخي أنس -، عن أنس: أنه كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم – جالسًا، ورجل يصلِّي، ثم دعا: اللهمّ إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم، فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: "لقد دعا الله باسْمِهِ العظيمِ الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أَعْطَى "[٧].

٢ - وبالإسناد، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا مُسَدَّد، قال: ثنا يحيى، [ق٢/أ] عن مالك بنِ مِغْوَل، قال: ثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً، يقول: اللهمّ إنِّي أسألك أنّي أشهد أنّك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحدُ الصمد، الذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحد، فقال: " لقد سألتَ الله، بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أَعْطَى، وإذا دُعِيَ به أجاب "[٨].

٣ - سمعت الشيخ الصالح أبا الحجاج يوسف بن جبريل بن رضوان الإِخْصاصِي بها - أعني أخصاص الخلاّق -، يقول: سمعت الشيخ العارف بالله أبا عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الحَبْري

---

(١) شيوخ المؤلف خصصت لتراجمهم فصلاً بالدراسة.

(٢) هو: أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن الدَّارَقَزِّي، المؤدِّب، المعروف بابن طبرزد (ت ٦٠٧ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٣/١٦٧).

(٣) هو: أبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن علي الدُّومي، البغدادي، الوراق (ت ٥٣٧ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١١/٦٧٩).

(٤) الحافظ الشهير، توفي سنة: ٤٦٣هـ. تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠/١٧٥).

(٥) هو: أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس الهاشمي، العباسي، البصري (ت ٤١٤ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٩/٢٤١).

(٦) توفي سنة: ٣٣٣هـ. تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٧/٦٧١).

(٧) أخرجه أبو داود في (سننه)، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم: (١٤٩٧).

(٨) أخرجه أبو دواد في (سننه)، نفس الكتاب والباب، رقم: (١٤٩٥).

الفارسي[1]، يقول: خرجتُ لسماع الحديث على شيخ من المشايخ، فسمعت عليه شيئًا من الحديث، فلما كان الليل، تَوَسَّدْتُ أجزاء الحديث، فرأيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - في النوم، فقال لي: يا محمد، أما وجدت شيئًا تَوَسَّدُ به إلا أحاديثي.

٤- أنشدنا الفقيه علي بن أبي الفضل عباس بن أبي [المكارم] [2] خلف بن بكار بن علي بن كثير ابن عياد العثماني بقراءتي، لنفسه بمصر: [البسيط]

يـا راغـبًـا فـي نـعـيـمٍ لا انـقـضـاءَ لـه ** ما إن يُـنَـلْ سِـوَى من حَـضْـرَةِ القِـدَمِ
لا تـقْـصِـدَنَّ سِـوى مَـوْلاكَ تَـخْـدُمُـهُ ** رَبٌّ تَـفَـضَّـلَ بـالإيـجـادِ مِـنْ عَـدَمِ
بَـادِرْ لِـعِـرْفَـانِـهِ والـطَّـوْعِ مُـجْـتَـهِـدًا ** لـعـلَّ يُـدْنـيـك مـن فَـضْـلٍ ومـن كَـرَمِ

٥- أخبرنا الشيخ الإمام، العالم، مفتي الشام ومصر، عزُّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذَّب السُّلَمِي الدمشقي الشافعي - رحمه الله- بقراءتي عليه بالقاهرة المُعِزِّيَّة، [ق٢/ب] أنا الحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي[3]، أنا أبو الحسن علي بن المُسلم بن محمد بن علي بن الفتح السُّلَمي[4]، أنا أبو الحسن أحمد ابن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد السُّلمي[5]، أنا جَدِّي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد[6]، أنا أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السُّلَمي[7]، حدثنا أبو عبد الرحمن المؤمَّل ابن إهاب، ثنا عبد الرزاق، عن جعفر، عن أبي العلاء، عن أبي غالب، عن أبي أمامة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "صِنْفَانِ لا تنالهما شفاعتي، إمام غشوم ظلوم، وكلُّ غالٍ مارِق"[8].

٦- سمعتُ الأستاذ أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي منصور بن كثير الجَرْخِي الموصلي،

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر الفارسي، الشيرازي، الخَبْرِي، الفيروزآبادي (ت: ٦٢٢ هـ)، ولم أقف على من سمَّى والده محمدًا، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٧٢٠/١٣).

(٢) بالأصل: (المكام)، ولم أتبين وجهه، فأصلحته.

(٣) هو: بهاء الدين أبو محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي (ت: ٦٠٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢٢٤/١٢).

(٤) هو: أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي، الدمشقي، الشافعي، الفرضي (ت: ٥٣٣ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥٩٩/١١).

(٥) هو: أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي بكر محمد بن أحمد ابن أبي الحديد السلمي، الدمشقي (ت: ٤٦٩ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٢٧٤/١٠).

(٦) توفي سنة: ٤٠٥هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨٨/٩).

(٧) توفي سنة: ٣٣٤هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٦٧٥/٧).

(٨) أخرجه المؤمل بن إهاب في (جزء من حديثه، ٥٠) ومن طريقه يرويه المؤلف، والطبراني في (معجمه الكبير، ٢٨١/٨)، وفي إسناده من لا يحتجُّ بتفرده، مثل معلى بن زياد، وتُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب، ٢١٣/١٠)، وأبي غالب البصري، وتُنظر ترجمته في (تهذيب التهذيب، ١٧٦/١٢).

المعروف بالمَسلاَّتي، فيما قرأت عليه، يقول: رأيت رجلاً كان من الدَّيْويَّة[1]، يعرف بالفارس سَيْمُون الهَيْجاوي[2]، جاء إلى السلطان الملك الكامل، لما كان العدوُّ على ثَغْرِ دمياط، وأسلم على يديه، ذكر أنه حصل بينه وبين الدَّيْوِيَة كلام، فخرج عنهم، قال: فركبت بغلةً أو بغلاً، وأخذت حصاني على يدي، فتبعوني فخفت منهم، وانفلت مني الحصان، فقلت: يا محمد بن عبد الله، إن رجع حصاني إليّ آمنتُ بك، فطرد الحصانُ حولي شوطًا أو اثنين ووقف، فأمْسَكْتُه وجئتُ إلى السلطان، وأسلمتُ وجاهدتُ، وتوفي على الإسلام ببركة النبي، وذِكْرِ اسمِهِ عليه السلام.

٧- أنشدنا الشيخ الفقيه، الإمام العالم، عماد الدين أبو محمد الحسن [ق٣/أ] بن علي بن عبد الله بن الخَدُوس بمصر، قال: أنشدني الإمام المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الإمام الظاهر أبي نصر محمد بن الإمام الناصر أبي العباس أحمد بن الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن الإمام المستنجد أبي العز يوسف أمير المؤمنين[3] لنفسه من نظمه بلفظه: [البسيط]

يا ساحرَ الطَّرْفِ أسراري مكتَّمَةٌ	**	حتَّى أراك ودمعي فيك مَبْذُولُ
أغضُّ طرفيَ مِنْ خوفِ الرَّقيبِ إذا	**	مَرَرْتَ بي والمُنَى رُؤْيَاكَ والسُّولُ
وأُوهِمُ الناسَ أنِّي عنك في شُغُلٍ	**	مُنْهِ وما أنا إلاَّ فيك مَشْغُولُ
قلبي من النَّاسِ خالٍ ما به أحدٌ	**	ورَبْعُهُ بك دون الخَلْقِ مأهُولُ
فلا تَكُنْ طامِعًا في سَلْوَتي أبدًا	**	ملالُ قلبيَ فِيكَ الشَّجْوَ مَمْلُولُ

٨- أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ الزاهد أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن علي بن تَامْتِيتْ اللَّوَاتِي الفاسي - رحمه الله – إذنًا، أنا الفقيه أبو الحسين يحيى بن محمد بن علي الأنصاري، عُرِفَ بابنِ الصائغ[4]، أنا الفقيه أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن بُشْكُوال[5]، أنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن

---

(١) الدَّاوية أو الدَّيْوية، عرَّف بهم ياقوت الحموي في (معجم البلدان، ٢/٦٤٢) فقال: "قومٌ من الإفرنج، يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين، ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره، ولهم أموال وسلاح، ويتعاونون القوة، ويعالجون السلاح، ولا طاعة عليهم لأحد".

(٢) كذا بالأصل.

(٣) توفي سنة: ٦٤٠هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٤/٣٣٠).

(٤) هو: أبو الحسن يحيى بن محمد بن علي الأنصاري، السبتي، يعرف بابن الصائغ (ت: ٦٠٠هـ)، تُنظر ترجمته في (التكملة، ٤/١٩٦) لابن الأبار.

(٥) ضبطها المؤلف بفَتْحِ الباءِ وضَمِّها معًا، تنبيهًا منه على صحة الوجهين، وهو أحد مشاهير حفاظ الأندلس، توفي سنة: ٥٧٨هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٢/٦١٢).

ابن محمد(1)، عن أبي عمر الحافظ(2)، عن ابن الفرضي(3)، قال: أنا القاضي محمد بن يحيى(4)، قال: أنا أبو موسى عبد الكريم بن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي(5)، أنا أبي أحمدُ بن شعيب بن علي النَّسائي، أنا سُوَيد بن نصر، ثنا عبد الله، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن المستورد بن شَدَّاد - أخي بني فهر -، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول: " ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصْبَعهُ [ق٣/ب] هذه في اليَمِّ، فلينظرْ بِمَ تَرْجِع "(6).

٩_ سمعتُ السَّيِّدَ الشريفَ قاسمَ بنَ زيد بن جعفر الحُسَيْنِي - رحمه الله - فيما قرأت عليه، يقول: انكسرت يدي اليسرى، وانخلعت يدي اليمنى، وأزانهما والأثرُ فيهما بَيِّن، قال: فبقيت يَدَاي مُعَلَّقَتَيْنِ في عُنُقِي شهْرا كاملاً في زمن البرد، وكنت لا أستطيع النوم، فنِمْتُ ليلة، فرأيت ثلاثة رجال، فسألت مُقَدَّمهم، فقال: أنا أبو بكر، وهذا عمر، وهذا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما رأيت النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - هرعتُ إليه، ولحقني بكاءٌ شديدٌ، فقلت: يا رسول الله، ما ترى حالي، فأخذ بيدي المكسورة، وأَمَرَّ يَدَهُ عليها، وقال لي: كُلِ الزيتَ وادَّهِنْ بالزيت، فقلت: يا رسول الله، ما ترى ما أنا فيه، فرفع يده إلى السماء، وقال: توسَّلْ بي، وبآل بيتي، فلما أصبحتُ نظرتُ إلى يديَّ، وكأنَّ عليهما الجبار، فقَلَعْتُهُ عنهما، فوجدتهما في عافيةٍ ببركةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وادَّهنتُ بالزيتِ امتثالاً لأمرِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم – .

١٠ - أنشدنا أمين الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عطايا لنفسه: [المتقارب]

أتخشى وقوعَ الرَّدَى يا أُخَيّ ** وتجْزَعُ أن طُويَ العُمْرُ طَيّ
وماذا تخافُ إذا أنتَ مُتَّ ** وأصبحتَ ضَيْفَ كريمٍ وحَيّ
أتبكي خطاياكَ خوفَ الوعيد ** ورحمتُهُ وسعتْ كلَّ شيّ

«مُنْيَةُ الأَنيس»

١١ - أخبرنا أبو الكَرَمِ لاحقُ بنُ عبد المنعم بن قاسم الأَرْتَاحي - رحمه الله – كتابة، قال: انبأنا المبارك بن علي بن الحسين بن الطَّبَّاخ البغدادي(7)، عن القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن

---

(1) هو: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي (ت: ٥٢٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٣١٩/١١).

(2) هو حافظ المغرب ابنُ عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٩٩/١٠).

(3) هو: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر ابن الفرضي، القرطبي (ت: ٤٠٣ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥٩/٩).

(4) هو: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكريا بن يحيى التميمي، القرطبي، القاضي المالكي، عرف بابن برطال (ت: ٣٩٤ هـ)، تنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٧٤٣/٨).

(5) توفي سنة: ٣٤٤هـ. تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨٠١/٧).

(6) أخرجه النسائي في (السنن الكبرى، ٣٨٧/١٠) رقم: (١١٧٩٧)، وأخرجه بنحوه الإمام مسلم في (صحيحه)، كتاب الجنة وصفتها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: (٧٣٧٦).

(7) توفي سنة: ٥٧٥هـ. تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥٦٥/١٢).

الحسين بن الفرّاء[1]، [ق ٤/أ] وأبي القاسم الشُّرُوطي[2]، وأبي السعود بن المحلي[3]، عن الحافظ أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب، أنا الحسن بن أبي بكر[4]، قال: أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان[5]، قال: ثنا محمد بن غالب بن حرب[6]، قال: ثنا بشرُ بنُ عُبَيْد الدَّارِسي[7]، قال: ثنا محمد ابن سُلَيم، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن حذيفة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول: "من طلب العلم ليباهِيَ به العلماء، أو يمارِيَ به السفهاء، أو يَصْرِفَ به وجوه الناس إليه، فله من عمله النار ".[8]

١٢- وبالإسناد إلى أبي بكر الخطيب، قال: أنا أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن بشار السابوري[9] بالبصرة، قال: ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مَحْمُوَيْة العسكري[10]، قال: ثنا جعفر بن محمد القَلاَنِسِي[11]، قال: ثنا آدم بن أبي إياس، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا سعيد الجُرَيري، قال: قال غُنيم ابن قيس: كنَّا نتواعظ في أول الإسلام: ابنَ آدم اعملْ في فراغك لشغلك، وفي شبابك لهرمك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك، وفي حياتك لموتك.[12]

١٣- وبه قال: أبو بكر، حُدِّثْتُ عن محمد بن عبد الله بن أخي ميمي[13]، قال: أنا جعفر بن محمد بن

(١) هو: أبو الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء (ت: ٥٢٦ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٤٥٣/١١).

(٢) هو: أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الواسطي، البغدادي، الشُّرُوطي (ت: ٥٢٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٤٨١/١١).

(٣) كذا أثبت المؤلف نسبته: (المحلي) بالحاء المهملة مجودة، وهو وهم منه، والصحيح أنها بالجيم المعجمة، وهو: أبو السعود أحمد بن علي بن محمد ابن المُجْلي البغدادي، البزاز (ت: ٥٢٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٤٢٦/١١)، ويُنظر ضَبطُ نسبته في (توضيح المشتبه، ٣٧/٨) لابن ناصر الدين الدمشقي.

(٤) هو: أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي، البزاز (ت: ٤٢٥ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٤٠٦/٩).

(٥) توفي سنة: ٣٥٠هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨٨٦/٧)

(٦) هو: أبو جعفر محمد بن غالب بن حرب الضبي، البصري، البغدادي، التمار، تمتام (ت: ٢٨٣ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨١٩/٦).

(٧) تُنظر ترجمته في (لسان الميزان، ٣٠٠/٢) لابن حجر.

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في (اقتضاء العلم العمل، ٦٤) ومن طريقه يرويه المؤلف، وإسناده ضعيف من أجل بشر بن عبيد الدارسي، تُنظر ترجمته في (لسان الميزان، ٣٠٠/٢)، وقد جمعت في تخريج هذا الحديث جزءًا ضمَّنته متابعاته وشواهده وبيَّنت ضعفها.

(٩) ترجم له الذهبي فيمن توفي قريبًا من سنة: ٤٢٠هـ، وهي ترجمة مقتضبة جدًا في (تاريخ الإسلام، ٣٢٨/٩).

(١٠) توفي سنة: ٣٤٢هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ دمشق، ١٥٤/٥١) لابن عساكر.

(١١) تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٥٣٢/٦).

(١٢) أخرجه الخطيب البغدادي في (اقتضاء العلم والعمل، ١٠١) ومن طريقه يرويه المؤلف.

(١٣) هو: أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون البغدادي، عرف بابن أخي ميمي الدقاق (ت: ٣٩٠ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٦٦٨/٨).

نُصَير[1]، قال: ثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي[2]، قال: قرأت على محمود بن الحسن[3] من قوله: [المتقارب]

بادر شبابك أن تهرما ** وصحَّةَ جِسْمِكَ أن تسْقَما
وأيَّامَ عيْشِكَ قبل المماتِ ** فما دَهْرُ من عاش أنْ يَسْلَمَا
ووقتَ فراغِكَ بادِرْ بِهِ ** ليالِيَ شُغْلِكَ في بعضِ ما
وقدِّمْ فكلُّ امرِئٍ قادمٌ ** على بعض ما كان قد قدَّما[4]

١٤- أخبرنا أبو محمد مبارك بن عبد الله الحَبَشِي، قراءةً مِنّي عليه بمصر - رحمه الله -، أنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كُلَيْب الحرَّاني[5] قراءةً عليه، وأنا أسمع ببغداد، قيل له: أخبرك - رضي الله عنك - الشيخ الرئيس أبو القاسم علي بن أحمد بن بَيَان الرَّزَّاز[6] - فأقرَّ به -، أنا الشيخ أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البَزَّاز[7]، أنا أبو علي إسماعيل ابن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفَّار النحوي المُلَحِي[8]، ثنا أبو علي الحسن بن عرفة بن يزيد العَبْدِي، ثنا يزيد بن هارون، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، نُودُوا أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا لم تروه، قال: فيقولون: ما هو ؟ ألم يُبَيِّضْ وُجُوهَنا، ويُزَحْزِحْنَا عن النار، ويدخلنا الجنة، قال: فيكشف الحجاب تبارك وتعالى، فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحبُّ إليهم منه، ثم قرأ {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} "[9].

«مُنْيَةُ الأَنِيس»

هذا الشيخُ مُباركُ المذكور، لم تَحْصُلْ لي منه إجازة. [ق٤/ب]

١٥- سمعتُ أبا إسحاق إبراهيمَ بنَ خَضِر الزَّرْزَائِي المالكي، فيما قرأتُ عليه، يقول: سمعتُ الفقيه

---

(١) هو: أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم البغدادي، الخُلدي الخوَّاص (ت: ٣٤٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨٦٢/٧).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي، الزَّاهد (ت: ٢٩٨ هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٨٩٦/٦).

(٣) هو: محمود بن الحسن الورَّاق، الشاعر المشهور، توفي سنة: ٢٢١ هـ، على اختلاف، وهو صاحب أشعار في الزهد والمواعظ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٦٩٩/٥).

(٤)- ذكرها ابن عبد البر في (بهجة المجالس، ٣١٩/٢).

(٥) توفي سنة: ٥٩٦هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٠٨٠/١٢).

(٦) توفي سنة: ٥١٠هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ١٣٨/١١).

(٧) توفي سنة: ٤١٩هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٣١٤/٩).

(٨) توفي سنة: ٣٤١هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، ٧٦٦/٧).

(٩) أخرجه ابنُ عرفة في (جزء من حديثه، ٥٤)، ومن طريقه يرويه المؤلف، وأخرجه الترمذي في (سننه)، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، رقم: (٢٥٥٢)، وقال إثره: "هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة، وحماد بن زيد، هذا الحديث عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قوله ".

برهانُ الدين إبراهيم بن الطيّب المالكي[1]، يقول: قال لي من أَثِقُ به، وكان بمدينةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -: أنه أصابه الجوع، فأتى قبرَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله، إني جائع، إني جائع، وجلس بالقرب من حُجْرَةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فأتاه رجل من الأشراف، فقال له: قم، فقال: إلى أين ؟ فقال: تأكل عندي شيئًا، فمضى معه إلى بيته، فقدَّمَ إليه جفنةً فيها ثريد وعليه لحم ودهن، وقال له: كُلْ، فأكل حتى شبع، وأراد الانصراف، فقال له: كُلْ وازْدَدْ، فأكل، فلما أرادا الانصراف، قال له: يا أخي، الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة، ويقطع المفاوز والقفار، ويترك الأهل والأوطان، ويَشُقُّ البحار، ويأتي إلى زيارة هذا النبيِّ العظيم - صلى الله عليه وسلم -، وتكون هِمَّتُهُ أن يطلب منه كِسْرَةَ خبز، يا أخي، لو طلبتَ الجنَّةَ أو المغفرة أو الرِّضا، أو مهما طلبت، لنلته ببركة هذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - هذا أو معناه.

١٦_ أنشدني الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن يحيى الأنصاري، المعروف بابن بنت أبي سعدٍ لنفسه: [الرمل]

عَـرَفَ الـحـبُّ قـديـمًـا بيننا ** فـالتـقـيـنـا بـيـن نـجـدٍ ومِـنَـى
ثـم نـادانـي حـبـيـبـي خُـفْـيَـةً ** رقـيـبٍ حـاضـرٍ لـم يَـرَنَـا
نـحـن جـسـمـان لـروحٍ واحـدٍ ** فـأنـا أنـتِ كـمـا أنـتِ أنـا

[ق٥/ب]

١٧_ ومما قلته: [الوافر]

يـظُـنُّ الـنـاسُ بـي خـيْـرَ الـطَّـوِيَّـةْ * وأَعْـلَـمُ أنَّـنـي شـرُّ الـبَـرِيَّـةْ
لـمـا أَسْـلَـفْـتُ فـي خَـطَـئِـي وعَـمْـدِي * ذُنُـوبًـا مـن فِـعَـالٍ جَـهَـنَّـمِـيَّـةْ
وإنْ لـم يَـسْـمَـحِ الـمولـى بِـعَـفْـوٍ * أُخَـيَّ أكُـنْ مِـنَ الـفِـئَـةِ الـشَّـقِـيَّـةْ
ولـكـنْ أرْتَـجِـي مـن لُـطْـفِ رَبِّـي * تَـجَـاوُزَهُ بِـغُـفْـرانِ الـخَـطِـيَّـةْ
فـرحْـمَـتُـهُ الـعـمـيـمـةُ كُـلَّ شـيءٍ سَـتَـلْـحَـقُـنِـي بـتـقـديـرِ الـمَـشِـيَّـةْ

وبعدُ فهذا ما تيسَّرَ لي إخراجُهُ وجمعُهُ، وتأليفُهُ في هذه الأوراق ووضعُهُ، ووسَمْتُهُ بـ"مُنْيَةِ الأَنِيس"، إذ كان الداعي إلى تأليفه، إشارةُ مَنْ شَهِد له رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه من خير أمته في قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[2].

وأحمد الله على موافقةِ إشارةِ المذكور، واللهُ المسؤولُ أن ينفع بذلك كلَّ من قرأه أو سمعه، ويجعل ذلك خالصًا لوجهِهِ بمنِّهِ وكرمه، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) لم أقف على ترجمته بعد البحث.

(٢) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: (٤٧٣٩).

كتبه مؤلفه: عمر بن أيوب ابنِ طُغْرِيلَ الشيّاف.

طباق السماع على المؤلف

[ق١/ب]

سمع جميع هذا الكتاب بلفظي؛ الشيخ الصالح يخلف بن سليمان بن يخلف الكتامي، والشيخ الفقيه الإمام المقرئ عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن بن عبد الكريم عرف والده بالصعيدي، وولده محمد، وأبو الفضل محمد بن الفقيه شرف الدين عبد المهيمن بن عبد الباري المذكور، [وأبو...] عبد الرحمن بن الفقيه المقرئ أبي العباس أحمد بن عبد الباري المذكور، والعماد أبو بكر بن الإمام المقرئ أبي محمد عبد الباري بن عبد الرحمن المذكور، والتاج محمد بن سليم بن سليم بن الطاهر بن القرظ وأخوه، والتاج عبد الرزاق بن الشيخ الإمام مفتي المسلمين - أخي في الله تعالى - كمال الدين عبد العزيز بن موسى اللخمي، ومحمد بن الفقيه أحمد بن عبد الكريم المذكور والده [كان] رحمه الله، وعثمان بن عبد العزيز بن أبي المحاسن القرشي، وأخوه عبد المحسن، وأحمد بن منصور بن يوسف الغفاري، وعطية بن أبي عبد الله بن أبي الحسن الضرير، ومخلوف بن أبي بكر بن أبي الحسن الأنصاري، ومحمد بن أبي المعافى بن منصور بن صهر الزهيري.

وأجزت لهم جميعهم أن يرووا عني جميع مصنفاتي، وجميع ما يجوز لي روايته بشرطه، وصح ذلك بالمكتب المعمور تجاه دار [...] الربعي بساحة سوق الأحد بالإسكندرية في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ستين وستمائة.

وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى: عمر بن أيوب ابن طغريل السياف، والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

[ق٥/ب]

يقول عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن - وهذا خطه عفا الله عنه -: ما رواه المخرّجُ لهذا الجزء عن الإمام زكي الدين عبد العظيم المذكور في أول الجزء، فهو لي إجازة منه، وكذلك أجاز لي شمس الدين بن النعمان المذكور فيه، وما خرجه عن الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم المذكور فيه، فهو لي إجازة ولأولادي الأربعة محمد وعائشة و[عزية] وزينب، كتب لنا بالإجازة من القاهرة سنة تسع وخمسن وستمائة [وتوفي] في سنة ستين وستمائة أعني الفقيه عز الدين ابن عبد السلام.

كتبه: عبد الكريم بن عبد الباري.

توفي الزكي عبد العظيم المنذري في أواخر سنة ست وخمسين أو في أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة.

قاله: محمد بن عبد الكريم بن عبد الباري في شوال سنة [اثنين وستين وستمائة].

[ق٦/أ]

_ قرأت جميع هذا الجزء على مخرِّجه الشيخ الأجل الفقيه العالم الصالح سيف الدين أبي حفص عمر بن الشيخ الأمين نجم الدين أبي المجد أيوب بن جمال الدين عمر بن أَرَسْلاَنْ بن جَاوِلِي التُّرْكُمَاني الدِّمِرْدَاشِي الدمشقي الحنفي، المعروف بابن طُغْرِيل السَّيَّاف، فسمعه أخواي لأبي: محمد وأبو بكر ولدا عبد الباري المقرئ، وعلي بن أخي الفقيه أحمد بن عبد الباري، وعبد الكافي بن الحاج عبد الرحيم بن أرسلان، والتاج عبد الرزاق بن الإمام مفتي الإسلام كمال الدين أبي محمد عبد العزيز بن موسى بن محمد اللخمي، وأجاز لهم الشيخ جميع مصنفاته، وما يجوز له أن يحدث به.

فصح ذلك في [يسر] المحرم السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ستين وستمائة.

وكذلك أجاز لي الشيخ المذكور جميع مصنفاته وما يجوز له أن يحدث به، وصح ذلك بجامع الإسكندرية بمسجد عمرو بن العاص.

وكتب: عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن المقرئ، حامدًا لله تعالى ومصليًا على محمد نبينا وصحبه وسلم تسليمًا.

السماع والإجازة صحيحان، وكتب: عمر بن أيوب ابن طغريل السياف.

سألت المخرِّجَ عن مولده، فقال: بالتخمين سنة أربع وعشرين وستمائة، والمخرِّجُ المذكورُ سيفُ الدين، والحمد لله وحده.

فهرس الأحاديث:

طرف الحديث	رقم الصفحة
"إذا دخل أهل الجنة الجنة.. "	١٨٩
"صِنْفَانِ لا تنالهما شفاعتي.."	١٨٥
"لقد دعا الله باسْمِهِ العظيمِ..."	١٨٤
"لقد سألت الله... "	١٨٤
"ما الدنيا في الآخرة..."	١٨٧
"من طلب العلم ليباهِي به العلماء.. "	١٨٧

فهرس الأشعار:

القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	رقم الصفحة
البَرِيَّة	٥	الوافر	ابن طغريل	١٩٠
مبذول	٥	البسيط	المنصور العباسي	١٨٦
تَشَقَّما	٤	المتقارب	محمود بن الحسن	١٨٩
حضرة القدم	٣	البسيط	علي ابن عياد العثماني	١٨٥
نجدٍ ومِنًى	٣	الرمل	فخر الدين ابن بنت أبي سعد	١٩٥
العمر طيّ	٣	المتقارب	أمين الدين محمد ابن عطايا	١٨٧

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
إبراهيم بن الطيّب المالكي	١٩٠
إبراهيمَ بنَ خَضِر الزَّرْزَائِي المالكي	١٩٠
أحمدُ بن شعيب بن علي النَّسائي	١٨٧
أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السُّلَمي	١٨٥
أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد السُّلمي	١٨٥
أحمد بن علي ابن المجلي أبو السعود	١٨٨

اسم العلم	رقم الصفحة
عبد الله بن محمد ابن الفَرَضي	١٨٦
عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن كُلَيْب الحرَّاني	١٨٩
عثمان بن علي بن يحيى الأنصاري، المعروف بابن بنت أبي سعدٍ	١٩٠
عطاء بن السائب	١٨٧
علي بن أبي الفضل عباس ابن عياد العثماني بقراءتي	١٨٥
علي بن أحمد بن بَيَان الرَّزَّاز	١٨٩
علي بن المُسلم بن محمد بن علي بن الفتح السُّلَمي	١٨٥
عمر بن محمد بن مُعَمَّر البغدادي	١٨٤
غُنيم بن قيس	١٨٨
قاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي	١٨٥
قاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي	١٨٤
قاسمَ بنَ زيد بن جعفر الحُسَيْنِي	١٨٧
قيس بن أبي حازم	١٨٦
لاحقٌ بنُ عبد المنعم بن قاسم الأَرْتَاحي	١٨٨
مالك بنِ مِغْوَل	١٨٤
مبارك بن عبد الله الحَبَشِي	١٨٩
المبارك بن علي بن الحسين بن الطَّبَّاخ البغدادي	١٨٧
محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد	١٨٤
محمد بن أحمد بن عمرو اللُّؤْلُؤِي	١٨٤
محمد بن سُلَيم	١٨٨
محمد بن عبد الله بن أخي ميمي	١٨٩

اسم العلم	رقم الصفحة
محمد بن عثمان بن محمد بن عطايا	١٨٧
محمد بن غالب بن حرب	١٨٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الخَبْرِي الفارسي	١٨٤
محمد بن محمد بن الحسين بن الفرّاء	١٨٧
محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البَزّاز	١٨٩
محمد بن موسى بن النعمان المِزاليُّ الفاسي	١٨٤
محمد بن يحيى	١٨٧
محمود بن الحسن	١٨٩
المستورد بن شَدّاد	١٨٧
مُسَدَّد بن مسرهد	١٨٤
معلى بن زياد= أبو العلاء	١٨٥
مفلح بن أحمد الدُّومِي	١٨٤
منصور بن الإمام الظاهر أبي نصر محمد بن الإمام الناصر العباسي	١٨٦
المؤمّل بن إهاب	١٨٥
هبة الله بن عبد الله أبو القاسم الشُّرُوطي	١٨٧
يحيى بن سعيد القطان	١٨٤
يحيى بن محمد بن علي الأنصاري، عُرِفَ بابنِ الصائغ	١٨٧
يزيد	١٨٨
يزيد بن هارون	١٨٩
يوسف ابن عبد البر أبو عمر الحافظ	١٨٧
يوسف بن جبريل بن رضوان الإخْصَاصِي	١٨٤

فهرس المصادر والمراجع:

- (اقتضاء العلم العمل) للخطيب البغدادي، تـ: ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، سنة: ١٣٩٧هـ.
- (بهجة المجالس وأنس المُجالس) لأبي عمر ابن عبد البر، تـ: محمد مرسي الخولي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٠٦هـ.
- (تاريخ الإسلام) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: بشار عوام معروف، ط: دار الغرب الإسلامي.
- (تاريخ دمشق) لأبي القاسم ابن عساكر الدمشقي، تـ: علي شيري، ط: دار الفكر، سنة: ١٤١٩هـ.
- (التكملة لكتاب الصلة) لأبي عبد الله ابن الأبار، تـ: عبد السلام الهراس، ط: دار الفكر للطباعة، سنة: ١٤١٥هـ.
- (تهذيب التهذيب) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر، سنة: ١٤٠٤هـ.
- (توضيح المشتبه) لابن ناصر الدمشقي، تـ: محمد العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٩٩٣م.
- (جزء في الحديث) للحسن بن عرفة، تـ: عبد الرحمن الفريوائي، ط: دار الأقصى، سنة: ١٤٠٦هـ.
- (جزء في الحديث) لمؤمل بن إهاب، تـ: عماد بن فرة، ط: دار البخاري، سنة: ١٤١٣هـ.
- (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) لأبي عبد الله القرشي، ط:مير محمد كتب خانة.
- (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لأبي الفضل ابن حجر العسقلاني، تـ: محمد عبد المعيد ضان، ط:دائرة المعارف العثمانية، سنة: ١٩٧٢م.
- (السنن) لأبي عيسى الترمذي، تـ: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ١٩٩٨هـ.
- (السنن) لأبي داود السجستاني، ط: دار الكتاب العربي – بيروت.
- (السنن الكبرى) لأبي عبد الرحمن النسائي، تـ: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: ١٤٢١هـ.
- (الصحيح) لأبي عبد الله البخاري، تـ: مصطفى ديب البغا، ط: دار ابن كثير، سنة : ١٤٠٧هـ
- (الصحيح) لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ط: جمعية مكنز الإسلامي.
- (صلة التكلمة لوفيات النقلة) لعز الدين الحسني، تـ: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: ٢٠٠٧م.
- (غاية النهاية في طبقات القراء) لشمس الدين ابن الجزري، تـ: ج. برجستراسر، ط: دار الكتب العلمية، سنة : ١٤٢٧هـ.

- (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر العسقلاني، تـ: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة : ١٤٢٣هـ.
- (معجم البلدان) لياقوت الحموي، ط: دار الفكر.
- (المعجم الكبير) لأبي القاسم الطبراني، تـ: حمدي السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم، سنة: ١٤٠٤هـ.
- (المقتفى على كتاب الروضتين) لعلم الدين البرزالي، تـ: عمر عبد السلام تدمري، ط: المكتبة العصرية، سنة: ٢٠٠٦م.